المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير وعلوم القرآن

ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير

من أول سورة الشورى إلى آخر سورة الدخان

جمعًا ودراسة وموازنة

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب:

حميدان بن إبراهيم بن حامد الصحفي

الرقم الجامعي (٤٢٦٨٨٠٩٦)

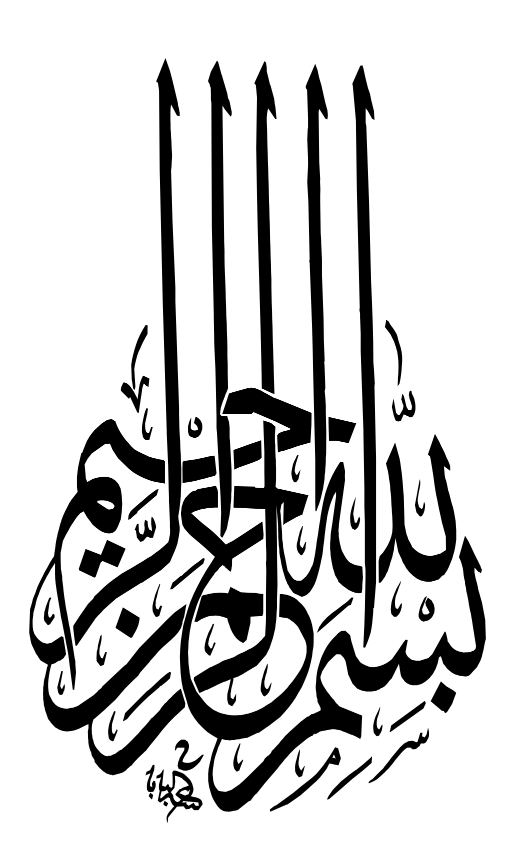
إشراف فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور:

عبدالعزيز عزت بن عبدالحكيم الوايلي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بقسم الكتاب والسنة
بجامعة أم القرى

العام الجامعي

١٤٣٠هـ — ١٤٣١هـ



اعتـــراف بالجميــل

إلى والدي ~

دونك بعض تعبك وسهرك ...

فمواقع الماء بين يديك ...

فانهل وتروَ فإنك – والله – صاحب معروف...

ولا أكذب الله، فثوب الشكر منخرق...

أستسقي الكلمات، وأتفاصح، ثم أرجع، وأووب، وأقول:

﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾

ملخص الرسالة

العنوان: ترجيحات الإمام القرطبي في تفسيره من أول سورة الشورى إلى آخر سورة الدخان جمعاً ودراسةً وموازنةً.

تتكون خطة البحث من قسمين يسبقهما مقدمة وتمهيد ويليهما خاتمة وفهارس.

أما التمهيد: فيتعلق بحياة الإمام القرطبي، من حيث: (اسمه، ونسبه، ومولده، ونشأته، وطلبه للعلم، ومكانته العلمية، وشيوخه، وتلاميذه، وآثاره، ومؤلفاته، ووفاته).

أمَّا القسم الأول: ففيه فصلان:

الأول: كانت الدراسة فيه متعلقة بمنهج القرطبي في تفسيره.

الثاني: كانت الدراسة فيه متعلقة بمنهج القرطبي في الترجيح، وتأصيله لقواعد الترجيح في التفسير وتطبيقه لها.

وأمَّا القسم الثاني: فقد عُني بترجيحات الإمام القرطبي في تفسيره من أول سورة الشورى إلى آخر سورة الدخان، ودراسة هذه الترجيحات دراسة تفصيلية تفسيرية مقارنة بأقوال وأدلة أئمة العلم من مفسرين، وفقهاء، ولغويين، وقد أبان البحثُ عن قوة ترجيحات هذا الإمام، وتأصيله لقواعد الترجيح وتطبيقه لها، واجتهاده المبني على الدليل والنظر.

ثم انهيت البحثَ بخاتمة، وفهارس فنية كاشفة عن محتويات الرسالة.

** والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات **

الباحث/ حميدان بن إبراهيم بن حامد الصحفي

المشرف على البحث

أ.د/ عبدالعزيز عزت بن عبدالحكيم الوايلي

عميد كلية الدعوة وأصول الدين

أ.د/ عبدالله بن محمد الرميان

Thesis Abstract

Thesis title: The preferences of Imam Kortobi in his interpretation of the Holy Quran from the beginning of Surat Al-Shura to the end of Surat Al-Dukhan by means of compiling , studying and paralleling them.

The research plan is composed of two sections preceded by an introduction , a preface and eventually a conclusion and index.

The preface: deals with the life of Imam Kortobi and a concise biography of him including (his name , offspring , birth , his bringing up , his study , his scholastic position , his sheiks , his apostles , his heritage , his writings and his death.)

The first section: It has two chapters:

Chapter one: The study is concerned with the approach of Imam Kortobi in making his preferences and his innovation of preference rules in the Holy Quran interpretation and his applications in this connection .

The second part: He was interested in the ppreferences oof Imam Kortobi from the beginning of Surat Al-Shura to the end of Surat Al-Dukhan and he gave a detailed account of his interpretations in comparison with the viewpoints and evidences adopted by other interpreters ,, judiciaries and linguists . The research has revealed the effectiveness of Al-Kortobi's preferences and his origination of its rules and his thinking based on true evidences and his strong insight.

Finally , I ended my research with a conclusion and indexes that revealed the contents of the thesis research .

** Thanks to our Lord upon Whose bless good deeds are completed **

Student: Humaidan Ibrahim Hamid Al-Sahafi

Supervisor: Prof. Dr. Abdulaziz Ezat Abdulhakeem Al-Waili

Dean of the college of Islamic Call and religious fundamentals

Prof. Dr. Abdullah Muhammed Al-Rumayan.



المقدمـــة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضل له، ومَن يُضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحمداً عبده ورسوله، أدَّى الأمانة، ونَصَح الأمة، وجاهَد في الله حقَّ جِهَاده، وتَرَكَنا على المَحَجَّة البيضاء، ليلُها كنهَارِها لا يزيغ عنها إلا هالك؛ فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله، وأصحابه، ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أما بعـــد: -

فإن أَوْلى العلوم بالعلوم، وخير ما تنافس فيه المتنافسون، واشتَغَل به المشتَغِلون، وصُرفت فيه الأوقات والسنون هو كتاب الله ﷻ، تعلّماً وتعليماً؛ إذ هو المعجزةُ الباهرة، والحجة القاهرة، لا تنتهي عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخلق على كثرة الرد، فلا يزال العلماء في كل عصرٍ ومصر ينهلون من علومه، ثم يُبَيِّنون للناس ما فهموا، ويذكرون لهم ما استنبطوا، واضعين - في ذلك كلِّه - معرفةَ مرادِ الله تعالى نُصبَ أعينهم، وغايةَ مرادهم.

ومن هؤلاء العلماء الأفذاذ: عالمٌ اشتهر تفسيره لكتاب الله تعالى واستفاد الباحثون منه في شتى المجالات، إنه الإمام أبوعبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المتوفى سنة (٦٧١هـ)، صاحب كتاب:

الجامع لأحكام القرآن؛ الذي جمع فيه فنونًا عديدةً من العلوم، فهو يعرض فيه لأسباب النزول، والقراءات، والإعرابِ، والغريبِ من الألفاظ، ويحتكم كثيراً إلى اللغة، ويُكْثِر الاستشهاد بأشعار العرب، ويَردُّ على الفرق الضَّالة، هذا كلِّه بالإضافة إلى ذكره لِلْأحكام الفقهية في المسائل التي يتطرق إليها عند تفسيره لآيات الأحكام.

ففي هذا الكتاب العظيم أنهارٌ من العلم ينهَل منها كلُ ظامئٍ ويصدر عنها رِواء، وهكذا فعل طلاب العلم، فقد بحثوا في هذا التفسير جوانب اللغة والنحو والفقه والقراءات وغيرها.

إلا أنَّ هناك عِلماً من تلك العلوم الجمَّة، التي امتلأ بها هذا الكتاب العظيم، ظلَّ رهين النسيان.

ألا وهو: ترجيحات الإمام القرطبي التفسيرية في كتابه " الجامع لأحكام القرآن" حتى هيأ الله ويسَّر لقسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى فتح مشروع (ترجيحات الإمام القرطبي التفسيرية في كتابه الجامع لأحكام القرآن)، وبعد طول تأملٍ وقراءةٍ، واستخارةٍ، واستشارةٍ، عزمت أمري أن أكونَ أحد المشاركين في دراسة هذا الجانبِ من كتاب الإمام القرطبي، وعنونته بـ:

"ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير
من أول سورة الشورى إلى نهاية سورة الدخان
جمعاً ودراسةً وموازنةً".

وأسأل الله تعالى لي ولجميع المسلمين العلم النافع والعمل الصالح.

أهمية الموضوع:

تظهر أهمية هذا الموضوع من عدّة وجوه، يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

١- أن تفسير القرطبي "الجامع لأحكام القرآن" من أجلّ التفاسير وأعظمها شأناً، وقد استفاد منه طلابُ العلم والعلماءُ بعده على اختلاف تخصصاتهم ومشاربهم، قد علم كل أناس مشربهم!

٢- شُهْرَةُ مؤلِّفه ~ وعلوُّ مكانته، وجلالة قدرِه عند العلماء، ويظهر ذلك لمن قرأ ترجمة هذا الإمام في كتب التراجم.

٣- كثرةُ الفوائدِ والاستنباطاتِ والدررِ المودَعةِ في هذا التفسير؛ مما يجدر بكل طالب علم الإطلاعُ عليها والاستفادةُ منها وبذلُ غاية الجهد في تحصيلها.

٤- أن تفسيرالإمام القرطبي هذا وإن كان المتبادر إلى الأذهان أنه كتاب في أحكام القرآن إلا أنه مليءٌ بعرض الأقوال المتعلقة بعلم التفسير وترجيحِه لما يراه الأقربَ للصواب بطرقٍ ترجيحيةٍ معيّنة.

٥- أن علم التفسير علمٌ كثرت فيه الأقوال وتعددت فيه الآراء، فهو بحاجةٍ إلى التحقيق والترجيح؛ إذ إن هذا العمل سبيل ووسيلة إلى الوصول إلى المقصود الأعظم من التفسير.

٦- يمثل هذا الموضوع لوناً من ألوان التفسير، وهو المسمى (بالتفسيرالمقارن) الذي يعرض النصوص والآراء، ويوازن بينها، ويبين الراجح من المرجوح.

أسباب اختيار الموضوع:

لقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع - ليكون بحثاً في مرحلة الماجستير- أسبابٌ كثيرة، منها:

١- جِدّةُ هذا الموضوع، فلم يصل إلى علمي تعرّضُ أحد له بالبحث التّفْصِيليِّ المبني على العرض والدراسة والموازنة.

٢- قيمة هذا الموضوع التفسيرية؛ إذ هو متعلق بمعرفة الراجح من الأقوال في تفسير آي القرآن، ولا شك أن اختيار ما رَجُحَ وجهه مما يُتنافس للوصول إليه.

٣- أن تفسير الإمام القرطبي قد استفاد منه الباحثون في جوانب عديدة كالفقهِ، واللغةِ، والنحوِ، والقراءاتِ، وأصولِ الدين، وغيرها ، وبقي الجانبُ الأهم، والمقصود الأعظم، ألا وهو ترجيحاتُه التفسيريةِ لكلام الله ﷻ.

٤- اعتماد هذا الموضوع على السبْر والمقارنة، والمناقشة والموازنة، والترجيح المقترن بالدليل والتعليل، وهذا يُكسب الباحث قوّةً وملكةً في تفسير كتاب الله تعالى، وهذا مالا يَتوفر في كثيرٍ من الموضوعات.

٥- أن في هذا البحثِ تطبيقاً لقواعد الترجيح في التفسير التي وضعها العلماء، وهذا العملُ يَزيد تلك القواعدَ تأصيلاً، ويَزيدنا لها فهمًاوإدراكاً.

٦- تعلّقُ هذا الموضوعِ بدراستي في قسم التفسير وعلوم القرآن الكريم تعلّقاً مباشراً، وأرجو من الله تعالى أن يعلّمني ما ينفعني وأن ينفعني بما علّمني وأن يزدني علماً وتقىً وبراً وصلاحاً يتبعه فلاحٌ ونجاحٌ، وأن يجْزِل لي ولمشايخي الفضلاءِ الأجرَ والمثوبة.

٧- الرغبة المُلِحَّة لَدَيَّ في دراسةِ تفسير هذا الإمام، على عدم أهليةٍ مِنِّي لِمثْل هذا العمل، ولكن كما قال الأول:

أسير خَلْف رِكَاب النُّجْب ذا عَرَجٍ	مؤمِّلاً كَشْف ما لاقيتُ من عوجِ
فإنْ لَحِقْت بِهم من بعد ما سبقوا	فكم لِرَب الوَرَى في ذاك مِن فرجِ
وإن بقيت بظهر الأرض منقطعاً	فما على عرجٍ في ذاك من حرجِ

الدراسات السابقة:

للمكانة العلمية التي وصل إليهاالإمام القرطبي ~ ولما اشتمل عليه كتابه من كنوز العلم والمعرفة، فقد تسابق الباحثون للغوص في أعماق هذا الكتاب لاستخراج الكنوز والدرر، ومن خلال بحثي في الدراسات السابقة لهذا الكتاب لم أجد أحداً من الباحثين -حسب ما وقفت عليه واطلعت عليه- تطرق إلى ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير دراسة مستقلة للجزء الذي قمت بدراسته، وجملةُ ما بحث في تفسير هذا الإمام منصبٌ على الدراسات اللغوية والنحوية، أو الاحتجاجِ للقراءات، أو الترجيحات في الأحكام الفقهية، أو تحقيق الكتاب وبيان الدخيل فيه، أو ذكرِ منهجه في التفسير، أما في هذا الموضوع أعني - ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير- فقد سبقني مجموعة من الزملاء الطلاب والطالبات في جزئيات سابقة ولاحقة، ومن أبرز تلك الدراسات ما يلي:

١- الدرس اللغوي في تفسير القرطبي: من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة آل عمران، رسالة دكتوراه، لعلي زكريا علي الجوخي، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، عام ١٩٩٧م.

٢- منهج الإمام أبي عبدالله القرطبي في استنباط الأحكام من خلال تفسيره الجامع لأحكام القرآن دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، لحارث محمد سلامة العيسى، جامعة آل البيت، عام ٢٠٠٠م.

٣- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دراسة وتحقيق وتخريج، رسالة دكتوراه، لمحمد يماني.

٤- أثر المعنى في توجيه الشاهد النحوي في تفسير القرطبي، رسالة ماجستير، لعبدالله محمد فرج الله، جامعة اليرموك، عام ١٩٩١م.

٥- القرطبي نحويًا من خلال تفسيره الجامع لأحكام القرآن، رسالة دكتوراه، لفاطمة المحرش، جامعة محمد الأول، كلية الآداب.

٦- الإعراب والاحتجاج للقراءات في تفسير القرطبي، رسالة ماجستير، لسيدي عبدالقادر بن محمد محمود الطفيل، ليبيا - طرابلس، كلية الدعوة الإسلامية، عام ١٩٩٧م.

٧- المعنى والإعراب في تفسير القرطبي، رسالة ماجستير، محمد سعد محمد السيد.

٨- الدخيل في تفسير القرطبي، تحقيق ودراسة من أول الكتاب إلى آخر تفسير سورة الكهف، رسالة دكتوراه، لأحمد الشحات أحمد موسى، جامعة الأزهر.

٩- القرطبي ومنهجه في التفسير، رسالة دكتوراه، القصبي محمود حامد زلط، جامعة الأزهر، عام ١٩٧٢م.

١٠- ترجيحات القرطبي في الحدود من خلال كتابه الجامع لأحكام القرآن، رسالة دكتوراه، لسعدية حامد جمعة المحياوي.

١١- القرطبي مفسرًا، رسالة ماجستير، لعلي سليمان العبيد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، عام ١٤٠٢هـ.

١٢- منهج الإمام القرطبي في أصول الدين، رسالة ماجستير، لأحمد عثمان أحمد المزيد.

١٣- اختيارات الإمام القرطبي الفقهية في فقه الأسرة، رسالة ماجستير، لعبدالله صالح سعد الطويل.

١٤- اختيارات الإمام القرطبي الفقهية في العبادات، دراسة فقهية مقارنة، رسالة ماجستير، لعايض مقبول حمود القرني.

١٥- الاتجاه البياني في تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، رسالة ماجستير للطالب/ محمد رضا الحسن، الجامعة الأردنية، عام ٢٠٠٣م.

١٦- اللهجات العربية في تفسير القرطبي، رسالة دكتوراه، للطالبة/ عفاف عمر عبدالله العتيق، كلية الآداب للبنات، الدمام، قسم اللغة العربية، ١٤٢٤هـ.

١٧- تفسير القرطبي، تحقيق ودراسة في المصادر التفسيرية، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية الآداب، عام ١٩٨٨م.

١٨- دراسة الجانب الحديثي في تفسير القرطبي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ١٩٩٥م.

١٩- القضايا النحوية في تفسير القرطبي، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الآداب، عام ١٩٨٣م.

٢٠- المعنى والإعراب في تفسير القرطبي، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، عام ١٩٩٠م.

٢١- منهج الإمام القرطبي في التفسير وعلوم القرآن، من خلال سورتي البقرة وآل عمران، رسالة ماجستير، للطالب/ حمزة ماجد عباطرة، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٥م.

٢٢- ترجيحات الإمام القرطبي في التفسيرمن أول الكتاب إلى آخر الآية رقم (١٨٨) من سورة البقرة، جمعاً ودراسة وموازنة، رسالة ماجستير، للطالب/ عبدالله عيدان أحمد الزهراني، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة.

٢٣- ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من الآية (٤٣) من سورة النساء إلى آخر سورة المائدة، جمعاً ودراسة وموازنة، رسالة ماجستير، للطالب/ مامودو محمد كوما، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة.

٢٤- ترجيحات الإمام القرطبي في التفسيرمن أول سورة الأنعام إلى آخرها، جمعاً ودراسة وموازنة، رسالة ماجستير، للطالبة/ أسماء محمد عبدالله السلومي، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة.

٢٥- ترجيحات الإمام القرطبي في التفسيرمن أول سورة الأعراف إلى آخر الآية(٤٠) من سورة التوبة، جمعاً ودراسة وموازنة، رسالة ماجستير، للطالب/ حسين سيد محمد عبدالغفور، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة.

٢٦- ترجيحات الإمام القرطبي في التفسيرمن أول سورة هود إلى آخر سورة يوسف، جمعاً ودراسة وموازنة، رسالة ماجستير، للطالبة/ إيناس بكر حسن هوساوي، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة.

٢٧- ترجيحات الإمام القرطبي في التفسيرمن أول سورة الرعد إلى آخر سورة إبراهيم، جمعاً ودراسة وموازنة، رسالة ماجستير، للطالب/ فهد زويد مزيد العطري، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة.

٢٨- ترجيحات الإمام القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن من أول سورة الكهف إلى آخر الآية(١٥) من سورة مريم، جمعاً ودراسة وموازنة، رسالة ماجستير، للطالبة/ مرام صالح أحمد مختار باتوبارة، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة.

٢٩- ترجيحات الإمام القرطبي في التفسيرمن آية(١٦) سورة مريم إلى آخر سورة طه آية(٨٢)، جمعاً ودراسة وموازنة، رسالة ماجستير، للطالبة/ لولوة عبدالله بخيت، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة.

٣٠- ترجيحات الإمام القرطبي في التفسيرمن أول سورة الشعراء إلى آخر سورة لقمان، جمعاً ودراسة وموازنة، رسالة ماجستير، للطالب/ سعيد ناصر عبدالله آل مقبل، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة.

٣١- ترجيحات الإمام القرطبي في التفسيرمن أول سورة يس إلى آخر سورة(ص)، جمعاً ودراسة وموازنة، رسالة ماجستير، للطالبة/ نوال محمد مكي سقطي، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة.

٣٢- ترجيحات الإمام القرطبي في التفسيرمن أول سورة (الجاثية)إلى آخر سورة(ق)، جمعاً ودراسة وموازنة، رسالة ماجستير، للطالب/ حمدان بن حميد بن بريك السلمي، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة.

٣٣- ترجيحات الإمام القرطبي في التفسيرمن أول سورة الذاريات إلى آخر سورة التغابن، جمعاً ودراسة وموازنة، رسالة ماجستير، للطالب/ أحمد بن عمر بن أحمد السيد، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة.

٣٤- ترجيحات الإمام القرطبي في التفسيرمن أول سورة الطلاق إلى آخر سورة الناس، جمعاً ودراسة وموازنة، رسالة ماجستير، للطالب/ محمد أحمد محمد بن معيض، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة.

الإضافات العلمية:

إنَّ أبرز الإضافات العلمية لهذا البحث يمكن إجمالها في النقاط الآتـية:

١- معرفةُ ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير ودراستها.

٢- إبرازُ منهجه في ترجيح تفسيرٍ مُعَيَّنٍ.

٣- معرفةُ قواعد الترجيح في تفسيره.

٤- معرفةُ صيغ الترجيح عنده.

حدود هذا البحث:

من خلال العنوان يتضح أن البحث حدد بأربعة حدود، وهي:

الحد الأول: **ترجيحات**، فلا يدخل في هذا البحث إلا ما صرح القرطبي بترجيحه، إما بلفظ صريح وصحيح، أو بإشارة يفهم منها الترجيح، حسب صيغ الترجيح لديه.

الحد الثاني: **الإمام القرطبي**، فلا يدخل في البحث ترجيحات غيره، ما لم يكن له ترجيح واختيار.

الحد الثالث: **في التفسير**، فلا يدخل في صلب الموضوع ما اختلف فيه أهل العلم مما ليس له أثر في معنى الآية، وإن رجح فيه؛ كالخلاف في القراءات التي لا تؤثر في المعنى، والخلاف في اللغة والإعراب مما لا تأثير له في المعنى.. ونحو ذلك.

الحد الرابع: **من أول سورة الشورى إلى آخر سورة الدخان**، فلا يدخل فيه غيره من سور القرآن إلا ما كان من آي القرآن التي سبق الكلام عنها في السور التي تسبق هذا الجزء واكتفى الإمام القرطبي بالإحالة إليها.

خطــة البحــث:

انتظمت خطة البحث في قسمين يسبقهما مقدمة وتمهيد ويليهما خاتمة وفهارس.

المقدمة: وفيها أهميةُ الموضوع، وأسبابُ اختياره، والدراسات السابقة، وخِطة البحث، ومنهجي فيه، ثمَّ شكر وتقدير وثناء ودعاء لمن يستحق ذلك.

التمهيد: وفيه ترجمة موجزة للإمام القرطبي:

أولاً: اسمُه، ونسبه، ومولدُه.

ثانياً: نشأتُه، وطلبه للعلم.

ثالثاً: مكانتُه العلمية، وثناء العلماء عليه.

رابعاً: شيوخُه، وتلاميذُه.

خامساً: آثاره ومؤلفاتُه.

سادساً: وفاتُه.

القسم الأول: وفيه فصلان:

الفصل الأول: منهجُ الإمامِ القرطبي في تفسيره، وفيه ثلاثةُ مباحثَ:

المبحث الأول: تفسير القرآن بالمأثور، وفيه ستةُ مطالبَ:

المطلب الأول: تفسيره القرآن بالقرآن.

المطلب الثاني: تفسيره القرآن بالسنة.

المطلب الثالث: تفسيره القرآن بأقوال الصحابة.

المطلب الرابع: تفسيره القرآن بأقوال التابعين.

المطلب الخامس: تفسيره القرآن بأقوال من جاء بعد عصر التابعين.

المطلب السادس: عنايته بالقراءات.

المبحث الثاني: تفسيره القرآن باللغة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عنايته بمعاني المفردات.

المطلب الثاني: عنايته بمعاني الحروف والأدوات.

المطلب الثالث: عنايته بالإعراب.

المبحث الثالث: تفسيرُه القرآن بالرأي، وفيه مطلب واحد:

المطلب الأول: عنايته بالمناسبات.

الفصل الثاني: منهجُ الإمامِ القرطبي في الترجيح، وفيه تمهيد ومبحثان:

التمهيد وفيه: معنى الاختيار والترجيح والفرق بينهما.

المبحث الأول: صيغُ الترجيح وأساليبُه عند الإمام القرطبي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التنصيصُ على القول الراجح.

المطلب الثاني: التفسيرُ بقولٍ مع النص على ضعف غيره.

المطلب الثالث: التفسيرُ بالقولِ الراجح وذكرُه بصيغة الجزم، وذكرُ الأقوال الأخرى بصيغة التمريض.

المبحث الثاني: وُجوهُ الترجيح عند الإمام القرطبي، وفيه أحد عشر مطلبا:

المطلب الأول: الترجيحُ بالنظائرِ القرآنية.

المطلب الثاني: الترجيحُ بظاهر القرآن.

المطلب الثالث: الترجيحُ بالسياق.

المطلب الرابع: الترجيحُ بالقراءات.

المطلب الخامس: الترجيحُ بالحديث النبوي.

المطلب السادس: الترجيحُ بأسباب النزول.

المطلب السابع: الترجيحُ بأقوال السلف.

المطلب الثامن: الترجيح بالعموم.

المطلب التاسع: الترجيحُ بدلالة الأصل المعتبر أولاً في كلام العرب.

المطلب العاشر: الترجيحُ بدلالة تصريف الكلمة واشتقاقاتها.

المطلب الحادي عشر: الترجيحُ باللغة والشعر.

القسم الثاني: ترجيحات الإمام القرطبي في تفسيره من أول سورة الشورى إلى آخر سورة الدخان.

- أولاً: ترجيحات الإمام القرطبي في سورة الشورى.
- ثانياً: ترجيحات الإمام القرطبي في سورة الزخرف.
- ثالثاً: ترجيحات الإمام القرطبي في سورة الدخان.

الخاتمــة: **وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.**

الفهـارس: **وتتضمن الفهارس الآتية:**

١- فِهْرس الآيات القرآنية.
٢- فِهْرس القراءات الشاذة.
٣- فِهْرس الأحاديث النبوية.
٤- فِهْرس الآثار.
٥- فِهْرس الأعلام.
٦- فِهْرس المصطلحات والمفردات المشروحة.
٧- فِهْرس الفرق والقبائل.
٨- فِهْرس الأماكن والبلدان.
٩- فِهْرس الشواهد الشعرية.
١٠- فِهْرس المصادر والمراجع.
١١- فِهْرس الموضوعات.

۞ طريقتي ومنهجي في البحث:

لقد سرت في كتابة هذا البحث -مستمداً العون والمدد ممن لا حول لنا ولا قوة إلا به- على طريقة الاستقراء والجمع والدراسة والمقارنة وفق الخطوات التالية:

أولاً: استخرجت ترجيحات الإمام القرطبي التفسيرية من كتابه الجامع لأحكام القرآن في الجزء المحدد لي في الدراسة، وهو من أول سورة الشورى إلى آخر سورة الدخان، ورتبتها وفق ترتيب آيات المصحف الشريف، وقد خصصت لكل آية بطاقة أكتب فيها:

أ - اسم السورة، ورقم الآية، ورقم المسألة.

ب- المقطع المفسر.

جـ- عنواناً مختصراً يدل على مضمون المسألة.

وهذا كله بعد مرحلة الاستقراء والمطالعة العامة المتأنية التامة للجزء المحدد لي.

ثانياً: قسمت ترجيحات الإمام القرطبي في المقدار المحدد للدراسة معتمداً على ما يلي: -

أ - تصريح الإمام القرطبي بالراجح في المسألة.

ب-تصريح الإمام القرطبي برد أو تضعيف بعض الأقوال في تفسير الآية ولو لم يصرح بالراجح.

جـ- ذكره للقول الراجح بصيغة الجزم، وذكرالأقوال الأخرى بصيغة التمريض، ما لم يرجح القول بصيغة الجزم.

د - اقتصاره على قول في تفسير الآية مع وجود خلاف فيها.

ثالثاً: قمت بدراسة الترجيحات دراسة تفصيلية تفسيرية مقارنة بأقوال وأدلة أئمة العلم من مفسرين، وعلماء أجلاء غيرهم، وذلك على النحو التالي:

١ – وضعت عنواناً مختصراً يدل على مضمون المسألة.

٢ – ذكرت الآية التي ورد فيها الترجيح مع رقمها واسم السورة.

٣ – ذكرت ترجيح الإمام القرطبي في هذا الموضوع بنصه ما أمكن ذلك.

٤ – ناقشت ترجيحات الإمام القرطبي مناقشة علمية كما يلي:

١) أُصدر الدراسة بذكر أقوال المفسرين الموافقين للإمام القرطبي ممن تقدمه بقول(وافق) أو تأخر عنه بقول(ووافقهم)، سواءً كانت هذه الموافقة تصريحاً أو تلميحاً.

٢) اذكر دليل القول المختار إن وجد.

٣) اذكر بقية الأقوال المخالفة لهذا القول معزوةً إلى قائليها.

٤) ادرس الأقوال وأدلتها تحت عنوان «الدراسة والمناقشة» وأُبين وجوه القوة والضعف فيها، آخذاً بالدليل على قدر استطاعتي، مستنيراً بأقوال أهل العلم من المفسرين، معتمداً على قواعد الترجيح في الدلالة على أرجح الأقوال، معتمداً في ذلك على كتابي:

أ – قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي.

ب – قواعد التفسير للسبت.

٥) أخلص بعد ذلك إلى القول الراجح الذي تؤيده الأدلة الشرعية، وتعضده القواعد الترجيحية، وتحفه القرائن، من أسباب النزول، والسباق واللحاق في السياق، متجرداً من التعصب لرأي أو شخص، ولم أتعمد قط مخالفة ظواهر الأدلة لأوافق قول أحد، بل اتبعت الأدلة – حسب وسعي وجهدي وطاقتي – أدور معها حيث دارت.

رابعاً: قدمت في بداية كل سورة بمقدمة أُبين فيها أسماء السورة التوقيفية والاجتهادية، معتمداً في ذلك على دراسة علمية بعنوان:

(أسماء سور القرآن وفضائلها) للدكتورة/ منيرة الدوسري.

وكذلك كتاب:(التحرير والتنوير) لابن عاشور.

خامساً: عزوت الآيات القرآنية الواردة في الرسالة إلى سورها، بذكر اسم السورة ورقم الآية في صلب الرسالة، تخفيفاً للحاشية، وذلك بالرسم العثماني معتمداً في إنزالها من الحاسوب وفق برنامج خاص بالرسم العثماني برواية حفص عن عاصم.

سادساً: وثقت القراءات من خلال مصادرها الأصيلة.

سابعاً: خرجت الأحاديث والآثار تخريجاً مختصراً، اقتصر فيه على عزو الحديث إلى موضعه حسب الطريقة المتبعة في البحوث العلمية.

فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بذلك مع ذكر الكتاب والباب ورقم الحديث والصفحة.

وإن كان الحديث في غير الصحيحين، فإني أذكر حكم المحدثين على صحة الحديث أو ضعفه من المتقدمين والمتأخرين.

ثامناً: اكتفيت في الآثار المروية عن السلف في التفسير بعزوها إليهم مع ذكر ورودها لكثرتها دون الحكم عليها في الغالب.

تاسعاً: وثقت النصوص التي أنقلها توثيقاً علمياً من مصادرها الأصيلة ما أمكنني ذلك.

عاشراً: ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في صلب الرسالة ترجمة مختصرة وافية بالغرض ولم استثنِ أحداً، خلا الخلفاء الأربعة وذلك لشهرتهم وأصحاب المذاهب الأربعة.

الحادي عشر: عزوت الشواهد الشعرية - حسب الاستطاعة - إلى دواوين أصحابها ومصادرها المعتمدة.

الثاني عشر: عرفت بالفرق والأماكن غير المعروفة من كتبها المعتمدة.

الثالث عشر: المعوّل عليه في معرفة اسم كل مصدر أو مرجع كاملاً وطبعته هو الفهرس الخاص في آخر الرسالة؛ لصعوبة ذكر اسم المصدر كاملاً، وطبعْته عند ذكره أول موضع ؛ لكثرة عدد المراجع.

الرابع عشر: ضبطت بالشكل ما يحتاج إلى ضبط مما تُشكل قراءتهُ ويلتبس نطقه.

الخامس عشر: التزمت طبعة واحدة لكل كتاب.

السادس عشر: اقتصرت في التمثيل في قسم الدراسة النظرية من الجزء المحدد لي من سورةالشورى إلى سورة الدخان ما أمكن ذلك.

السابع عشر: ذيلت الرسالة بفهارس فنية كاشفة عن مضامينها معتمداً في ذلك على الترتيب الهجائي.



شكر وتقدير

الحمد لله مستحق الحمد، والشكر له على ما أعان ووفق، فله الحمد على ما أسبغ من النعمة، وأتم من المنة ووفر من الصحة، وأسبل من الستر، ويسر من العُسر، ووفق للقرب من النجاح، وقدر من الصلاح فله الشكر وله الحمد، فأي نعمةٍ أحصي عددها، وأي عطائه أقوم بشكره، فكم أسبغ علينا من النعماء، وكم صرف عنّا من الضراء، فلن أنسى ما حييت نعمة الله على أن وفقني للدراسة في قسم الدراسات العليا في جامعة أم القرى، شعبة التفسيروعلوم القرآن، فأحمده - سبحانه - على ما هيأ لي من الأسباب، وما منحني من الألطاف، فيا رب لك الحمد حمداً حمداً، ولك الشكر شكراً شكراً، والشكر والعرفان والامتنان بعد ذلك لجامعة أم القرى ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين وأخص عميدها الفاضل الدكتور/ عبدالله الرميان، ووكلاءه الدكتور/ خالد الغامدي إمام المسجد الحرام، والدكتور/ صالح الفريح وكيل الكلية للدراسات العليا، ورئيس قسم الكتاب والسنة المربي الفاضل ذا الأخلاق العالية والسجايا الفاضلة والتواضع الجم، الأستاذ الدكتور/ غالب بن محمد الحامضي.

كما لا أنسى مشايخي الأفاضل، وزملائي الكرام، الذين أفدتُ منهم كثيراً، ولا أستثني منهم أحداً، وما يضرهم تغييبُ أسمائهم، وقد حفظتهم المقل، وأناخت على ركابهم المهج، فالله أسأل أن يثبتني وإياهم على الصراط المستقيم، كما أسأله أن يجزي كل من سأل أو وجه أو أفاد أو دعا أو سعى خير الجزاء وأوفره.

أما الوالد المشرف على الرسالة شيخي الفاضل الأستاذ بقسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ عبدالعزيز بن عزت عبد الحكيم الوايلي ، فلا زالت غمائم الشكر تظله، ولا انقشعت عنه إلا بِبَرَدٍ تُكِنُّه، وكلي حياء أن أُسدي له الشكر، وبأياديه البيضاء كان غراس هذا البحث وبذره، فهو من أشار عليَّ بهذا الموضوع، ثم أعطاني جل وقته لقراءة الرسالة، فقد أستفدت منه كثيراً، حيث كان- يحفظه الله- حريصاً على أن تخرج الرسالة في أحسن حال وخير مآل، من خلال

الإشراف الدؤوب، والحرص الشديد على ما ينفعني، فنعم الوالد كان بعد والدي، فله مني جزيل الشكر والثناء، وعظيم الامتنان والتقدير، وموفور الدعاء.

فاللهم يا حي ياقيوم اقذف الإيمان في قلبه، ومنّ عليه بالعافية في جسده، وأدم الصحة في بدنه، وارزقه الصلاح في زوجه وولده وذريته، وبارك له في علمه وعمله، وأهله وماله ووقته، واجعله مباركاً أينما حل وحيثما ارتحل، وانفعه وأنفع به، وأجلسه بجوار نبيك محمد ﷺ، وجازه خير ما جازيت عالماً عن طلابه.

كما أتقدّم بالشكر والتقدير والعرفان للشيخين الفاضلين، والعالمين الجليلين:

فضيلة الشيخ الدكتور/ فيصل بن جميل غزاوي ، إمام المسجد الحرام، ووكيل الكلية لشؤون الطلاب، وفضيلة الشيخ الدكتور/ صديق بن مالك، الأستاذ المشارك بقسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى ، على كريم تفضلهما على كثرة مشاغلهما بقبول هذه الرسالة وتحمل عناء مطالعتها وقراءتها ومناقشتها وتقويمها، وعزائي لهما أنهما يعيشان مع كلام المنان.

فاللهم ياحنان يامنان بارك لهما في علمهما وعملهما وصحتهما ووقتهما وأصلح ذريتهما وأغنهما بفضلك عمن سواك، وجازهما عنا خير الجزاء.

وثمة إنسان له معروف خاص لا أستطيع وفاءه مهما بذلت، إلا أن يتولى الله عني سداد معروفه، بأن يغفر ذنبه، ويرفع منزلته، ويجعل كتابه في عليين، وأن يجعله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا - إنه والدي عليه رحمة الله تعالى- والذي عاش معي بداية دراستي المنهجية حتى أنهيتها، ثم وافته المنية بعد شروعي في موضوع الترجيحات، وقد كان يحوطني بالسؤال والدعاء؛ فكم كنت أتمنى أن يرى ثمرة جهده، وأن تقر عينه بثمرة فؤاده، ولكن الله يفعل مايشاء، وله الحمد على ما قضى وقدر، وأسأل الله أن ينفعني بهذا العلم وأن يجعل أثره عليَّ نفعاً لوالدي ولجميع المسلمين، وأسأله أن يجزيه عني خير ما جزى والداً عن ولده، وأن يجعل قبره روضة من رياض الجنة، اللهم آمين، آمين، آمين.

أما الوالدةُ الكريمةُ، فحنانيك، فلسان معقود، وبصر كسير، فمعروفكِ أوهنَ مِنْ جَلَدي، وتجلُدي لشكرك أرقَدَني، فآذنيني بعتاق، فأم كريمة بنتُ كريم، فيارب بعينك احفظها مِنْ كل سوء، وأقر عينها بما تحب، واملأ قلبها بذكرك، ومتعها ربي بطول عمرٍ وسلامةِ جسدٍ وحسنِ عمل.

رب ذاك والديَ قد أحسنا تربيتي، وأكرماني بحفظ كتابك، وأحاطاني بدعائهما وعظيم اهتمامهما ورعايتهما، فأكرمهما يا ربي وألبسهما تاج الكرامة، وارحمهما كما ربياني صغيرا.

وبعد، فإذا كان الناسُ قد تذوقوا من هذه الرسالة حلوها وشهدها؛ فقد تجرَّعت أم معاذ مُرَّها وحنظلها، فتصبَّرت وصابرت، ثم نفد صبرها فأيست واعتزلت، ثم آبت ورجعت، وناحت بحسرة وأنَّت، وكأنَّها تقول:

زِينُ الشباب أبو معاذ لم يمتّع بالشباب !! فاللهم أجزها عن صبرِها، وتولَّ شكرها.

وبعد؛ فلما كان عمل البشر عرضة للخلل والتقصير والزلل، لانفراد المولى سبحانه بمطلق الكمال، كان هذا الموضوع لا يخرج عن هذا الأصل بحال، وما أزعم وما ينبغي لي أني أشبعت هذا الموضوع بحثاً وتمحيصاً، ولكنني حاولت قدر إمكاني، ووسع طاقتي أن أتقنه ما استطعت إلى ذلك سبيلا، وأن يكون قريباً من الكمال.

وقد أردت - يعلم الله- التدقيق ما استطعت، والبحث ما قدرت، والتمحيص ما أجدت، فإن كنت قد أصبت فبتوفيق الله وحده أصبت، ولله الفضل والمنة من قبل ومن بعد، وإن كان سهمي قد طاش، فكم من فتى حام وما ورد، وأمَّل وما بلغ، وقصد وما قدر، ولكن قد يشفع لي اجتهادي، وحبي لكتاب ربي، واستغفر الله أن أقول في القرآن برأي، أو أركن إلى ما تقاصر من فهمي، ورحم الله العلماء السابقين، والأئمة المفسرين، فالفضل كل الفضل للمتقدمين، الذين كانوا بالدليل متمسكين.

جعلنا الله ممن يرعى حرمتهم، ويعرف فضلهم وسابقتهم، ويؤدي حقهم، ويحفظ ودهم، وكلٌ يؤخذ من قوله ويُرد إلا محمداً ﷺ، ولله وحده الكمال.

وختاماً: الله أسأل أن ينفعنا ويرفعنا بالقرآن العظيم، وأن يجعلنا من خدام كتابه العظيم، وأن يهبنا ثواب السعى إليه، والقربى منه، والزلفى لديه، وأن يرزقنا نعيماً لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، ولذة النظر إلى وجهه الكريم، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، يارب أسكنا فسيح جنتك، والنار نجنا منها برحمتك، واغفر لنا ما كان من ذنوبنا، وزين الإيمان في قلوبنا، وسعينا اجعل خالصا صوابا، أعذه يا رباه أن يشاب، بشركٍ أو بدعةٍ أو إعجابٍ، وتب علينا أحسنَ المتاب، ونسأل الله القبولَ والرضى، والختمَ بالحسنى إذا العمرُ انقضى، والحمدلله على إتمامه، ثم صلاةُ الله مع سلامه، على النبي وآله وصحبه وحزبه، وكل مؤمن به، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، وآخرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه : أبو معاذ

حميدان بن إبراهيم بن حامد الصحفي

التمهيـــــد

التمهيـــد

ترجمة موجزة للإمام القرطبي

وفيـــــه: -

- أولاً: اسمه ونسبه ومولده.
- ثانياً: نشأته وطلبه للعلم.
- ثالثاً: مكانته العلمية.
- رابعاً: شيوخه وتلاميذه.
- خامساً: آثاره ومؤلفاته.
- سادساً: وفاته.



أولاً: اسمه ونسبه ومولده[1]

أَجْمع كل من ترجم للقرطبي على أن اسمَه: محمدُ بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح[2] الأنصاري الخزرجي المالكي الأندلسي ثم القرطبي، وقد ذكر ذلك بخطه ~ في كتابه (التذكرة)[3].

وكنيته: أبو عبدالله، أجمع على ذلك كلُ من ترجم له، ولقّبه بعضُهم بشمس الدين[4].

والأندلسي: نسبةً إلى جزيرة الأندلس، التي افتتحها المسلمون على يد طارق بن زياد[5] وموسى بن نصير[6].

والخزرجي: -بفتح الخاء المعجمة، وسكون الزاي، وفتح الراء، وفي آخرها جيم- نسبةً إلى الخزرج أحد فرعي قبيلة الأنصار (الأوس والخزرج) وأصلهم من

---

(١) ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي ص(٧٩)، وطبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٦٥-٦٦)، والديباج المذهب لابن فرحون (٦٩-٣١٧)، والأعلام للزركلي (٥/ ٣٢٢)، وكشف الظنون (١/ ٣٩٠)، وهدية العارفين (٢/ ١٢٩)، والقرطبي ومنهجه في التفسير (٦-٧)، والقرطبي شيخ أئمة التفسير (١١).

(٢) بفتح الفاء وسكون الراء والحاء مهملة.
ينظر: الديباج المذهب (٣١٧).

(٣) ينظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (١/ ١٧).

(٤) ينظر: القرطبي المفسّر ليوسف الفرت ص(٣٣).

(٥) طارق بن زياد البربري ويقال أنه من الصدف: مولى موسى بن نصير، ولاه مولاه طنجة وأعمالها، وهو أول من غزا الأندلس، وافتتح كثيراً منها ثم لحق بها موسى بن نصير.
ينظر: البداية والنهاية (٩/ ٨٣)، تاريخ دمشق (٢٦/ ١٠١)، جذوة المقتبس ص(٢٣٠).

(٦) موسى بن نصير: أبو عبد الرحمن، كان أمير افريقية والمغرب، قيل: أصله من عين التمر، وقيل: هو مولى لبني أمية، وقيل: لامرأة من لخم وهو من التابعين، توفي سنة سبع أو تسع وتسعين.
ينظر: جذوة المقتبس (٣١٧).

اليمن[1] هاجروا منها حين خروج الأزدِ فنزلوا يثربَ[2] ثم عمروها ولم يزالوا بها حتى أتاها النبي ﷺ، فآمنوا به ونصروه فسموا الأنصار[3].

والقرطبي: (بضم القاف، وسكون الراء، وضم الطاء المهملة، وفي آخرها الباء الموحده)[4] نسبةً إلى قرطبة[5] وهي أعظم مدينة بالأندلس.

مولدُهُ: ولد الإمام القرطبي بقرطبة، ولم تُشِر المصادرُ على وجه التحديد إلى سنة ولادته؛ إذ أنَّ كتب التراجم لم تتناول ولادته، ولكن يمكن أن نقارب ذلك فنقول إنَّ ولادته كانت تقريباً في أوائل القرن السابع الهجري[6].

---

(١) اليمن: تقع جنوب غرب الجزيرة العربية؛ جاء في معجم البلدان (٥/ ٤٤٧): « قال الأصمعي: اليمن وما اشتمل عليه، حدودها بين عُمان إلى نجران، ثم يلتوي على بحر العرب إلى عدن إلى الشحر حتى يجتاز عُمان، فينقطع من بينونة ».

(٢) يثرب: بفتح أوله وسكون ثانيه وكسر الراء وباء موحدة، قال أبو القاسم الزجاجي: يثرب مدينة رسول الله ﷺ سميت بذلك ؛لأن أول من سكنها عند التفرق يثرب بن قانية بن مهلائيل بن إرم بن عبيل بن عوض بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام فلما نزلها رسول الله سماها طيبة وطابة كراهية للتثريب.
ينظر: معجم البلدان (٥/ ٤٣٠).

(٣) ينظر: الأنساب (٥/ ١٠٩).

(٤) ينظر: الأنساب (١٠/ ٩٧).

(٥) قرطبة: أعظم مدينة بالأندلس كانت محصنة بسورين من الحجارة ولها بابان مشرعان في نفس السور إلى طريق الوادي من الرصافة، والرصافة مساكن أعالي البلد متصلة بأسفله، أعادها الله للمسلمين عاجلا غير آجل بمنه وكرمه.
ينظر: معجم البلدان (٤/ ٣٢٤).

(٦) ينظر: مسائل الاعتقاد عند القرطبي رسالة ماجستير ص(٤)، والقرطبي شيخ أئمة التفسير ص(٣٢).

ثانياً : نشأته وطلبه للعلم[1]:

نشأ الإمام القرطبي في كنف أبيه وتحت رعايته، في أسرة متواضعة بسيطة عادية، وكان أبوه يشتغل بالزراعة، وكان يباشر حصاد أحد المحاصيل يوم قُتل مع غيره من المسلمين على يد النصارى[2] بقرطبة سنة (٦٢٧هـ).

وعندما بلغ القرطبي من العمر ما يسمح له بتلقي التعليم تعلم العربية والشعر إلى جانب القرآن، وهي طريقة في التعليم انفرد بها أهل الأندلس، وهم في هذا يخالفون سائر الأمصار الإسلامية الأخرى.

ثمَّ واصل القرطبي تعليمَه وتَرقّى فيه فتنقل بين حلقات العلم في قرطبة إلى أنْ غادرها؛ عندما هرب أمام العدو ونجَّاه الله بعد أن سقطت قرطبة في شهر شوال سنة

(٦٣٣هـ)، وبقي في الأندلس في مدنٍ أخرى حتى سقطت الأندلس كاملةً، وغادرها إلى الإسكندرية[3] في مصر[4] وأقام بها فترة من الزمن قبل أن يستقر في الصعيد[5]؛ وذلك لأنَّ الأسكندرية تقع في طريق من يقصد صعيد مصر

---

(١) ينظر: الديباج المذهب (٣٠٨)، والأعلام (٥/ ٣٢٢)، والقرطبي ومنهجه في التفسير لمحمود زلط ص(١٠)، والقرطبي شيخ أئمة التفسير ص (١٥).

(٢) هم أمة المسيح عيسى ابن مريم، وكتابهم الإنجيل، وقد حرفوه.
ينظر: الملل والنحل (١/ ٢٦٢).

(٣) مدينة كبيرة من مدن مصر، تقع على البحر المتوسط، بناها الإسكندر المكدوني عام (٣٢٣ق.م).
ينظر: معجم البلدان (١/ ١٨٣)، وتعريف الأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير (١/ ١٠٤).

(٤) مِصْر: سميت مصر بمصر بن مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام، وهي من فتوح عمرو بن العاص في أيام عمر رضي الله عنه، قال صاحب الزيج: طول مصر أربع وخمسون درجة وثلثان وعرضها تسع وعشرون درجة وربع، وذكر أن مصر من اقليمين من الإقليم الثالث مدينة الفسطاط والإسكندرية.
ينظر: معجم البلدان (٥/ ١٣٧)، البلدانيات (١/ ٢٦١).

(٥) الصعيد: بمصر هو بلاد واسعة كبيرة فيها عدة مدن عظام منها أسوان وهي أوله من ناحية الجنوب ثم قوص وقفط.... وغير ذلك، وهي تنقسم ثلاثة أقسام: الصعيد الأعلى والثاني والأدنى.
=⇐

أو القاهرة[١] من الأندلسيين، سواء جاؤوا عن طريق البر أو البحر[٢].

وتلقى القرطبي أثناء مُقامِه بالأسكندرية ألواناً من الثقافة الإسلامية على يد بعض العلماء[٣].

وبعد أن استقرَّ القرطبي بالأسكندريةِ فترة من الزمان اتجه إلى (مُنْية بني خُصيب)[٤] واستقرَّ بها إلى أنْ توفاه الله.

ينظر: معجم البلدان (٣/ ٤٠٨).

(١) مدينة بجنب الفسطاط يجمعها سور واحد، كبرى مدن مصر وهي العاصمة، بناها القائد الفاطمي، وبها الجامع الأزهر.
ينظر: معجم البلدان (٤/ ٣٠١).

(٢) الطريق من الأندلس إلى الأسكندرية بحراً عن طريق البحر الأبيض المتوسط، وبرّاً بمحاذاة الساحل الشمالي إلى الأسكندرية.

(٣) منهم على سبيل المثال شيخه (أبو بكر الطرطوشي المالكي)، وسيأتي بيانه عند عرض شيوخه.

(٤) منية (بضم الميم وسكون النون، وياء مفتوحة وهاء) مدينة مشهورة بالصعيد الأدنى تقع شمال أسيوط، كثيرة الأهل والسكان وهي نسبة لرجل يسمى (الخطيب أو ابن الخصيب)، وكان حاكماً لها من قبل بعض الخلفاء العباسيين.
ينظر: الخطط التوفيقية (١٦/ ٥١)، معجم البلدان (٥/ ٢١٨).

ثالثاً: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه[1]:

جَمَع أبو عبدالله القرطبي علوماً كثيرةً؛ ويَشهد لذلك ما وصلنا من مؤلفاته، فهو عالمٌ بكثير من العلوم والفنون ومنها:

١- اللغة: ويظهر اهتمامه باللغة والنحو والإعراب والشعر في كتابه (الجامع لأحكام القرآن) ماكان يُرجِّحُ كثيراً فيه باللغة والإعراب والشعر.

٢- التفسير: فهو إمامٌ في التفسير ويدل على ذلك مؤلفاتُه ومنها: كتابه (الجامع لأحكام القرآن) فقد سارت به الركبان واستفاد منه العلماء قديماً وحديثاً.

٣- الحديث: لم يهمل الإمام القرطبي هذا الجانب فقد برع فيه ويظهر ذلك جلياً في مؤلفاته في فن الحديث ومنها كتاب (المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس)، وكتاب (رسالة في ألقاب الحديث).

٤- الفقه: فقد أظهر هذا الإمام براعته في الفقه من خلال كتابه (الجامع) فهو مرجع في الأحكام الفقهية.

٥- القراءات: من خلال بعض مؤلفاته في هذا الجانب ومنها: (الانتهاز في قراءة أهل الكوفة والبصرة والشام وأهل الحجاز).

٦- علوم القرآن: فهو عالمٌ في هذا الفن، ويظهر ذلك من خلال كتبِه المؤلفة فيه ومنها: (التذكار في فضل الأذكار)، وغيرُ ذلك من المؤلفات الدالة على علم هذا الإمام.

ومما يدل على مكانته العلمية نقلُه لكثير من آراء العلماء والمفسرين ممن سبقوه واستفادته منهم، فنقل في كتابه الجامع عن جمعٍ من المفسرين، ورجح أحياناً بناءً على قولهم، وأحياناً يردها وينتقدها، وممن أخذ عنهم:

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٨٤)، وشذرات الذهب (٧/ ٥٨٤)، وكشف الظنون (١/ ٣٩٠-٥٣٤)، والقرطبي ومنهجه في التفسير لمحمود زلط (٣٣-٥٠)، والقرطبي شيخ أئمة التفسير ص(٣٣).

الإمـامِ ابـنِ جريـر الطـبري[1]، والإمـام أبي الحـسن المـاوردي[2]، والإمـام أبي جعفـر النحاس[3]، والعلامة ابن عطية المحاربي[4]، والعلامة محمود الزمخشري[5].

---

(١) ينظر على سبيل المثال في كتابه الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٨٧) (٣/ ٣٤٥) (٤/ ٤٦٥) (٩/ ٧٧).
والطبري هو: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، الإمام أبو جعفر، رأس المفسرين على الإطلاق، أحدالأئمة، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وله التصانيف العظيمة، منها: جامع البيان في تأويل آي القرآن، وهو أجل التفاسير، ومنها تهذيب الآثار، وتاريخ الأمم والملوك، وكتاب القراءات، توفي سنة (٣١٠هـ).
ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي (٨٢-٨٣)، والأعلام (٦/ ٦٩).

(٢) ينظر على سبيل المثال في كتابه الجامع لأحكام القرآن (١/ ٨٧، ١٩٧) (٣/ ٢٧٢، ٣٥٠) (٥/ ١٩٤، ٢٢٢، ٢٤٦، ٥٠٨) (١٠/ ٤٢، ٤٣).
والماوردي هو: علي بن محمد بن حبيب، القاضي أبو الحسن الماوردي البصري، كان عالماً عظيم القدر، له تصانيف حسان في فنون كثيرة، ومنها: (الحاوي) في الفقه، وله تفسير (النكت والعيون)، وكتاب (أدب الدنيا والدين)، توفي سنة (٤٥٠هـ).
ينظر: طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٤٢٧-٤٢٩)، والأعلام (٤/ ٣٢٧).

(٣) ينظر على سبيل المثال في كتابه الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٠٠، ٢٤٥، ٣٢٨، ٣٢٩) (٥/ ٥٠٨) (٦/ ٦٦) (٩/ ١٠٩).
والنحاس هو: أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحوي المفسر، المعروف بالنحاس، زادت مصنفاته على الخمسين، كان واسع العلم غزير الرواية، توفي سنة (٣٣٨هـ).
ينظر: معجم الأدباء (٤/ ٢٢٤)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٠١)، وهدية العارفين (١/ ٦١).

(٤) ينظر على سبيل المثال في كتابه الجامع لأحكام القرآن (١/ ٤٤، ٦٧، ١٠١، ١٩٧) (٣/ ٢٧١) (٤/ ١٨٢، ٢٠٥، ٣٢٣) (٥/ ٥٢) (٦/ ٨٠، ١٢٤).
وابن عطية هو: عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن عطية، أبو محمد الغرناطي القاضي، الإمام الكبير، قدوة المفسرين، كان فقيهاً عالماً بالتفسير والأحكام والحديث والفقه والنحو واللغة والأدب، له تفسير [المحرر الوجيز] أحسن فيه وأبدع، توفي سنة (٥٤١هـ).
ينظر: طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٢٦٥-٢٦٧)، وسير أعلام النبلاء (١٩/ ٨٥٦)، وطبقات المفسرين للسيوطي ص(٦٠).

(٥) ينظر على سبيل المثال في كتابه الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٩١)(٦/ ١٨، ١٩، ٢٠، ٦٥، ١٢٤) (٧/ ٨٦).

=⇦

ومما يدل - أيضاً - على مكانته العلمية: نقلُ كثير من المفسرين عنه في كتبهم بل قد يرجحون بقوله، وممن نقل عنه: العلامة أبو حيان الأندلسي في كتابه (البحر المحيط)[(١)]، ونقل عنه أيضاً: الإمام الحافظ ابن كثير في تفسيره[(٢)]، ونقل عنه العلامة محمد بن علي الشوكاني في تفسيره[(٣)]، ونقل عنه - أيضاً- العلامة ابن عاشور في تفسيره[(٤)]، وغيرُهم.

=

والزمخشري هو: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم، من أئمة التفسير واللغة والأدب، جاور مكة فلقب: بجار الله، من أشهر كتبه (الكشاف، وأساس البلاغة)، توفي سنة(٥٣٨هـ).

ينظر: الأعلام للزركلي (٧/ ١٧٨-١٧٩)، وسير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٣٦).

(١) ينظر: البحر المحيط (٢/ ١٠١، ٢٥٤، ٣٦٣) (٣/ ٦٩، ٧٧) (٤/ ١١٢، ١١٩) (٥/ ٢١٠) وغيرها.

وأبوحيان هو: محمد بن يوسف بن علي بن حيان، أثير الدين، أبو حيان الأندلسي الغرناطي، نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه، توفي سنة(٧٤٥هـ).

ينظر: طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٤٩٢)، والرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة لمحمد بن جعفر الكتاني (١٠١).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٤، ٤٤، ١٠١، ١٢٥، ١٣٣، ١٧٩، ٢٥١، ٢٥٩، ٤٤٩، ٤٦٣، ٥٢١) (٤/ ٥٠٣) (٥/ ٦١).

وابن كثير هو: إسماعيل بن عمر بن كثيرالقرشي، الإمام الحافظ المحدث الفقيه المفسر المؤرخ، صاحب التصانيف، تتلمذ على المزي وصاهره وأخذ عنه، توفي سنة (٧٧٤هـ).

ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ ابن حجر العسقلاني (١/ ٣٩٩)، والأعلام للزركلي(٥/ ٢١٩).

(٣) ينظر: فتح القدير (١/ ٧، ١٥، ٢٢، ٤٢٩) (٢/ ٨، ٤١، ٧٥) (٣/ ٣٥٥).

والشوكاني هو: محمد بن علي الشوكاني، الفقيه الأصولي المفسر، صاحب التصانيف، من علماء اليمن، تولى قضاء صنعاء، وكان داعيا للاجتهاد نابذاً للتقليد، توفي سنة(١٢٥٠هـ).

ينظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٢٩٨)، والمؤرخون اليمنيون في العصر الحديث ص(٦٥).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (١/ ٣٠١، ٣٤٨) (٢/ ٦٢، ٢٢٩) (٣/ ٤٣٩) (٤/ ١٤٥).

=

وقد أثنى المؤرخون والعلماء على الإمام القرطبي ~ وامتدحوه، فقال عنه الذهبي[١]: "إمامٌ متفننٌ متبحر في العلم، له تصانيفُ مفيدةٌ تدل على كثرة اطلاعه، ووفورِ فضله، وقد سارت بتفسيره العظيم الركبان، وهو كاملٌ في معناه، وله أشياء تدل على إمامته، وذكائه، وكثرة اطلاعه"[٢].

وقال ابن فرحون[٣]: "الإمام أبو عبدالله الأنصاري الأندلسي القرطبي المفسر كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين الورعين، الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة، وأوقاته معمورةٌ ما بين توجيه وعبادة وتصنيف، وكان قد اطَّرح التكلف، يمشي بثوب واحد، وعلى رأسه طاقيةٌ"[٤].

وابن عاشور هو: محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، شيخ جامع الزيتونة، توفي سنة(١٣٩٣هـ).

ينظر: الأعلام (٦/ ١٧٤).

(١) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبدالله الذهبي، وكان من أسرة تركمانية الأصل، عالمٌ بالقراءات والحديث وعلم الرجال والتاريخ وله مؤلفات كثيرة في ذلك، توفي سنة (٧٤٨هـ) على خلاف.

ينظر: مقدمة كتابه سير أعلام النبلاء (١/ ١٧-٥٠)، والأعلام (٥/ ٣٢٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٨٤).

(٣) إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري، عالم، ولد ومات في المدينة، وهو مغربي الأصل، من شيوخ المالكية، له مؤلفات منها (الديباج المذهب)، توفي سنة (٧٩٩هـ).

ينظر: الأعلام (١/ ٥٢).

(٤) الديباج المذهب (٣١٧).

رابعاً: شيوخه وتلاميذه[1]:

كان القرطبي ~ محباً للعلم مهتماً به، ويتطلع إلى أوسع الآفاق في التحصيل، وينتقل من مكان إلى آخر لطلب المعرفة في مختلف المدن.

وتتلمذ ~ على شيوخ فضلاء ويمكن أن نقسمهم إلى قسمين:

أولاً: شيوخه في قرطبة قبل قدومه مصر:

(١) أحمد بن محمد القيسي، أبو جعفر، المعروف بابن أبي حُجة، عالم بالعربية وعلوم القرآن، توفي سنة (٦٤٣هـ)[2]، وهو من شيوخ القرطبي الأوائل، واستفاد منه كثيراً، ويستشهد به كثيراً في مصنفاته، وهو الشيخ الأول الذي سأله القرطبي في غسل والده والصلاة عليه يوم مقتله في الحادثة التي شنها الأعداء على قرطبة، قال ~ : "فسألت شيخنا النحوي المقرئ الأستاذ أبا جعفر أحمد المعروف بابن أبي حجة، فقال: غسّله وصلِّ عليه، فإن أباك لم يقتل في المعترك بين الصفين"[3].

(٢) ربيع بن عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالرحمن بن ربيع الأشعري، قاضي قرطبة، ويكنى: أبا سليمان، وكان رجلاً صالحاً[4]، وقد أخذ عنه كثيرون، وكان منهم أبو عبدالله، وقد سأله القرطبي بعد أن سأل ابن أبي حجة عن غسل والده فقال: "ثم سألت شيخنا ربيع بن عبدالرحمن بن أحمد بن ربيع عن أبي فقال: إنَّ حكمه حكم القتلى في المعترك"[5].

---

(١) ينظر: الديباج المذهب (٦٨-٦٩)، وعصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس (٢/ ٦٧٥)، والأعلام (١/ ١٧٨)، والقرطبي ومنهجه في التفسير لمحمود زلط (٤٠-٤٤)، والقرطبي شيخ أئمة التفسير (٦٣ـ ٩٥).

(٢) ينظر: بغية الوعاة للسيوطي (١/ ٣٨٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٤٦٢).

(٤) ينظر: الديباج المذهب (١/ ١٠).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٤٦٢).

(٣) يحيى بن عبدالرحمن بن أحمد الأشعري، المعروف بابن أبي عامر، أخو ربيع الأشعري، من أهل قرطبة، توفي سنة(٦٤٠هـ)، وقد ذكره القرطبي ونعته بقوله: شيخنا القاضي لسان المتكلمين[١].

(٤) ابن قطرال، القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن حفص المعروف باليحصبي، كان كاتباً محدثاً، وأشار القرطبي إلى شيخه هذا بقوله: "ثم سألت قاضي الجماعة أبا الحسن علي بن قطرال وحوله جماعة من الفقهاء فقالوا: غسله وكفنه وصلِّ عليه"[٢].

ثانياً: شيوخه في الإسكندرية وغيرها من مدن مصر بعد قدومه من قرطبة، وهم:

(١) المحدث: رشيد الدين أبو محمد عبدالوهاب بن رواج. واسمه: ظافر بن علي بن فتوح الأزدي الأسكندراني المالكي، وهو من أئمة الحديث والفقه، توفي سنة

(٦٤٨هـ)، وقد أشار القرطبي إلى شيخه هذا بقوله: "وأنبأنا الشيخ المسن الحاج الرواية أبو محمد عبدالوهاب بن ظافر بن علي بن فتوح بن الحسن القرشي – عرف بابن رواج – بمسجده بثغر الأسكندرية حماه الله"[٣].

(٢) ابن الجميزي، العلامة: بهاء الدين أبو الحسن، علي بن هبة الله بن سلامة بن المسلم بن أحمد بن علي اللخمي المصري الشافعي، وهو من أعلام الحديث والفقه والقراءات والنحو، توفي سنة (٦٤٩هـ)، وقد أشار القرطبي إلى شيخه هذا بقوله: "أنبأنا الشيخ الفقيه الإمام مفتي الأنام: أبو الحسن علي هبة الله الشافعي بمنية بني خصيب على ظهر النيل"[٤].

---

(١) ينظر: التذكرة (٣/ ١١١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٤٦٢).

(٣) التذكرة (١/ ١٩٣).

(٤) المصدر السابق (١/ ١٩٣).

=⇦

(٣) أبو العباس، أحمد بن عمر بن إبراهيم المالكي القرطبي، صاحب (المفهم)، تعلم عليه الحديث والفقه، توفي سنة (٦٥٦هـ)، وقد تعلم منه القرطبي وأكثر من ذكره ووصفه بأنه: من العلماء المحققين[1].

(٤) صدر الدين البكري، وهو: الحسن بن محمد بن عمر بن عمروك التميمي النيسابوري الدمشقي، أبو علي، تتلمذ عليه في التاريخ والحديث، ووصف أنه كثير التخليط ثم صلحت حاله، توفي سنة (٦٥٦هـ)[2].

(٥) عبدالمعطي بن محمود بن عبدالمعطي، أبو محمد اللخمي، المتوفى سنة (٦٣٨هـ)، وقد أخذ عنه القرطبي شرحه لرسالة القشيري، واستفاد منها في تفسيره، فهو ينقل منها فيقول: "وقد ذكر شيخنا الإمام أبو محمد عبدالمعطي بن محمود اللخمي في شرح الرسالة.."[3].

تلاميـــذه:

تكاد تُجْمِع كتب التراجم على إغفال تلاميذ القرطبي، فلا يكاد يُذكر أحد منهم إلَّا في النادر، ولعل ذلك يعود إلى عدم اختلاط القرطبي بالناس، خصوصاً مع شكواه المتكررة في كتبه من ظهور الفساد والمنكرات، ومعاصرته لسقوط قرطبة، وخروجه منها حزيناً، فاشتغل بالطلب، وعكف على كتبه بالنظر فيها، والتأليف والكتابة ~ ، ولذلك فإن تلاميذه لا يكادون يجاوزون أصابع اليدين، مع وفور علم هذا الإمام وجلالة قدره.

والنيل: بكسر أوله، في مواضع: أحدها بليدة في سواد الكوفة قرب حلّة بني مزيد يخترقها خليج كبير يتخلج من الفرات الكبير حفره الحجاج بن يوسف وسماه بنيل مصر.

ينظر: معجم البلدان (٥/ ٣٣٤)، مروج الذهب ومعادن الجوهر (١/ ٣٥٢).

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٩).

(٢) ينظر: الوافي بالوفيات (١١/ ٣١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٥٥١).

وسوف نشير إلى عدد من تلاميذه الذين وجدوا في بطون الكتب، ومنهم:

(١) ابنه شهاب الدين أحمد. قال السيوطي[١]: روى عنه -أي: عن القرطبي- بالإجازة ولده شهاب الدين أحمد[٢]، كان عالماً مشاركاً في الفنون.

(٢) أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير بن عاصم الثقفي، العاصمي الغرناطي، الإمام الحجة، الحافظ، العلامة، شيخ القرَّاء والمحدثين بالأندلس وغيره، توفي بغرناطة سنة(٧٠٨هـ). ذكر تلمذته على القرطبي المراكشي[٣] في ذيل الصلة[٤].

(٣) إسماعيل بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالصمد الخراساني، توفي سنة (٧٠٩هـ). نصَّ ابن حجر[٥] على سماعه من القرطبي[٦].

(٤) ضياء الدين أحمد بن أبي السعود بن أبي المعالي البغدادي، المعروف بـ: (السطريجي)، ناوله القرطبي كتابه التذكرة، وكتب إليه بخطه ما نصُّه: "ناولت جميع هذا الكتاب ضياء الدين أحمد بن أبي السعود بن أبي المعالي البغدادي

---

(١) أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي، صاحب المصنفات العديدة وأشهرها الدرَّ المنثور، والإتقان في علوم القرآن، توفي سنة (٩١١هـ).
ينظر: طبقات المفسرين ص(٣٦)، وشذرات الذهب لابن العماد (٨/ ٥١).

(٢) ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي ص(٧٩).

(٣) المراكشي: محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي، أبو عبد الله، مؤرخ أديب، من القضاة، من أهل مراكش، ولي القضاء بها مدة، من كتبه الذيل والتكملة لكتاب الصلة، توفي بتلمسان سنة (٧٠٣هـ).
ينظر: الديباج (١/ ١٦٨)، الأعلام (٧/ ٣٢).

(٤) ينظر: ذيل الصلة (٥/ ٥٨٥).

(٥) ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، من الحفاظ المحدثين الفقهاء، مصنفاته أربت على مائة وخمسين مصنفاً، وتوفي سنة (٨٥٢هـ).
ينظر: الضوء اللامع (٢/ ٣٦)، وشذرات الذهب (٧/ ٢٧٠)، والبدر الطالع ص(١٠٣).

(٦) ينظر: الدرر الكامنة (١/ ٣٧٩).

المعروف بـ (السطريجي) وأذنت له أن يناوله من شاء"[1].

(٥) ابن عميرة. وهو: أحمد بن عبدالله بن محمد بن الحسن المعروف بـ (ابن عميرة)، وقد كان عالماً فقيهاً، وُلِّي القضاء في عدة مدن أندلسية، توفي في تونس[2].

(٦) أبو بكر الميموني. وهو: محمد بن الإمام الشهيد كمال الدين أبي العباس أحمد بن أمين الدين بن الميمون القسطلاني المصري، الفقيه المالكي[3].

---

(١) التذكرة (١/ ٢٣٤).

(٢) ينظر: الديباج المذهب ص(٤٦).

وتونس: مدينة تقع على ساحل البحر المتوسط، عمرت على أنقاض مدينة قرطاجة، وهي اليوم عاصمة الجمهورية التونسية.

ينظر: معجم البلدان (٢/ ٦٠)، والبلدان لليعقوبي (١/ ٤٦) (باب القيروان).

(٣) ينظر: العبر في خبر من غبر (٥/ ١٤٨).

خامساً: آثاره ومؤلفاته[1]:

ذكر المؤرخون للقرطبي مؤلفاتٍ كثيرةٍ اشتهر بها وألفها في ألوانٍ من العلوم والثقافات الإسلامية؛ التي تدلُ على ذوقه الرفيع، وبراعته، ودقته، وحسن ترتيبه، وعلمه الجم، وفهمه الواسع، وقدرته العجيبة على التأليف بأنصع أسلوب وأجمله وأسهله، وفيما يلي أبرز مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة:

المؤلفات المطبوعة:

١- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآداب الفرقان، المتداول المعروف بـ (تفسير القرطبي)، وهو أهم وأفضل كتبه العلمية، وله منزلة عالية بين كتب التفسير، فهو من أجلِّها؛ لما اشتمل عليه من بسط لمعاني القرآن، وتفصيل في أحكامه، وإيراد قراءاتٍ وإعرابٍ فيه، وشواهد شعرية، ومباحث لغوية، وردٍّ على أهل البدع والأهواء، وجمع فيه القرطبي ~ من شتى أنواع العلوم، وخصَّ منها أحكام القرآن بالتفصيل، وأسقط منه القصص والتواريخ، وقد أثنى عليه العلماء: فقال ابن تيمية[2] فيه بعد ذكره لتفسير الزمخشري: "وتفسير القرطبي خيرٌ منه بكثير، وأقرب إلى طريقة أهل الكتاب والسنة، وأبعد عن البدع"[3]، وقال السيوطي: "مصنف التفسير المشهور الذي سارت به الركبان"[4]، وللكتاب طبعات عديدة أولها طبعة دار الكتب المصرية في عشرين مجلداً، وآخرها وأفضلها طبعة الرسالة التي أشرف على تحقيقها

(١) ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٥/ ٢٠٦-٢٠٧)، وكشف الظنون (١/ ٥٣٤)، والديباج المذهب (٣١٧)، والقرطبي شيخ أئمة التفسير (٩٧-١٥٥).

(٢) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني شيخ الإسلام، أبو العباس، العلامة الفقيه، المجتهد الناقد، المفسر البارع الأصولي، الإمام المجدد، توفي سنة (٧٢٨هـ).
ينظر: تذكرة الحفاظ (٤/ ١٩٢-١٩٢)، وطبقات الحفاظ ص(٥١٦)، وطبقات المفسرين للداوودي ص(٣٧).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/ ٣٨٧).

(٤) طبقات المفسرين ص(٧٩).

الدكتور: عبدالله التركي في أربعة وعشرين مجلداً، وقد ذكر صاحب كشف الظنون: أنَّ للكتاب مختصراً، لسراج الدين عمر بن علي بن الملقن الشافعي، المتوفى سنة (٨٠٤هـ).

٢- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة. وقد تناول فيه القرطبي: أحوال الموتى والقيامة والجنة والنار والفتن وأشراط الساعة، وطبعتهُ المكتبة الأزهرية بتحقيق: أحمد السقا، وطبعة أخرى عن دار ابن زيدون في بيروت بتحقيق: الجميلي فيها تخريج الآيات وبيان بعض الغريب، وقد اختصر الكتابَ الشعرانيُّ وسماه: (مختصر التذكرة للقرطبي) وهو مطبوع متداول، والسحيمي وسماه: (التذكرة الفاخرة في أحوال الآخرة).

٣- التذكار في فضل الأذكار. وهو مطبوع متداول، وقد جعله في أربعين باباً في فضل كتابه العزيز وقارئه ومستعمله والعامل به. ولعلَّ أجود طبعاته طبعة دار البيان بتحقيق عبدالقادر الأرناؤوط.

٤- قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذلّ السؤال بالكسب والصناعة، ومنهجه فيه: يقوم بإيراد الحديث والحديثين، مع عزوهما إلى مصادرهما، ثمَّ يقوم بشرحهما من الناحية اللغوية، وهو مطبوع عن مكتبة الصحابة بتحقيق: مجدي السيد، في: ٢١٤ صفحة.

الكتب المخطوطة:

١- الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا. ألفه القرطبي قبل كتابه (الجامع) و (التذكار)، وقد أحال القرطبي ~ كثيراً عليه في تفسيره[1]، وقال صاحب كشف الظنون عن هذا الكتاب بعد أن نسبه إلى القرطبي: ذكر في أوله واحداً وأربعين فصلاً في ذكر ما يتعلق بها من الأحكام[2]، وتوجد لهذا الكتاب نسخة خطية

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١/ ٣٢٦) (٢/ ٢٤١) (٣/ ٣٨٢).

(٢) ينظر: كشف الظنون (٢/ ١٥).

من مجلدين في مكتبة (عارف حكمت).

٢- الإعلام في معرفة مولد المصطفى عليه الصلاة والسلام. ذكره القرطبي في تفسيره[(١)]، عند قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝١٠٧﴾ [الصافات:١٠٧]، ويوجد نسخة خطية في مكتبة طوب قاي بإستنبول[(٢)].

٣- الانتهاز في قراءة أهل الكوفة والبصرة والشام وأهل الحجاز. ذكره القرطبي في كلامه حول ترك البسملة في سورة براءة[(٣)].

٤- المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس[(٤)]. ذكره القرطبي في تفسيره مراراً، ومنها عند قوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [البقرة:٢٠٣].

٥- منهج العباد ومحجة السالكين والزهاد. ذكره القرطبي في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:٤٤].

٦- أرجوزة جمع فيها أسماء النبي ﷺ[(٥)].

٧- اللمع اللؤلؤية في شرح العشرينيات النبوية. ذكره في كتابه التفسير مرتين، ومنها عند قوله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الدخان:٣٧]، وقد أشار عدد ممن ترجم له لأغلب هذه المؤلفات[(٦)].

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٦٦).

(٢) ينظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير ص(١٤٨).

(٣) ينظر: التذكار في فضل الأذكار ص(٢٩).

(٤) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي، أبو عبد الله، شيخ الإسلام، إمام دار الهجرة، صاحب المذهب المشهور، توفي سنة (١٧٩هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٣١٤٥)، التاريخ الكبير (٧/ ٣١٠)، تقريب التهذيب (١/ ٥١٦).

(٥) ذكرها له حاجي خليفة في كشف الظنون (١/ ٦٢)، والداوودي في طبقات المفسرين (٢/ ٦٦).

(٦) منهم: الزركلي في الأعلام (٥/ ٣٢٢)، والسيوطي في طبقات المفسرين (١/ ١٥)، والديباج المذهب لابن فرحون ص(٣١٧)، ومقدمة تفسير القرطبي (١/ ١٨-٢٤)، والقرطبي شيخ أئمة التفسير ص(١٤٥).

سادساً: وفاته[1]:

بعد حياة حافلة بالعلم والمعرفة والتنقلات من قرطبة عند سقوطها في الأندلس إلى الأسكندرية ومن ثمَّ إلى مصر، استقرَّ الإمام الجليل: أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي في (منية بني خصيب)، وهي مدينة تقع بالصعيد الأدنى بمصر، شمال أسيوط[2]، ويقال لها اليوم (المِنْيا)، وبقي فيها إلى أنْ توفاه الله ليلة الاثنين التاسع من شوال من سنة إحدى وسبعين وست مئة ودفن فيها، بشرق النيل، وقبره معروف اليوم بمكان يسمى: (أرض سلطان بالمِنْيا)، وأقيم عليه حديثاً سنة(١٩٧١م)، بناءُ مسجدٍ كبير يحمل اسم هذا العالم الجليل، ويضمُّ ضريحاً نُقِلَت رُفات القرطبي إليه من الضريح القديم[3].

رحم الله هذا العالم الجليل، وجميع علماء المسلمين، ونفع بعلمه وأسكنه فسيح جناته.



---

(١) ينظر: الوافي بالوفيات (٢/ ١٢٢)، والديباج المذهب ص(٣١٧)، وطبقات المفسرين للسيوطي ص(٧٩)، والقرطبي ومنهجه في التفسير ص(٣٠)، والقرطبي شيخ أئمة التفسير ص(٤٥-٤٦).

(٢) أسيُوط: مدينة على الضفة الغربية من النيل من نواحي صعيد مصر وهي مدينة جليلة كبيرة. ينظر: معجم البلدان (١/ ١٩٣).

(٣) وهذا الفعل (بناء المساجد على القبور والأضرحة أو نقل الأضرحة إليها) لا يجوز وهو من البدع الشركية، يبرأ من هذا الفعل الإمام القرطبي وأهل السنة والجماعة. والله أعلم.

القسم الأول



<u>وفيـــه فصـــلان</u>: -

- **الفصل الأول: منهج الإمام القرط   تفس ه.**
- **الفصل الثاني: منهج الإمام القرط   الترجيح.**



منهج الإمام القرطبي في تفسيره

وفيه ثلاثة مباحث: -

- المبحث الأول: تفس ه القرآن با أثور.
- المبحث الثاني: تفس ه القرآن باللغة.
- المبحث الثالث: تفس ه القرآن بالرأي.

المبحث الأول

تفسيره القرآن بالمأثور

ويشتمل على ستة مطالـــب:

- المطلب الأول: **تفس ه القرآن بالقرآن.**
- المطلب الثاني: **تفس ه القرآن بالسنة.**
- المطلب الثالث: **تفس ه القرآن بأقوال الصحابة.**
- المطلب الرابع: **تفس ه القرآن بأقوال التابع .**
- المطلب الخامس: **تفس ه القرآن بأقوال من جاء بعد عصر التابع .**
- المطلب السادس: **عنايته بالقراءات.**

** ** **

تفسيره القرآن بالمأثور

إن المتأمل في تفسير القرطبي ليدرك مدى اهتمامه بتفسير القرآن بالمأثور من كلام الله ﷻ، وكلام رسوله ﷺ، وأقوال الصحابة ﵃ وتابعيهم -رحمهم الله-، وقد دعا إليه أولاً كما يُفهم من عبارته "والنقل والسماع لابُدَّ له منه في ظاهر التفسير أولاً ليتَّقي به مواضع الغلط"[1].

وسيكون توضيح ذلك وبيانه من خلال المطالب التالية.



(١) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٥٩).

المطلب الأول: تفسيره القرآن بالقرآن

يعتبر تفسير القرآن بالقرآن أحسنُ طرق التفسير وأصحها[1] إذ لا أحد أعلم بمراد كلام الله منه سبحانه وتعالى.

وقد اهتم الإمام القرطبي بهذا النوع من التفسير، وظهر ذلك جلياً في تفسيره في أمثلة كثيرة منها:

١- ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾ [الشورى:١٤].

قال: " قال ابن عباس[2]: يعني قريشاً، ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾ محمد ﷺ؛ وكانوا يتمنون أن يبعث إليهم نبي؛ دليله قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٌ﴾ [الآية:٤٢] يريد نبياً، وقال في سورة البقرة: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [الآية:٨٩] "[3].

٢- وعند تفسيره لقوله تعالى ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلًا﴾ [الزخرف:١٧].

قال: " أي: بأنه ولدت له بنت ﴿ظَلَّ وَجۡهُهُۥ﴾، أي: صار وجهه، ﴿مُسۡوَدًّا﴾ قيل: ببطلان مثله الذي ضربه. وقيل: بما بُشر به من الأنثى، دليله في سورة النحل: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ﴾ [النحل:٥٨] "[4].

٣- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَزُخۡرُفًا﴾ [الزخرف:٣٥].

قال: "الزخرف هنا الذهب؛ عن ابن عباس وغيره. نظيره: ﴿أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٌ

---

(١) ينظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص(٧٤)، والاتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢/ ٣٨٧).

(٢) عبدالله بن عباس بن عبد المطلب القرشي، الهاشمي، أبو العباس، حبر الأمة وبحرها، الصحابي الجليل، ابن عم رسول الله ﷺ، كُفَّ بصره في آخر عمره، توفي سنة(٦٧هـ).
ينظر: صفة الصفوة (١/ ٣٧٩)، ومعرفة القراء الكبار ص(٢٢-٢٣)، وغاية النهاية (١/ ٤٢٥-٤٢٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٥٣).

(٤) المصدر السابق (١٩/ ١٨).

﴿مِّن زُخۡرُفٍ﴾ [الإسراء:٩٣]" (١).

٤- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ﴾ [الزخرف:٥٤].

قال: "قال ابن الأعرابي(٢): المعنى: فاستجهل قومه ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾ لخفة أحلامهم وقلة عقولهم؛ يقال: استخفه الفرح، أي: أزعجه، واسخفه، أي: حمله على الجهل، ومنه: ﴿وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم:٦٠]" (٣).

٥- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ [الدخان:٥٨].

قال: "يعني القرآن، أي: سهَّلناه بلغتك عليك وعلى من يقرؤه ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾، أي: يتعظون وينزجرون، ونظيره: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧] "(٤).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٤٢).

(٢) محمد بن زياد الأعرابي، أبو عبد الله، كان علامة نحوياً لغوياً فقيهاً محدثاً، قوي الحفظ، يقال: أملى على الناس ما يحمل على أجمال، ولم يُر في الشعر أحد أغزر منه، توفي سنة (٢٣١هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (٥/ ٢٨٢-٢٨٤)، ومعجم الأدباء (٥/ ٣٣٦-٣٤٠)، والفهرست ص(١٠٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٦٣).

(٤) المصدر السابق (١٩/ ١٤١).

المطلب الثاني: تفسيره القرآن بالسنة

إن تفسير القرآن بالسنة النبوية المطهرة يعد أصح طرق التفسير بعد القرآن، فهي شارحة وموضحة له[1].

إذ رسول الله ﷺ هو أعلم الناس بمراد كلام الله، وهذا البيان من مهام رسالته، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤].

وقد نهج القرطبي في تفسيره المأثور عن رسول الله ﷺ هذا المنهج، فكان يقف عنده ويقتصر عليه في شرح اللفظ والآية، ولا يستعرض غيره من آراء المفسرين؛ لأنه لا مجال للاجتهاد والرأي مع النص ويتضح ذلك فيما يلي:

١ - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ [الزخرف:١٢].

قال: "قال سعيد بن جبير[2]: الأنعامُ هنا الإبل والبقر، وقال أبومعاذ[3]: الإبلُ وحدَها، وهو الصحيح؛ لقولهِ عليه الصلاة والسلام: " بينما رجلٌ راكبٌ بقرةً إذ قالت له: لَمْ أُخلَق لهذا، إنما خُلِقتُ للحرث ". فقال النبي ﷺ: آمنتُ بذلك أنا وأبو بكر وعمر ". وما هما في القوم" [4].

---

(١) ينظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص(٨٤).

(٢) سعيد بن جبير الأسدي الكوفي، أبو عبد الله، ثقة ثبت فقيه، أعلم التابعين على الإطلاق، قُتِلَ ~ بين يدي الحجاج بن يوسف المبير، سنة(٩٥هـ).
ينظر: مشاهير علماء الأمصار ص(٨٢)، والثقات (٤/ ٢٧٥)، ومعرفة القراء الكبار (١/ ٦٧)، وغاية النهاية (١/ ٣٠٥).

(٣) الفضل بن خالد النحوي المروزي، له كتاب حسن في القرآن، توفي سنة (٢١١هـ).
ينظر: الثقات لابن حبان (٩/ ٥)، ومعجم الأدباء (٤/ ٥٦٥).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٢).
والحديث أخرجه بهذا اللفظ عن أبي هريرة الترمذي في سننه: ١٠/ ١٢٥ح(٣٨٣١)، كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ؛ وهو عند البخاري في صحيحه: ٣/ ١٣٣٩ح(٣٢٨٣)، كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: قول النبي ﷺ؛ ومسلم في صحيحه: ١٥/ ١٣٢ح(٦١٣٦)، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، =

٢- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف:٦١].

قال: "وقال ابن عباس ومجاهد[١] والضحاك[٢] والسدي[٣] وقتادة[٤] أيضا: إنه خروج عيسى عليه السلام، وذلك من أعلام الساعة؛ لأن الله ينزله من السماء قبيل قيام الساعة، كما أن خروج الدجال من أعلام الساعة... وفي صحيح مسلم[٥]: " فبينما هو - يعني المسيح الدجال- إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي

=

باب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، بلفظ: أن سعيد بن المسيب وأبو سلمة عبدالرحمن سمعا أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بينما رجل يسوق بقرة له، قد حمل عليها، التفتت إليه البقرة فقالت: إني لم أخلق لهذا.ولكني إنما خلقت للحرث) فقال الناس: سبحان الله تعجباًوفزعاً، أبقرة تتكلم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فإني أومن به وأبو بكر وعمر).

(١) مجاهد بن جبر بن السّائب المخزومي، أبو الحجاج، شيخ القراء والمفسرين، روى عن ابن عباس فأكثر وأطاب، توفي سنة (١٠٤هـ).
ينظر: طبقات الفقهاء للشيرازي ص(٦٩)، وحلية الأولياء (٣/ ٣١٩)، والعقد الثمين (٧/ ١٣٢)، والمعرفة والتاريخ (١/ ٧١١).

(٢) الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو محمد، صاحب التفسير، كان من أوعية العلم، توفي سنة (١٠٥هـ) على الأرجح.
ينظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٨)، وغاية النهاية (١/ ٣٣٧)، وطبقات المفسرين للداوودي (١/ ٢٢٢).

(٣) إسماعيل بن عبد الرحمن السّدّي، أبو محمد، صاحب التفسير، والمغازي، والسير، وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس، توفي سنة (١٢٧هـ) على الأرجح.
ينظر: التاريخ الكبير (١/ ٣٦٠)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٤)، والوافي بالوفيات (٩/ ١٤٢).

(٤) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي، أبو الخطاب، مفسّر حافظ، تابعي تكلم في القدر، وربما دلس في الحديث، توفي سنة (١١٨هـ).
ينظر: الثقات (٥/ ٣٢٣)، وتذكرة الحفاظ (١/ ٩٢)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٤٨٢).

(٥) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو الحسن، إمام أهل الحديث صاحب الصحيح أصح كتاب في الحديث بعد صحيح البخاري وهو الإمام الكبير الحافظ المجود الصادق توفي سنة (٢٦١هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٨٣٥)، وفيات الأعيان (٥/ ١٩٤)، تقريب التهذيب ص(٩٣٨).

دمشق[1] بين مَهْرُودَتَيْن[2] واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ[3] رأسه قطر[4]، وإذا رفعه تحدر منه جمان[5] كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ[6]، فيقتله.."الحديث."[7].

٣ – وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾ [الزخرف:٧١]

قال: " أي: لهم في الجنة أطعمة وأشربة يطاف بها عليهم في صحاف[8] من ذهب

---

(١) دمشق: قصبة بلاد الشام، وجنة الأرض لما فيها من النضارة، افتتحت في خلافة عمر بن الخطاب صلحاً، قيل أول من بناها بيوراسف.

ينظر: معجم البلدان (٢/ ٤٦٣)، آثار البلاد (١/ ٧٥)، معجم البلدان (١/ ٣٧).

(٢) مهرودتين: المهرودتان: ثوبان مصبوغان بِوَرس ثم بزعفران، وقال القاضي عياض: الهرد: الشق، وكأن المعنى بين شقتين أو حلتين.

ينظر: لسان العرب (٣/ ٤٣٥) (هرد)، وإكمال المعلم (٨/ ٢٤٣).

(٣) طأطأ عن الشيء: خفض رأسه عنه... وقد تَطَأْطأ إذا خفض رأسه ونكسه.

ينظر: لسان العرب (١/ ١١٣) (طأطأ)، تفسير غريب ما في الصحيحين (١/ ٨٠).

(٤) قطر الماء والدمع وغيرهما من السِّيال، وتقطير الشيء: إسالته، والمراد قطر يعني من العرق.

ينظر: لسان العرب (٥/ ١٠٥) (قطر)، كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ١١٣٧).

(٥) الجُمان: هو اللؤلؤ الصغار، وقيل: حَبٌّ يُتخذ منه الفضة، أمثال اللؤلؤ.

ينظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ٢٩٤)، لسان العرب (١٣/ ٩٢) (جمان).

(٦) باب لُد: بالضم، بلدة قريبة من بيت المقدس من نواحي فلسطين.

ينظر: معجم البلدان (٥/ ١٥)، ومعجم ما استعجم (٤/ ١١٥٣).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٦٩-٧٠).

الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه، حديث رقم (٧٣٢٢) (١٨ / ٥١).

(٨) الصِحاف: جمع صحفة، وهي إناء كالقصعة المبسوطة ونحوها، وهي تشبع الخمسة ونحوهم.

ينظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٥)، ولسان العرب (٩/ ١٨٦) (صحف).

وأكواب، وفي الصحيحين عن حذيفة[1] أنه سمع النبي ﷺ يقول: " لا تلبسوا الحرير ولا الديباج[2]، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها ؛ فإنها لهم في الدنيا، ولكم في الآخرة "[3].

---

(١) حذيفة بن حِسْل بن جابر العبسي، واليمان لقب حِسْل بن جابر، أبو عبد الله، صحابي، من الولاة الشجعان الفاتحين، صاحب سرّ النبي في المنافقين، لم يعلمهم أحدٌ غيره، توفي سنة (٣٦هـ).

ينظر: تاريخ ابن معين ص(١٠٤)، وحلية الأولياء (١/ ٣٣٨)، وأسد الغابة (١/ ٥٧٢).

(٢) الدّيباج: هو الثياب المتخذة من الإبْريسم، فارسي مُعرَّب، وقد تفتح داله، ويُجمع على ديابيج، ودبابيج بالياء، والباء؛ لأن أصله دبَّاج.

ينظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ٥٤٩)، لسان العرب (٢/ ٢٦٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٧٨).

والحديث أخرجه البخاري: ٧/ ٩٩ ح(٥٤٢٦)، كتاب: بدء الوحي، باب: الأكل في إناء مفضض، ومسلم في صحيحه: ١٤/ ٣١ح(٥٣٥٥)، كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال.

المطلب الثالث: تفسيره القرآن بأقوال الصحابة رضي الله عنهم

يأتي تفسير القرآن بالآثار المروية عن الصحابة في المرتبة الثالثة بعد تفسير القرآن بالقرآن، ثم السنة وذلك؛ لأنهم أدرى بكتاب الله لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح(١).

وقد قال النحاس: "إذا قال رجل من الصحابة شيئاً لم يسع خلافه إلا إلى صحابي مثله، ولا سيما وهم حاضرو التنزيل، والحاضر يعلم بمشاهدته الكلام ما لا يعلمه الغائب"(٢).

وقال ابن القيم(٣): "ولا ريب أن أقوالهم في التفسير أصوب من أقوال مَنْ بعدهم، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن تفسيرهم في حكم المرفوع"(٤).

وقد اشتهر في التفسير من الصحابة عشرة؛ وهم(٥):

الخلفاء الراشدون الأربعة، وابن مسعود(٦)، وابن عباس، وأبي بن كعب(٧)،

---

(١) ينظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص(٨٧)، والتفسير والمفسرون للذهبي (١/ ٥٧-٥٨).

(٢) القطع والائتناف للنحاس ص(٦٠).

(٣) شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرعي الدمشقي، أبو عبد الله، الإمام الأصولي المفسر الفقيه، أحد كبار العلماء، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية وامتحن معه، توفي سنة(٧٥١) هـ.
ينظر: الوافي بالوفيات (٢/ ١٩٥-١٩٧)، والدرر الكامنة لابن حجر (٥/ ١٣٧-١٤٠).

(٤) إعلام الموقعين لابن القيم (٤/ ١٥٣)، والإتقان للسيوطي ص(٨٥٤).

(٥) ينظر: الإتقان للسيوطي ص(٨٥٤).

(٦) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن، من كبار علماء الصحابة، وصاحب سِواك رسول الله ﷺ، تولَّى إمارة الكوفة في عهد عمر رضي الله عنه، توفي سنة (٣٢هـ).
ينظر: معرفة الصحابة (٤/ ١٧٦٥)، وأسد الغابة (٣/ ٣٩٤)، وغاية النهاية (١/ ٤٥٨).

(٧) أُبي بن كعب بن قيس بن عبيد، من بني النجار، أبو المنذر، صحابي أنصاري، سيد القراء، كان قبل الإسلام حبراً من أحبار اليهود، ولما أسلم كان من كتاب الوحي، توفي سنة (٢١هـ).
=

وزيد بن ثابت[1]، وأبو موسى الأشعري[2]، وعبدالله بن الزبير[3] -رضي الله عنهم أجمعين-.

وقد اعتنى القرطبي بهذا النوع عناية كبيرة فلا يكاد يخلو تفسيره لآية من ذكر قول لصحابي أو من بعده من سلف الأمة، وقد كان من شرطه في كتابه إضافة الأقوال إلى قائليها، والأحاديث إلى مصنفيها، فإنه يقال: "من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله"[4].

ومن الأمثلة على اعتناء الإمام القرطبي بقول الصحابي في تفسيره، ما يلي:

١ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾ [الشورى:٢٠].

قال: " الحَرْثُ العمل والكسب. ومنه قول عبدالله بن عمرو[5]: واحرث لدنياك

= ينظر: معرفة الصحابة (١/ ٢١٤)؛ وحلية الأولياء (١/ ٣١٥)، وأسد الغابة (١/ ٧٨).

(١) هو: زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري النجاري أبو سعيد أحد كتاب الوحي ومن الراسخين في العلم من الصحابة، توفي سنة (٤٨هـ).
ينظر: الإصابة(٤/ ٤١)، وسير أعلام النبلاء(٢/ ١٧٣٨)، طبقات ابن سعد(٢/ ٣٥٨).

(٢) هو: عبدالله بن قيس بن سليم بن صفار الأشعري، من فقهاء الصحابة، ومن الشجعان الولاة الفاتحين وأحد الحكمين اللذين رضي بهما علي ومعاوية بعد حرب صفين، توفي سنة (٤٤هـ).
ينظر: الإصابة (٦/ ١٩٤)، وأسد الغابة(٣/ ٣٦٧)، وسير أعلام النبلاء(٢/ ٢٤٥٦).

(٣) هو: عبدالله بن الزبير بن العوام القرشي أبو بكر فارس قريش في مكة، أول مولود بعد الهجرة من خطباء قريش المعدودين، توفي سنة(٧٣هـ).
ينظر: الاستيعاب(٢/ ٩٥٠)، وحلية الأولياء(١/ ٣٢٩)، وأسد الغابة(٣/ ٢٤٢).

(٤) مقدمة القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن (١/ ٨).

(٥) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل القرشي، السّهمي، أبو محمد، أسلم قبل أبيه، أحد الحفاظ السبعة الذين أكثروا في الرواية عن رسول الله ﷺ، توفي سنة (٦٥هـ).
ينظر: طبقات ابن سعد (٢/ ٣٧٣) و(٤/ ٢٦١)، وحلية الأولياء (١/ ٣٥٣)، وأسد الغابة (٣/ ٣٥٦).

كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا. ومنه سمي الرجل حارثا"[1].

٢- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى:٥٣].

قال: " بدل من الأول، بدل المعرفة من النكرة. قال عليٌ: هو القرآن "[2].

٣ - وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ [الزخرف:٣٨].

قال: " أي: فبئس الصاحبُ أنت؛ لأنه يورده إلى النار. قال أبو سعيد الخُدري[3]: إذا بُعث الكافرُ، زُوج بقرينه من الشياطين، فلا يفارقه حتى يُصيرَه إلى النار"[4].

٤ - ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [محمد:٣٠].

قال: " أي: بعلامتهم.

قال أنس ﷺ[5]: ما خفي على النبي ﷺ بعد هذه الآية أحدٌ من المنافقين، كان يعرفهم بسيماهم "[6].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٦١).

والأثر أخرجه الحارث في مسنده (٢/ ٩٨٣)، ح(١١١٣)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص بلفظ: «احرث لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً»، قال المناوي في فيض القدير (٢/ ١٢): «رواه الديلمي ورمز لضعفه؛ وذلك لأن فيه مجهولاً وضعفاً».

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٥١٦).

(٣) سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري، أبو سعيد، صحابي لازم الرسول ﷺ، مفتي المدينة، كان مجاهداً عابداً، توفي سنة (٧٤هـ).

ينظر: مشاهير علماء الأمصار ص(١١)، ومعرفة الصحابة (٣/ ١٢٦٠)، أسد الغابة (٢/ ٤٣٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٤٩).

(٥) أنس بن مالك بن النضر الخزرجي الأنصاري، أبو حمزة، راوية الإسلام، صاحب رسول الله ﷺ، وخادمه، توفي سنة(٩٣هـ).

ينظر: أسد الغابة (١/ ١٥١)، والإصابة (١/ ١٢٦)، وسير أعلام النبلاء (١١١٦٤).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢٨٣).

٦ - ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ﴾ [ق:٢١].
قال أبو هريرة[١] رضي الله عنه: السائق الملك والشهيد العمل"[٢].

---

(١) عبدالرحمن بن صخر الدوسي، الملقب بأبي هريرة، إمام فقيه مجتهد حافظ، سيد الحفاظ الأثبات، روى عن النبي ﷺ (٥٣٤٧) حديثاً، توفي سنة(٥٩هـ).
ينظر: أسد الغابة (٦/ ٣١٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٤٤٤).

المطلب الرابع: تفسيره القرآن بأقوال التابعين

يأتي تفسير القرآن بالآثار المروية عن التابعين في المرتبة الرابعة بعد الصحابة؛ لأنهم أدرى بكتاب الله لمشاهدتهم من شاهد التنزيل، وعرف مقاصد التأويل، وهم: أصحاب محمد ﷺ، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح[1].

ويعد تفسير التابعين أحد طرق التفسير بالمأثور، وكما اشتهر بعض أعلام الصحابة ﷺ بالتفسير، كذلك قد اشتهر أعلام من التابعين بتفسير كلام الله، فبينوا ما خفي من معانيه، وممن اعتمد من العلماء في تفسيره على تفسير التابعين الإمام القرطبي ~ فقد نص في مقدمته " أن يضيف الأقوال إلى قائليها... " ومن أشهر التابعين الذين ذكرهم الإمام القرطبي في تفسيره ونقل عنهم من التابعين هم:

مجاهد بن جبر، والحسن البصري[2]، وقتادة، وسعيد بن جبير، وعبدالرحمن بن زيد[3]، والربيع بن أنس[4]، وأبو العالية[5]،

---

(١) ينظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص(٨٧).

(٢) الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، إمام زمانه علماً وعملاً، توفي سنة (١١٠هـ).
ينظر: مشاهير علماء الأمصار ص(٨٨)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣)، وغاية النهاية (١/ ٢٣٥).

(٣) هو: عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني كان صاحب قرآن وتفسير، توفي سنة(١٨٢هـ)
ينظر: سير أعلام النبلاء(٢/ ٢١٧٨)، وطبقات المفسرين للداوودي ص(٢٨٨)، وطبقات المفسرين للأدنه وي ص(١١).

(٤) هو: الربيع بن أنس بن زياد البكري، عالم مرو في زمانه، سجن وأوذي في الله، توفي سنة(١٣٩هـ).
ينظر: طبقات ابن سعد(٧/ ١٠٢)، وسير أعلام النبلاء(٢/ ١٦٧٨)، وطبقات المفسرين للأدنه وي ص(١٦).

(٥) هو: رفيع بن مهران الرياحي، أبو العالية، مقريء حافظ مفسر، من أعلم الناس بالقرآن في زمانه أخذ القراءة عرضاً عن أبيّ، وزيد بن ثابت، وابن عباس، توفى سنة(٩٣هـ).
ينظر: تقريب التهذيب ص(٣٢٨)، وطبقات المفسرين للداوودي ص(١٢٥)، وطبقات المفسرين للأدنه وي ص(٩).

وعكرمة[1]، وعطاء[2]، والشعبي[3]، وسعيد بن المسيب[4]، والضحاك، وغيرهم كثيرمن التابعين الذين ضمن الإمام القرطبي تفسيره أقوالهم ولم يهملهم، وكان منهجه في ذلك باختصار:

يقرن أقوال التابعين بغيرهم من الصحابة والمفسرين، ثم يحاول الجمع بين هذه الآراء إن أمكن، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الشورى:١٣].

قال: " قال قتادة: كَبُرَ على المشركين فاشتد عليهم شهادة أن لا إله إلا الله، وضاق بها إبليسُ وجنوده، فأبى الله ﷻ إلا أن ينصرها ويُعليها ويُظهرها على من ناوأها "[5].

---

(١) هو: عكرمة بن عبدالله البربري المدني، أبو عبدالله مولى ابن عباس، تابعي من أعلم الناس بالتفسير والمغازي، توفي سنة(١٠٥هـ).

ينظر: حلية الأولياء(٣/ ٣٢٦)، ووفيات الأعيان(٣/ ٢٦٥)، وطبقات المفسرين للداوودي ص(٣٦٥).

(٢) هو: عطاء بن أبي رباح، واسم أبي رباح: أسلم القرشي، مولاهم المكي، ثقة فقيه، فاضل من أساطين العلم، توفي سنة(١١٤هـ).

ينظر: طبقات ابن سعد(٥/ ٤٦٧)، وسير أعلام النبلاء(٢/ ٢٦٨٤)، وطبقات المفسرين للأدنه وي ص(١٤).

(٣) هو: عامر بن شراحيل الشعبي أبو عمر الهمداني، علامة عصره وحافظ زمانه، توفي سنة(١٠٤هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء(٢/ ٢١٠١)، وطبقات الحفاظ(٣٢)، ووفيات الأعيان(٣/ ١٢).

(٤) هو: سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي، المخزومي، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة جمع بين الحديث والفقه، من كبار التابعين، توفي سنة (٩٤هـ).

ينظر: طبقات بن سعد(٥/ ١١٩)، وسير أعلام النبلاء(٢/ ١٨٢٢)، وتقريب التهذيب ص(٣٨٨) رقم(٢٤٠٩).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٥٣).

٢ - وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى:١٥].

قال: " قال ابن عباس وأبو العالية: لأُسويَ بينكم في الدين، فأُومن بكل كتاب وبكل رسول "[١].

٣ - وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣].

قال: " قال الزجاج[٢] أي: إلا أن تودوني لقرابتي فتحفظوني. والخطاب لقريش خاصة؛ قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد وأبو مالك[٣] والشعبي وغيرهم "[٤].

٤ - وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف:٦١].

قال: " قال الحسن وقتادة وسعيد بن جبير: يريد القرآن؛ لأنه يدل على قرب مجيء الساعة، أو به تعلم الساعة وأهوالها وأحوالها. وقال ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدي وقتادة أيضا: إنه خروج عيسى عليه السلام، وذلك من أعلام الساعة؛ لأن الله ينزله من السماء قبيل قيام الساعة، كما أن خروج الدجال من أعلام الساعة "[٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٥٥).

(٢) إبراهيم بن السِّري الزجَّاج، أبو إسحاق، عالم بالنحو، واللغة، والتفسير، توفي سنة (٣١١هـ).
ينظر: نزهة الألباء ص(١٨٣)، وإنباه الرواة (١/ ١٩٤)، ومعجم الأدباء (١/ ١٣٠)، وبغية الوعاة (١/ ٤١١)، وطبقات المفسرين للأدنه وي ص(٥٢).

(٣) غزوان بن مالك الغفاري الكوفي، له تفسير أخرج البخاري بعضه تعليقاً، إمام ثقة.
ينظر: الثقات (٥/ ٢٩٣)، والتهذيب (٨/ ٢٤٥-٢٤٦)، والتقريب ص(٤٤٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٦٥).

(٥) المصدر السابق (١٩/ ٦٩).

٥ – وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴾ [الدخان:٢٤].

قال: " قال ابن عباس: ﴿رَهْوًا﴾ أي: طريقاً. وقاله كعب[1] والحسن. وعن ابن عباس أيضا: سمتاً. الضحاك والربيع: سهلاً. عكرمة: يبساً؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ [طه:٧٧]"[2].

---

(١) كعب بن مانع الحميري، أبو إسحاق، كان من أوعية العلم ومن كبار علماء أهل الكتاب، أسلم في زمن الصديق ﷺ، وقدم المدينة في زمن الفاروق، توفي في خلافة عثمان سنة(٣٤هـ).
ينظر: تاريخ البخاري (٧/ ٢٢٣)، والثقات (٥/ ٣٣٤)، وتذكرة الحفاظ (١/ ٥٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١١٥).

المطلب الخامس: تفسيره القرآن بأقوال من جاء بعد عصر التابعين

لقد نقل القرطبي في تفسيره بعد أقوال الصحابة والتابعين أقوال من بعدهم من تابعي التابعين أو من بعدهم، فنقل عن المفسرين الذين سبقوه وأورد أقوالهم وتفسيرهم للآيات التي تعرض لتفسيرها: كالفراء[1]، والزجاج، والطبري، والنحاس، والماوردي، وابن عطية، وابن العربي[2]، وابن الجوزي[3]، وغيرهم كثير وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

١ - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣].

قال: " قال النحاس: ومذهب عكرمة ليست بمنسوخة؛ قال: كانوا يصلون أرحامهم، فلما بعث النبي ﷺ قطعوه فقال: قل: لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تودوني وتحفظوني لقرابتي ولا تكذبوني.

قلت: وهذا هو معنى قول ابن عباس في البخاري[4] والشعبي عنه بعينه؛ وعليه

---

(١) الفراء: يحيى بن زياد بن عبدالله الديلمي، أبو زكريا، المعروف بالفراء، إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، توفي سنة(٢٠٧هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٤١٦٤)، وطبقات المفسرين للداوودي ص(٥٤٥)، وطبقات المفسرين للأدنه وي ص(٢٨).

(٢) محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، الإشبيلي، المالكي، أبو بكر حافظ محدث بلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين، توفي سنة(٥٣٤هـ).

ينظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٩٦)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥٣١).

(٣) عبد الرحمن بن علي البكري القرشي الحنبلي، جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي، صاحب التصانيف، علامة السِّير والتاريخ، وبحر التفسير، غير أنه خاض في التأويل، توفي سنة (٥٩٧هـ).

ينظر: وفيات الأعيان (٣/ ١١٦)، وغاية النهاية (١/ ٣٧٥)، وشذرات الذهب (٤/ ٣٢٩).

(٤) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، حبر الإسلام، وجبل الحفظ وإمام الدنيا في فقه الحديث، توفي سنة(٢٥٦هـ).

=⇐

لا نسخ"[1].

٢ – وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾ [الزخرف:١٣].

قال: ".. وقال الفراء: أضاف الظهور إلى واحد؛ لأن المراد به الجنس، فصار الواحد في معنى الجمع بمنزلة الجيش والجند، فلذلك ذكر وجمع الظهور، أي: على ظهور هذا الجنس"[2].

٣ – وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [الزخرف:٥٥].

قال: " روى الضحاك عن ابن عباس، أي: غاظونا وأغضبونا. وروى عنه علي بن أبي طلحة[3]، أي: أسخطونا. قال الماوردي: ومعناهما مختلف، والفرق بينهما أن السخط إظهار الكراهة، والغضب إرادة الانتقام. القشيري[4]: والأسف ها هنا بمعنى الغضب؛ والغضب من الله إما إرادة العقوبة، فيكون من صفات الذات، وإما من عين العقوبة، فيكون من صفات الفعل؛ وهو معنى قول الماوردي"[5].

ينظر: تهذيب الكمال (٦/ ٢٢٧)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ١٠٤)، وتقريب التهذيب ص(٨٢٥).

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٦٨).

(٢) المصدر السابق (١٩/ ١١-١٢).

(٣) علي بن أبي طلحة، سالم بن مخارق، الهاشمي مولاهم، كان من كبار التابعين، علاماً بالقرآن ومعانيه وأحكامه، يرسل عن ابن عباس إلا أن طريقه من أصح الطرق عن ابن عباس { ، قال أحمد بن حنبل: في مصر صحيفة واحدة من التفسير قد رواها علي بن أبي طلحة، من رحل من طالبي التفسير لتحصيلها لا يعد كثيراً، توفي سنة (١٤٣هـ).

ينظر: تاريخ البخاري (٦/ ٢٨١)، وطبقات ابن سعد (٧/ ٤٥٨)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٤٩٠-٤٩٣).

(٤) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري، أبو القاسم، زين الإسلام، شيخ خراسان في عصره، له مصنفات منها « التيسير في التفسير »، توفي سنة (٤٦٥هـ).

ينظر: الأعلام (٤/ ٥٧).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٦٤).

٤ - وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ [الزخرف:٨١].

قال: " قال المهدوي[1]: فـ"إن" على هذه الأقوال للشرط، وهو الأجود، وهو اختيار الطبري؛ لأن كونها بمعنى "ما" يتوهم معه أن المعنى لم يكن له فيما مضى " [2].

٥ - وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان:٤].

قال: ".. وقال القاضي أبو بكر بن العربي: وجمهور العلماء على أنها ليلة القدر. ومنهم من قال: إنها ليلة النصف من شعبان، وهو باطل؛ لأن الله تعالى قال في كتابه الصادق القاطع ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة:١٨٥]، فنص على أن ميقات نزوله رمضان، ثم عين من زمانه الليلَ هاهنا بقوله: ﴿فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ ، فمن زعم أنه في غيره فقد أعظم الفرية على الله، وليس في ليلة النصف من شعبان حديث يُعول عليه لا في فضلها ولا في نسخ الآجال فيها، فلا تلتفتوا إليها"[3].

---

(١) أحمد بن عمار المهدوي، أبو العباس، كان رأساً في القراءات والعربية والتفسير، صنف كتباً مفيدة، توفي بعد الثلاثين وأربعمائة للهجرة النبوية.

ينظر: الوافي بالوفيات (٧/ ١٦٩)، ومعرفة القراء الكبار (١/ ٣٩٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٠٢).

(٣) المصدر السابق (١٩/ ٤٢٩-٤٣٠).

المطلب السادس: عنايته بالقراءات

إن كل مفسر يتصدى لتفسير كتاب الله يحتاج إلى فهم وتطبيق علم القراءات، وإدراكاً من أبي عبدالله القرطبي لهذا العلم وأهميته فقد تلقاه في شبابه في بداية تعليمه على يد شيخه ابن أبي حجة في قرطبة فقد قرأ عليه القراءات السبع، كما قال بعض مترجميه: "تلا بالسبع في بلده على أبي جعفر بن حجة"[(١)].

واهتم بالقراءات غاية الاهتمام حيث اعتمد عليها في تفسيره وأشار إليها في مقدمته فقال: "رأيت أن اشتغل به مدة عمري، واستفرغ منه مُنَّتِي بأن أكتب فيه تعليقاً وجيزاً، يتضمن نكتاً من التفسير واللغات والإعراب والقراءات"[(٢)].

وقد وفَّى القرطبي بما ذكره، فما يذكر آية في تفسيره وفيها قراءة إلا ذكرها سواء كانت متواترة أو شاذة.

---

(١) الذيل والتكملة للمراكشي (٥/ ٥٨٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٧).

۞ الأول: القراءات المتواترة:[1]

١- ماذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشورى:٥].

قال: " قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ قراءة العامة بالتاء، وقرأ نافع[2] وابن وثاب[3] والكسائي[4] بالياء. ﴿يَتَفَطَّرۡنَ﴾ قرأ نافع وغيره بالياء والتاء والتشديد في الطاء، وهي قراءة العامة، وقرأ أبو عمرو[5] وأبو بكر[6]

---

(١) القراءة المتواترة: ما تواترت بسند صحيح عن النبي ﷺ، ووافقت رسم المصحف العثماني، وكان لها وجه في العربية.

ينظر: النشر لابن الجوزي ص(٣).

(٢) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي، مولاهم، أبو رويم، المقرىء المدني، أحد القراء السبعة، روى عنه خلف كثير، توفي سنة (١٦٩هـ) على خلاف في ذلك.

ينظر: تهذيب الكمال (٧/ ٣٠٩)، ومعرفة القراء الكبار ص(٦٤)، وغاية النهاية (٢/ ٣٣٠).

(٣) يحيى بن وثاب الأسدي مولاهم، الكوفي، تابعي، ثقة عابد، شيخ القراء، توفي سنة (١٠٣هـ).

ينظر: السير (٤/ ٣٧٩)، طبقات أصبهان (١/ ٣٥٦).

(٤) علي بن حمزة، أبو الحسن الكسائي، أحد القراء السبعة، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات، وهو إمام الكوفيين في النحو، توفي بالري سنة(١٨٩هـ).

ينظر: معرفة القراء الكبار ص(٧٢)، وغاية النهاية (١/ ٥٣٥).

(٥) زبان بن العلاء بن عمار المازني، أحد القراء السبعة، وأغزرهم علماً، كان إمام أهل العصر في القراءات والنحو واللغة، توفي سنة (١٥٤هـ) على الصحيح.

ينظر: وفيات الأعيان (٣/ ٤٦٦)، وغاية النهاية (١/ ٢٨٨)، والنشر (١/ ١٣٤).

(٦) أبو بكر بن عاصم بن أبي النجود الأسدي أحد القراء السبعة، توفي بالكوفة سنة (١٢٨هـ).

ينظر: معرفة القراء الكبار ص(٥١)، وغاية النهاية (١/ ٣٤٦).

والفضل[(١)] وأبو عبيد[(٢)]:

" ينفطرن " من الانفطار؛ كقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ [الانفطار:١] "[(٣)].

٢ - وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [الزخرف:٨٥].

قال: "﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ قرأ ابن كثير[(٤)] وحمزة[(٥)] والكسائي: ﴿وإليه يرجعون﴾ بالياء، الباقون بالتاء. وكان ابن محيصن[(٦)] وحُميد[(٧)]

---

(١) الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، أبو علي: مفسر محقق لغوي، له: « مجمع البيان في تفسير القرآن » و « جوامع الجامع في التفسير »، توفي سنة (٥٤٨هـ).

ينظر: الأعلام (٦/ ١٤٨).

(٢) القاسم بن سلام الهروي الأنصاري مولاهم البغدادي، أبو عبيد، إمام كبير، حافظ علامة، صاحب التصانيف في القراءات، والحديث، والفقه، واللغة والشعر، توفي سنة (٢٢٤هـ).

ينظر: تاريخ أسماء الثقات ص(١٩٠)، والثقات (٩/ ٨)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٤٣).

(٤) عبد الله بن كثير، أبو معبد المكي الداري، إمام أهل مكة في القراءة، كان فصيحاً بليغاً مفوّهاً عالماً بالعربية، توفي سنة (١٢٠هـ).

ينظر: وفيات الأعيان (٣/ ٣٠-٣١)، وغاية النهاية (١/ ٤٤٣).

(٥) حمزة بن حبيب الزيات، أبو عمارة الكوفي التيمي مولاهم، أحد القراء السبعة، وإليه صارت إمامة القراءة بعد عاصم في الكوفة، توفي سنة (١٥٦هـ).

ينظر: وفيات الأعيان (٢/ ١٨٦)، وغاية النهاية (١/ ٢٦١).

(٦) محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي، المقري، توفي سنة (١٢٣هـ).

ينظر: طبقات القراء (٢/ ١٦٧).

(٧) حُميد بن قيس الأعرج المكي، أبو صفوان القارىء، ثقة، أخذ القراءة عن مجاهد، وعرض عليه ثلاث مرات، توفي سنة (١٣٠هـ).

ينظر: تهذيب الكمال (٢/ ٣٠٧)، ومعرفة القراء الكبار (١/ ٩٧)، وغاية النهاية (١/ ٢٦٥).

ويعقوب[1] وابن أبي إسحاق[2] يفتحون أوله على أصولهم، وضم الباقون [3].

٣- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الدخان:٧].

قال: " قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قرأ الكوفيون: " رَب" بالجر، الباقون بالرفع؛ رداً على قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، وإن شئت على الابتداء، والخبر: لا إله إلا هو أو يكون خبر ابتداء محذوف، تقديره: هو رب السماوات والأرض والجر على البدل من ربك" [4].

---

(١) يعقوب بن محمد بن خليفة الكوفي، أبو يوسف الأعشى، قرأ على أبي بكر بن عياش، وكان أجلَّ من قرأ عليه، تصدر للإقراء بالكوفة، توفي في حدود المائتين للهجرة.

ينظر: معرفة القراء الكبار (٩٥)، وغاية النهاية (٢/ ٣٩٠).

(٢) يونس بن أبي إسحاق السبيعي الكوفي الهمداني، ثقة، أحد العلماء الصادقين، وهو صدوق يهم قليلاً، معدود في صغار التابعين، توفي سنة (١٥٩هـ).

ينظر: التاريخ الكبير (٨/ ٤٠٨)، والثقات للعجلي (٢/ ٣٧٧)، والتقريب ص(٦١٣)، وميزان الاعتدال (٤/ ٤٨٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٩٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٠٤).

۞ الثاني: القراءات الشاذة: [1]

١ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ [الشورى].

قال: "وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس: (حم٠سق). قال ابن عباس: وكان علي رضي الله عنه يعرف الفتن بها " [2].

٢ – وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢] .

قال: " وقرأ عاصم الجحدري [3] وحوشب [4]: (وإنك لَتُهْدى) غير مسمى

---

(١) للعلماء في المراد بالقراءة الشاذة أقوال:

الأول: وهو قول الأكثر أن القراءة الشاذة: كل قراءة صح سندها، ووافقت العربية ولو بوجه، وخالفت رسم المصحف، وهذا التعريف هو الذي اعتمده مكي القيسي في الإبانة ص(٦٣)، وأبو شامة في المرشد الوجيز ص(١٨١)، وابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٩٣)، وابن الجزري في المنجد ص(٨١).

الثاني: اصطلاح ابن جني في المحتسب (١/ ١٠٦) على أن القراءة الشاذة هي: كل قراءة خرجت عن القراءات السبع التي جمعها ابن مجاهد في كتابه « السّبعة »، وهذا المصطلح يعد القراءات الثلاث المتممة للعشر من الشّواذ بالرغم من صحة سندها، وموافقتها للرسم، وللعربية.

الثالث: قول السيوطي أن الشّاذة هي: القراءة التي لم يصح سندها، وأن القراءة التي صح سندها، وخالفت رسم المصحف والعربية أو لم تشتهر الاشتهار المذكور تسمى آحادية، ولا يُقرأ بها.

ينظر: الإتقان (١/ ٢٦٦).

والذي يظهر أن القراءة الشاذة هي: ما خرج من أوجه القراءات عن أركان القراءة الصحيحة.

ينظر: المنهاج في الحكم على القراءات ص(٣٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٤٠-٤٤١).

(٣) عاصم بن أبي الصباح العجاج الجحدري البصري، أخذ القراءة عرضاً عن سليمان بن قتة عن ابن عباس رضي الله عنه، توفي قبل الثلاثين ومائة، وقيل سنة(١٢٨هـ).

ينظر: طبقات ابن سعد (٧/ ٢٣٥)، وغاية النهاية (١/ ٣٤٩).

(٤) هذه قراءة شاذَّة، ذكرها ابن عادل في تفسيره(١٧/ ٢٢٤)، والشوكاني في فتح القدير(٤/ ٧٧٦) ونسباها إلى« شهر بن حوشب »وهو: شهر بن حوشب الأشعري الشامي، قرأ القرآن على ابن عباس، وكان عالما كثير الرواية، حسن الحديث.

=⇦

الفاعل؛ أي: لتُدْعَى، الباقون: (لَتَهدي) مسمى الفاعل. وفي قراءة أُبَي: (وإنك لَتَدْعُو).

قال النحاس: وهذا لا يقرأ به؛ لأنه مخالف للسواد، وإنما يحمل ما كان مثله على أنه من قائله على جهة التفسير؛ كما قال سفيان[1] في قوله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ﴾ أي: لتدعو" [2].

٣- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد:٤]

قال: " وقرأ أبو عمرو وحفص[3]: "قُتِلو" بضم القاف وكسر التاء، وكذلك قرأ الحسن إلا أنه شدد التاء على التكثير، وقرأ الجحدري وعيسى بن عمر[4] وأبو حيوة[5]: "قَتَلو" بفتح القاف والتاء من غير ألف"[6].

= ينظر: العبر في خبر من غبر (١/ ١١٩)، وتهذيب التهذيب (١٥/ ٧٣).

(١) ينظر: تفسيره (١/ ٢٦٩). وسفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي، الإمام الحافظ الثقة الحجة، المحدث الفقيه، أحد الأئمة الأعلام علماً وزهداً، توفي سنة(١٦١هـ).

ينظر: تاريخ البخاري (٤/ ٩٢)، ومعرفة الثقات (١/ ٤٠٧)، والكاشف (١/ ٤٤٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٥١٥-٥١٦).

(٣) حفص بن سليمان بن المغيرة، أبو عمر بن أبي داود الأسدي الكوفي، أخذ القراءة عرضاً وتلقيناً على عاصم بن أبي النجود (٩٠-١٨٠هـ).

ينظر: غاية النهاية (١/ ٢٥٤-٢٥٥).

(٤) الهمداني الكوفي، مولى بني أسد، كان إماماً عابداً قارئاً ثقة في الحديث، قال عنه الثوري: أدركت بالكوفة، وما بها أحد أقرأ من عيسى الهمداني، توفي سنة (١٥٦هـ).

ينظر: تاريخ البخاري (٣/ ٤٩٧)، وطبقات القراء (١/ ١٢٦-١٢٧).

(٥) شريح بن يزيد الحضرمي، أبو حيوة الحمصي، المؤذن، المقري، ثقة، توفي سنة (٢٠٣هـ).

تهذيب التهذيب (٤/ ٢٩١)، التاريخ الكبير (٤/ ٢٣٠).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢٤٩-٢٥٠).

٤- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح:٦].

قال "قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿دَآئِرَةُ السُّوء﴾ بالضم، وفتح الباقون، وقرئ ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾، يعني: الهزيمة والشر، ومن فتح فهو من المساءة"[1].

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٣٠٣).

المبحث الثاني

تفسيره القرآن باللغة

<u>ويشتمل على ثلاثـة مطالـــب</u>: -

- المطلب الأول: **عنايته عا ا فردات.**
- المطلب الثاني: **عنايته عا ا روف والأدوات.**
- المطلب الثالث: **عنايته بالإعراب.**

** ** **

تفسيره القرآن باللغة

من المعلوم أن القرآن نزل باللغة العربية قال تعالى ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء].

ولهذا يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر[1].

وقد كان الإمام القرطبي ~ يولي الناحية اللغوية اهتماماً كبيراً في تفسيره، حيث كان ذلك من منهجه الذي اتخذه على نفسه في مقدمة كتابه؛ حيث قال: " رأيت أن اشتغل به مدى عمري واستفرغ فيه مُنّتِي بأن أكتب فيه تعليقاً وجيزاً يتضمن نكتاً من التفسير واللغات والإعراب..."[2].

ولقد أفاد القرطبي في اللغة والنحو، من أبرز مصادرها، ومن أهمها ما يلي[3]:

١ - كتابا المجمل ومقاييس اللغة لأحمد بن فارس[4].

٢ - تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري[5].

٣ - الكتاب لسيبويه[6].

---

(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي (١/ ٣٦٩)، وقواعد التفسير للسبت (١/ ٢١٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٧)

(٣) ينظر: القرطبي ومنهجه في التفسير ص(١٧٤)

(٤) هو: أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، أبو الحسن، من أئمة اللغةوالأدب، توفي سنة(٣٩٥).
ينظر: إنباه الرواة: (١/ ١٢٧)، ووفيات الأعيان(١/ ١١٨).

(٥) هو: إسماعيل بن حماد، أبو النصر الفارابي، مصنف كتاب الصحاح يضرب به المثل في ضبط اللغة، توفي سنة(٤٠٠هـ).
ينظر: السير(١٧/ ٨٠).

(٦) هو: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، أبوبشر، إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو، توفي سنة (١٨٠هـ).

⇦ =

٤ - كتاب المقتضب للمبرد[(١)].

ومما يدل على سعة علم القرطبي باللغة أنه لم يقتصر على النقل من هذه المصادر بل لقد ناقش ابن فارس والجوهري وتعقبهما، وهذا يبرز لك جلياً قوة فهم القرطبي للّغة وحرصه على تفسير ألفاظ القرآن الكريم وتوضيحها بلغة العرب. ومن أبلغ الأدلة على اهتمام القرطبي باللغة هو كتابه "المصباح في الجمع بين الأفعال والصحاح" ومن تأمل تفسيره الجامع لأحكام القرآن، أدرك ما لهذا الإمام من علم غزير باللغة، وسعة فهم لمفرداتها، ودلالات معانيها، وأدواتها، وإعرابها وقد ضمنها تفسيره وإليك بيان هذا في المطالب التالية.

= ينظر: بغية الوعاة (١/ ٢٨٢)، وشذرات الذهب (٦/ ١٤٦).

(١) هو: محمد بن يزيد الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد إمام العربية في بغداد في زمانه، وأحد أئمة الأدب والأخبار، توفي (٢٨٦هـ).
ينظر: طبقات النحوين واللغويين (١٠١)، وإنباه الرواة (٣/ ٢٤١).

المطلب الأول: عنايته بمعاني المفردات

١ - بيانه لمعنى "شرع" في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ [الشورى:١٣].

حيث قال: " أي: نهج وأوضح وبين المسالك. وقد شَرَعَ لهم يَشْرَع شَرْعاً، أي: سن. والشارع: الطريق الأعظم، وقد شَرَع المنزِلُ إذا كان على طريق نافذ، وشَرَعْتُ الإبلَ إذا أمكنتها من الشريعة، وشرعتُ الأديمَ إذا سلختَه"[١].

٢ - بيانه لمعنى "صحاف" في قوله تعالى ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ﴾ [الزخرف:٧١].

قال: " قال الجوهري: الصحفة كالقصعة، والجمع: صحاف. قال الكسائي: أعظم القصاع الجفنة، ثم القصعة تليها تشبع العشرة، ثم الصحفة تشبع الخمسة، ثم المئكلة تشبع الرجلين والثلاثة، ثم الصحيفة تشبع الرجل. والصحيفة: الكتاب، والجمع: صحف وصحائف"[٢].

٣ - بيانه لمعنى" رهوا " في قوله تعالى: ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ﴾ [الدخان:٢٤].

قال: " قال ابن عباس: ﴿رَهۡوًا﴾ أي: طريقاً، وقاله كعب والحسن. وعن ابن عباس أيضا: سمتاً. الضحاك والربيع: سهلاً. عكرمة: يبساً، لقوله تعالى: ﴿فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا﴾ [طه:٧٧]. وقيل: مفترقا. مجاهد: منفرجا. وعنه: يابسا "[٣].



(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٥١).

(٢) المصدر السابق (١٩/ ٨١).

(٣) المصدر السابق (١٩/ ١١٥).

المطلب الثاني: عنايته بمعاني الحروف والأدوات

ومما يدل على اهتمام القرطبي بالجانب اللغوي في تفسيره عنايته بمعاني الحروف والأدوات، ومن أمثلة ذلك:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى:٣٠].

قال: " قرأ نافع وابن عامر[١]: «بما كسبت» بغير فاء، الباقون «فبما» بالفاء، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم[٢] للزيادة في الحرف والأجر.

قال المهدوي: إنْ قدرت أن «ما» الموصولة جاز حذفُ الفاء وإثباتُها، والإثباتُ أحسنُ. وإنْ قدرتها التي للشرط لم يَجُزِ الحذفُ عند سيبويه، وأجازه الأخفش[٣] واحتج بقوله تعالى: ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١]"[٤].

٢- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ﴾ [الدخان:١٦].

قال: " قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ﴾ الميمُ صلة، تقديره: أتخذ مما يخلق بنات كما زعمتم أن الملائكة بنات الله؟ فلفظُه لفظُ الاستفهام ومعناهُ التوبيخ "[٥].

---

(١) عبد الله بن عامر اليحصبي الدمشقي، أبو عمران، إمام الشاميين في القراءة، لجلالته في العلم والإتقان، جمع له الخليفة عمر بن عبد العزيز بين القضاء والإمامة ومشيخة الإقراء بدمشق، توفي سنة(١١٨هـ).
ينظر: طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤٩)، غاية النهاية (١/ ٤٢٣-٤٢٥)، وطبقات القراء (١/ ٥٩-٦٨).

(٢) سهل بن محمد بن عثمان الجشمي السجستاني، أبو حاتم، من كبار العلماء باللغة والشعر، له تصانيف عديدة، توفي سنة (٢٥٥هـ) على الأرجح.
ينظر: نزهة الألباء ص(١٤٥)، وتهذيب الكمال (٣/ ٣٢٧)، ومعرفة القراء الكبار (١/ ١١٨).

(٣) هو سعيد بن مسعدة البلخي البصري، مولى بني مجاشع، أبو الحسن، إمام النحو أخذه عن سيبويه، وعالم بالعروض ومعاني القرآن، يعرف بالأخفش الأوسط، توفي سنة (٢١٦هـ) وقيل غير ذلك.
ينظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٠٨)، ووفيات الأعيان (٢/ ٣٨٠).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٧٧- ٤٧٨).

(٥) المصدر السابق (١٩/ ١٧).

٣- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴾ [الدخان:٢١].

قال: قوله تعالى: ﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى ﴾ أي: إن لم تصدقوني ولم تؤمنوا بالله لأجل برهاني، فاللام في «لي» لامُ أَجْل، وقيل: أي: وإن لم تؤمنوا بي، كقوله: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ﴾ [العنكبوت:٢٦]، أي: به " (١).

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١١٣).

المطلب الثالث: عنايته بالإعراب

وإن من ضمن اهتمام الإمام القرطبي بالجانب اللغوي اهتمامه بجانب الإعراب، وقد عني به عناية ظاهرة وبارزة في تفسيره؛ ويدل على ذلك اعتماده على أهم مصادر الإعراب مثل: إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج.

والقرطبي يهتم بالإعراب؛ لعلاقته ببيان المعنى المراد في الآية، ومن الأمثلة على ذلك:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى:١١].

قال: "قوله تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بالرفع على النعت لاسم الله، أو على تقدير هو فاطر. ويجوز النصب على النداء، والجر على البدل من الهاء في «عليه»"[(١)].

٢- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزخرف].

قال: "قال الزجاج: «الذين» نصب على النعت لـ«عبادي» ؛ لأن «عِبَادِي» منادَى مضاف. وقيل: «الذينَ آمَنُوا» [خبر لمبتدأ محذوف]، أو ابتداء وخبره محذوف ؛ تقديره: هم الذين آمنوا، أو الذين آمنوا يقال لهم: «ادْخُلُوا الجنة» "[(٢)].

٣- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [الدخان:٣٧].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٤٨).

(٢) المصدر السابق (١٩/ ٧٧).

قال: "قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ﴾، «الـذين» في موضع رفع عطف على «قَوْمُ تُبعٍ»، « أهلكناهم» صلته، ويكون «من قبلهم» متعلقاً به "[1].

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٢٩).

المبحث الثالث

تفسيره القرآن بالرأي

ويشتمل على مطلــب واحــد:

- عنايته با ناسبـ ـ ـ ـات.

** ** **

تفسيره القرآن بالرأي

يعد الإمام القرطبي من المفسرين الذين جمعوا بين الرواية والدراية، في براعة متناهية فهو لا يكتفي بجمع الروايات والآثار حول الآية الكريمة،بل كان يُعمل فكره فيوجه الروايات ويتدبر الآيات، ويرجح بين الآيات متجنباً التأويل بالرأي المذموم وقد صدَّر كتابه قبل البدء في التفسير بقوله: "باب ما جاء من الوعيد في تفسير القرآن بالرأي والجرأة على ذلك"

وقال في مقدمته: " فإن من قال فيه بما سنح في وَهْمه، وخطر على باله من غير استدلال عليه بالأصول فهو مخطئ، وإن من استنبط معناه بحمله على الأصول المحكمة المتفق على معناها فهو ممدوح"[1].

وفي هذا المبحث مطلب واحد.

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٥٨).

المطلب: عنايته بالمناسبات

إن القاريء والمتأمل لتفسير الإمام القرطبي يجد أنه لم يهمل هذه المناسبات، بل يظهر له جلياً عنايته بمناسبة الآية أو الآيات لما قبلها أو مطلع السورة بخاتمتها وارتباط ذلك بمعنى الآية وبيانه، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الشورى:٢٤].

قال: "قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ الميم صلة، والتقدير: أيقولون افترى. واتصل الكلام بما قبل؛ لأن الله تعالى لما قال: ﴿وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ﴾[الشورى:١٥]، وقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [الشورى:١٧]، قال إتماماً للبيان: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، يعني: كفار قريش، قالوا: إن محمداً اختلق الكذب على الله" (١).

٢- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى:٢٥].

قال: "قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ قال ابن عباس: لما نزل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣]، قال قوم في نفوسهم: ما يريد إلّا أن يحثنا على أقاربه من بعده؛ فأخبر جبريل النبي ﷺ، وأنهم قد اتهموه، فأنزل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ الآية؛ فقال القوم: يارسول الله، فإنا نشهد أنك صادق ونتوب، فنزلت: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾، قال ابن عباس: أي: عن أوليائه وأهل طاعته" (٢).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٧٠).

(٢) المصدر السابق (١٨/ ٤٧٢).

٣-وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف:٣٦].

قال: ".. وهذه الآية تتصل بقوله أول السورة: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ [الزخرف:٥] أي: نواصل لكم الذكر؛ فمن يعشُ عن ذلك الذكر بالإعراض عنه إلى أقاويل المضلين وأباطيلهم نقيض له شيطاناً، أي: نسبب له شيطاناً جزاءً له على كفره فهو له قرين قيل: في الدنيا، يمنعه من الحلال، ويبعثه على الحرام، وينهاه عن الطاعة، ويأمره بالمعصية؛ وهو معنى قول ابن عباس" (١).

٤- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [الزخرف:٧٤].

قال: "قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ لما ذكر أحوال أهل الجنة؛ ذكرأحوال أهل النار أيضاً؛ ليبين فضل المطيع على العاصي" (٢).

٥-وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢)﴾ [الدخان].

قال: "لما ذكر مستقرَ الكافرين وعذابَهم، ذكرنُزُل المؤمنين ونعيمَهم" (٣).

٦-وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان:٥٨].

قال: " يعني القرآن، أي: سهلناه بلغتك عليك وعلى من يقرؤه ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، أي: يتعظون وينزجرون، فختم السورة بالحث على اتباع القرآن وإن لم يكن مذكورا، كما قال في مفتتح السورة: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ " (٤).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٤٦).

(٢) المصدر السابق (١٩/ ٨٤).

(٣) المصدر السابق (١٩/ ١٣٦).

(٤) المصدر السابق (١٩/ ١٤٢).

الفصل الثاني

منهج الإمام القرطبي في الترجيح

وفيه تمهيد ومبحثـــان: -

- **المبحث الأول: صيغ الترجيح وأساليبه عند الإمام القرط**
- **المبحث الثاني: وجوه الترجيح عند الإمام القرط .**

التمهيد:
وفيه معنى الاختيار والترجيح

معنى الاختيار:

قال ابن فارس: "الخاء والياء والراء، أصله العطف والميل، ثم يحمل عليه، فالخير خلاف الشر؛ لأن كل أحد يميل إليه ويعطف على صاحبه"[(١)].

والاختيار في لغة القرآن، يراد به: التفضيل والانتقاء والاصطفاء[(٢)].

والمراد بالاختيار في التفسير: الميل إلى أحد الأقوال في تفسير الآية مع تصحيح بقية الأقوال.

معنى الترجيح:

قال ابن فارس: " الراء والجيم والحاء أصل واحد، يدل على رزانة وزيادة، يقال رجح الشيء وهو راجح إذا رزن "[(٣)].

والمراد بالترجيح في التفسير: تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية؛ لدليل يدل على قوته أو على ضعف ما سواه من الأقوال.

فالاختيار والترجيح درجات[(٤)]، فأحياناً يقطع المفسر بصواب أحد الأقوال، ورجحانه على غيره، ويبطل ما سواه أو يضعفه تضعيفاً شديداً، وأحياناً لا يتوفر له من الأدلة ما يجعله يقطع بصوابه وصحته.

وعلى هذا فبين الترجيح والاختيار عموم وخصوص، فكل اختيار ترجيح، لا

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١/ ٣٨٥).

(٢) ينظر: جامع الرسائل (١/ ١٣٧).

(٣) معجم مقاييس اللغة (١/ ٥١٢).

(٤) ينظر: مقدمة تفسير ابن جزيّ الكلبي (١/ ٤).

العكس؛ لأن الترجيح يشمل الاختيار وغيره، كرد الأقوال الضعيفة والشاذة، وترجيح أحد الأقوال المتضادة.

أما الاختيار فهو صورة واحدة، وهي: تقديم الأولى من أقوال المفسرين مع تصحيح عامة الأقوال.

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.



المبحث الأول

صيغ الترجيح وأساليبه عند الإمام القرطبي

وفيه ثلاثـــة مطالـــب: -

- المطلب الأول: **التنصيص على القول الراجح .**
- المطلب الثاني: **التفسـ بقول مع النص على ضعف غـ ه .**
- المطلب الثالث: **التفسـ بالقول الراجح وذكره بصيغة ا ـزم وذكر الأقوال الأخرى بصيغة التمريض .**

** ** **

المطلب الأول: التنصيص على القول الراجح

هذه الطريقة هي الأساس، والأشهر من بين طرق الترجيح عند المفسرين، ومبنى هذه الصيغة النص على الصواب وما في معناه كالصحة.

* وللتنصيص على القول الراجح عند الإمام القرطبي درجات، وهي:

(١) التصريح بتصحيح أو تصويب أحد الأقوال، كقوله:

- والصحيح [١].
- والصواب كذا[٢].
- وهو الصحيح[٣].
- وهذا هو الصحيح في تفسير هذه الآية[٤].
- والصحيح ما ذكرناه[٥].

وتقتضي هذه الصيغة أن ما سوى القول المرجح عنده باطل، مناقضٌ لأدلة الترجيح وقد استعمل القرطبي هذه الطريقة في مواضع كثيرة.

وما يمكن إلحاقه بهذه الطريقة التفسير بقول من الأقوال وردّ القول أو الأقوال الأخرى في الآية كقوله:

- وفيه بعد[٦].

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٤٤).

(٢) ينظر: المصدر السابق (١٨/ ٤٦٣).

(٣) ينظر: المصدر السابق (١٩/ ١٢).

(٤) ينظر: المصدر السابق (١٩/ ٥٥).

(٥) ينظر: المصدر السابق (١٩/ ١٨٧و٣٢٧).

(٦) ينظر: المصدر السابق (١٨/ ٤٤٩).

- وكفى قبحا بقول من يقول كذا[(١)].
- وهو باطل[(٢)].
- وهو مردود[(٣)].

(٢) التصريح باختيار أحد الأقوال في تفسير الآية؛ كقوله:
- والأول أصح[(٤)].
- وهو الاختيار[(٥)].

(٣) التنصيص على تحسينه قولاً وتفضيله على غيره؛ كقوله:
- وهوأظهر[(٦)].
- قلت: قول قتادة حسن[(٧)].
- والأول أكثر وأظهر وأشهر[(٨)].
- والأول أظهر[(٩)].

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٦٧).
(٢) ينظر: المصدر السابق (١٩/ ١٠٢).
(٣) ينظر: المصدر السابق (١٩/ ١٣٤).
(٤) ينظر: المصدر السابق (١٩/ ١٠٠).
(٥) ينظر: المصدر السابق (١٩/ ٢٤٦).
(٦) ينظر: المصدر السابق (١٨/ ٤٤٥).
(٧) ينظر: المصدر السابق (١٨/ ٤٦٢).
(٨) ينظر: المصدر السابق (١٨/ ٤٨٠).
(٩) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٦٨).

- والقول الأول أظهر[(١)].
- وظاهر الآية[(٢)].
- أولى[(٣)].
- هذا أصح[(٤)].

وهذه الصيغة ظاهرة في الدلالة على الاختيار والترجيح؛ لأنها تنص على أفضلية قول على آخر.

(٤) التنصيص على العموم وتصدير القول الراجح بعبارة تدل على رجحانه أو اختيار جمهور المفسرين له؛ كقوله:

- قاله ابن عباس، وأكثر المفسرين[(٥)].
- والآية عامة[(٦)].
- في قول أكثر العلماء[(٧)].
- في قول الأكثرين[(٨)].
- قاله الأكثرون[(٩)].

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٢٣).

(٢) ينظر: المصدر السابق (١٩/ ٢٧٦).

(٣) ينظر: المصدر السابق (١٩/ ٤٢٨-٤٥٤).

(٤) ينظر: المصدر السابق (١٩/ ٤٤٤).

(٥) ينظر: المصدر السابق (١٨/ ٤٥٨).

(٦) ينظر: المصدر السابق (١٨/ ٤٧٢).

(٧) ينظر: المصدر السابق (١٨/ ٤٩٣).

(٨) ينظر: المصدر السابق (١٨/ ٤٩٣).

(٩) ينظر: المصدر السابق (١٨/ ٤٩٧).

- وهو قولُ أكثرِ المفسرين[1].
- على قول أكثرِ المفسرين[2].
- وهو الصحيح لعموم الآية[3].
- والعموم يأتي على هذا كله[4].
- وعليه عامة أهل التأويل[5].
- قول الجمهور[6].

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٥٠).
(٢) ينظر: المصدر السابق (١٩/ ٦٠).
(٣) ينظر: المصدر السابق (١٩/ ٢٤٢).
(٤) ينظر: المصدر السابق (١٩/ ٢٦٩).
(٥) ينظر: المصدر السابق (١٩/ ٣١٠).
(٦) ينظر: المصدر السابق (١٩/ ٤٤٥).

المطلب الثاني: التفسير بقول مع النص على ضعف غيره

والمراد بهذه الطريقة حصر القول الراجح في قول ما، ورد ما عداه من الأقوال، فإذا قام الدليل على رد بعض الأقوال فالصواب منحصر فيما عداها، فإن الترجيح يكون بالنص على صواب قول وصحته، ويكون برد بعض الأقوال الواردة في الآية المفسرة، وإن لم ينص المفسر على اختياره وترجيحه.

وهذه الطريقة معتبرة معروفة عند العلماء، بل حكى الإمام ابن عبدالبر(1) الإجماع على مضمونها حيث قال: " ولا خلاف - بين أهل العلم والنظر - أن المسألة إذا كان فيها وجهان، فقام الدليل على بطلان الوجه الواحد منهما أن الحق في الوجه الآخر وأنه مستغن عن قيام الدليل على صحته بقيام الدليل على بطلانه"(2).

وقد استعمل القرطبي هذه الطريقة ورجح بها في أكثر من موضع ومن أمثلة ذلك:

١ - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ [الدخان:٣].

قال: " والليلة المباركة ليلة القدر. ويقال: ليلة النصف من شعبان،..وقال القاضي أبوبكربن العربي: وجمهورُ العلماء على أنها ليلةُ القدر. ومنهم من قال: إنها ليلةُ النصف من شعبان، وهوباطل؛ لأن الله تعالى قال في كتابه الصادق القاطع: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البقرة:١٨٥]، فنصَّ على أن ميقات نزوله رمضان، ثم

(١) يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر، من كبار حفاظ الحديث مؤرخ، وأديب، من كتبه (الاستيعاب، والتمهيد، بيان العلم وفضله)، توفي سنة(٤٦٣هـ).

ينظر: الأعلام (٨/ ٢٤٠)، وسير أعلام النبلاء (١٨/ ١٥٣).

(٢) التمهيد لابن عبدالبر (٢٠/ ١٩٩).

عين من زمانه الليلَ ها هنا بقوله: ﴿فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾، فمن زعم أنه في غيره فقد أعظم الفِرْية على الله.." [(١)].

٢- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾ [الدخان:٤٣].

قال: " وشجرة الزقوم: الشجرة التي خلقها الله في جهنم، وسماها الشجرة الملعونة، فإذا جاع أهل النار التجؤوا إليها فأكلوا منها، فغليت في بطونهم كما يغلي الماء الحار. وشبه ما يصير منها إلى بطونهم بالمهل، وهو النحاس المذاب.

وحكي النقاش[(٢)] عن مجاهد أن شجرة الزقوم أبو جهل[(٣)].

قلت: وهذا لا يصح عن مجاهد، وهو مردود بما ذكرناه في هذه الشجرة في سورة «والصافات وسبحان» أيضا"[(٤)].

٣- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا﴾ [الأحقاف:١٧].

قال القرطبي: "قلت: قد مضى من خبر عبدالرحمن بن أبي بكر[(٥)] في سورة

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٠٢).

(٢) محمد بن الحسن بن زياد بن هارون، أبو بكر الموصلي النقّاش، نزيل بغداد، إمام علم، مقرىء مفسّر، ذو نُسُك وورع، وصدق لهجة، مؤلف كتاب « شفاء الصدور في التفسير »، توفي سنة (٣٥١هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (٢/ ٢٠١)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٧٣)، وغاية النهاية (٢/ ١١٩).

(٣) عمرو بن هشام بن المغيرة القرشي، أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ في صدر الإسلام، سيد في الجاهلية، هلك سنة (٢هـ).

ينظر: عيون الأخبار (١/ ٣٣٣)، وتاريخ الأمم والملوك (٢/ ٤٥٤)، الأعلام (٥/ ٨٧).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٣٣، ١٣٤).

(٥) عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق القرشي، وأمه أم رومان والدة عائشة، كان اسمه عبد الكعبة فغيره النبي ﷺ، وتأخر إسلامه إلى أيام الهدنة فأسلم وحسن إسلامه، توفي سنة (٥٣هـ).

ينظر: الإصابة (٢/ ٤٠٧).

الأنعام عند قوله: ﴿لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى﴾ [الآية:٧١] ما يدل على نزول هذه الآية فيه؛ إذ كان كافراً، وعند إسلامه وفضله تعين أنه ليس المراد بقوله:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾"[1].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢٠٢).

المطلب الثالث: التفسير بالقول الراجح وذكره بصيغة الجزم وذكر الأقوال الأخرى بصيغة التمريض

وهذه الصيغة في الترجيح معروفة مستعملة عند العلماء، فإن الاعتماد على قول ما، أو حكايته بصيغة الجزم، وهي الألفاظ المبنية للفاعل، كـ: قال، وروى، وذكر، دليل على أن المفسر يراه الصواب، وحكايته بصفة التمريض، وهي الألفاظ المبنية للمفعول، كـ: رُوى، وذُكَرَ، وقيل، ونحوها، دليل على تضعيفه وعدم اعتماده وهذه الطريقة اصطلح عليها العلماء من أهل الحديث وغيرهم على العمل بها في التصحيح والتضعيف(١).

وقد أكثر الإمام القرطبي من هذا النوع، حيث صدر القول الأول بصيغة الجزم وغيره من الأقوال بصيغة التمريض في مواضع متفرقة؛ منها على سبيل المثال:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ [الشورى:١٧].

قال: " ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ أي: العَدْل؛ قاله ابن عباس وأكثر المفسرين، والعدل يُسمى ميزاناً؛ لأن الميزان آلةُ الإنصاف والعدل. وقيل: ما بُين في الكتب مما يجب على الإنسان أن يعمل به"(٢).

٢- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ [الشورى:٣٩].

قال: " قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ ﴾ أي: أصابهم بغي المشركين، قال ابن عباس: وذلك أن المشركين بغوا على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه وآذوهم وأخرجوهم من مكة، فأذن الله لهم بالخروج، ومكن لهم في الأرض، ونصرهم على من

---

(١) ينظر: الباعث الحثيث ص(٨٦)، وتدريب الرواي (١/ ٩٠)، والنكت على كتاب ابن الصلاح (١/ ٣٢٦)

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٥٨).

بغى عليهم؛.. وقيل: هو عام في بغي كل باغ من كافر وغيره"[1].

٣- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الدخان:٣٢].

قال: " قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ﴾، يعني: بني إسرائيل. ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾، أي: على علم منا بهم لكثرة الأنبياء منهم. ﴿عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، أي: عالمي زمانهم؛ بدليل قوله لهذه الأمة: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠]. وهذا قولُ قتادةَ وغيرِه.

وقيل: على كل العالمين بما جعل فيهم من الأنبياء..ويكون قوله: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ﴾، أي: بعد بني إسرائيل"[2].

٤- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان:٥٤].

قال: " قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: الأمرُ كذلك الذي ذكرناه، فيوقف على«كذلك». وقيل: أي: كما أدخلناهم الجنة وفعلنا بهم ما تقدم ذكره، كذلك أكرمناهم بأن زوجناهم حُوراً عيناً"[3].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٨٩).

(٢) المصدر السابق (١٩/ ١٢٣، ١٢٤).

(٣) المصدر السابق (١٩/ ١٣٧).

المبحث الثاني

وجوه الترجيح عند الإمام القرطبي

<u>وفيه أحد عشر مطلباً</u>: -

- المطلب الأول: **الترجيح بالنظائر القرآنية**
- المطلب الثاني: **الترجيح بظاهر القرآن .**
- المطلب الثالث: **الترجيح بدلالة السياق .**
- المطلب الرابع: **الترجيح بالقراءات .**
- المطلب الخامس: **الترجيح با ديث النبوي .**
- المطلب السادس: **الترجيح بأسباب ال ول .**
- المطلب السابع: **الترجيح بأقوال السلف .**
- المطلب الثامن: **الترجيح بالعموم .**
- المطلب التاسع: **الترجيح بدلالة الأصل ا عت أولاً كلام العرب.**
- المطلب العاشر: **الترجيح بدلالة تصريف الكلمة واشتقاقا ا.**
- المطلب الحادي عشر: **الترجيح باللغة والشعر.**

** ** **

المطلب الأول: الترجيح بالنظائر القرآنية

هذا الوجه من أوجه الترجيح المعتمدة عند العلماء، وله مكانة عالية عند المفسرين، فتفسير القرآن بالقرآن أصح طرق التفسير وأشرفها، فما أجمل في مكان فإنه قد فصّل في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في غيره، ولا أحد أعلم بمعنى كلام الله من الله(١).

بل هو من أوجه الترجيح المعتمدة عند المفسرين، فإنهم قد قرروا أن القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عُدم ذلك(٢).

ولقد اهتم الإمام القرطبي بهذا الأمر كثيراً في تفسيره، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١ - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ﴾ [الشورى:١٤].

قال: "قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ في تأخير العقاب عن هؤلاء. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾، قيل: القيامة؛ لقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ﴾ [القمر:٤٦] "(٣).

٢ - وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى:٣٠].

قال: "قلت: ونظير هذه الآية في المعنى قولُه تعالى: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣]"(٤).

---

(١) ينظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص(٧٤).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي (١/ ٣١٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٥٤).

(٤) المصدر السابق (١٨/ ٤٨٠).

٣ – وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ [الشورى:٣٢].

قال: " قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾، أي: ومن علاماته الدالة على قدرته السفن الجارية في البحر كأنها من عِظَمها أعلام. والأعلام: الجبال، وواحد الجواري جارية، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة:١١].

سميت جارية؛ لأنها تجري في الماء، والجارية: هي المرأة الشابة؛ سميت بذلك لأنها يجري فيها ماء الشباب " (١).

٤ – وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف:٤٤].

قال: "﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ﴾، يعني: القرآن شرف لك ولقومك من قريش؛ إذ نزل بلغتهم وعلى رجل منهم، نظيره: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء:١٠]. أي: شرفكم " (٢).

٥ – وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان:٤٠].

قال: "﴿يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾هو يوم القيامة، وسمي بذلك لأن الله تعالى يفصل فيه بين خلقه. دليلُه قولُه تعالى: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ﴾[الممتحنة:٣].

ونظيره قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾[الروم:١٤]. فـ«يَوْم الفَصْل» ميقاتُ الكل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا﴾ [النبأ:١٧] أي: الوقت المجعول لتمييز المسيء من المحسن والفصل بينهما؛ فريق في الجنة وفريق في السعير، وهذا غاية في التحذير والوعيد " (٣).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٨١).

(٢) المصدر السابق (١٩/ ٥١).

(٣) المصدر السابق (١٩/ ١٣٠، ١٣١).

المطلب الثاني: الترجيح بظاهر القرآن

من وجوه الترجيح المعتبرة عند العلماء الترجيح بظاهر اللفظ القرآني، فقد قرروا أنه لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه كما قرروا أن كل تفسير ليس مأخوذاً من دلالة ظاهر ألفاظ الآية وسياقها فهو رد على صاحبه[1].

وقد قال الإمام القرطبي: "والأصل التمسك بالظاهر حتى يرد نص يدفعه"[2].

لذا فهو يولي هذا الأمر عناية بالغة في تفسيره، ويرجح في مسائل ليست بالقليلة بظاهر القرآن، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى:٣٢].

قال: " قوله تعالى: ﴿وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: في النفوس والأموال؛ في قول الأكثرين. وقال مقاتل[3]: بغيهم عَمَلُهم بالمعاصي. وقال أبو مالك: هو ما يرجوه كفارُ قريش أن يكون بمكة غير الإسلام ديناً، وعلى هذا الحد قال ابن زيد: إن هذا كله منسوخ بالجهاد، وإن هذا للمشركين خاصة، وقول قتادة: إنه عام؛ وكذا يدل ظاهر الكلام"[4].

٢- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى:٤٩].

---

(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي (١/ ١٣٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٢٠٤).

(٣) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، أبو الحسن الخراساني، كبير المفسرين، على ضعف فيه واتهام، توفي سنة نيف وخمسين ومائة.

ينظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠١-٢٠٢) وطبقات المفسرين للأدنه وي ص(٢٠).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٩٣).

قال: " قال القاضي أبو بكر بن العربي: وقد أنكر قوم من رؤوس العوام وجود الخنثى؛ لأن الله تعالى قسم الخلق إلى ذكر وأنثى. قلنا: هذا جهل باللغة، وغباوة عن مقطع الفصاحة، وقصور عن معرفة سعة القدرة، أما قدرة الله سبحانه فإنه واسع عليم، وأما ظاهر القرآن فلا ينفي وجود الخنثى؛ لأن الله تعالى قال: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾. فهذا عموم مدح فلا يجوز تخصيصه؛ لأن القدرة تقتضيه. وأما قوله: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ فهذا إخبار عن الغالب في الموجودات، وسكت عن ذكر النادر؛ لدخوله تحت عموم الكلام الأول، والوجود يشهد له والعيان يكذب منكره"[(١)].

٣ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [الدخان:٣٧].

قال: " قوله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هذا استفهام إنكار، أي: إنهم مستحقون في هذا القول العذاب؛إذ ليسوا خيراً من قوم تبع والأمم المهلكة، وإذا أهلكنا أولئك فكذا هؤلاء.

وقال السهيلي[(٢)]: تبع اسم لكل مَلِك مَلَك اليمن والشِّحْر[(٣)] وحضرموت[(٤)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٥٠٦).

(٢) عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، الأندلسي، الإمام المشهور، أخذ القراءات عن سليمان بن يحيى وجماعة، وبرع في العربية واللغة والأخبار، توفي سنة(٥٨١هـ).
ينظر: الديباج (١/ ٨٩)، وفيات الأعيان (٣/ ١٤٣).

(٣) الشحر: بكسر أوله وسكون ثانيه، هو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، قال الأصمعي: هو بين عدن وعمان.
ينظر: معجم البلدان (٣/ ٣٢٧).

(٤) حضرموت: ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف، وهي من أرض اليمن.
ينظر: معجم البلدان (٢/ ٢٧٠).

وإنْ مَلكَ اليمن وحدها لم يُقَل له تُبع، قاله المسعودي[(١)]. فمن التبابعة: الحارث الرائش[(٢)]، وهو ابن همال ذي شدد، وأبرهة ذو المنار[(٣)]، وعمرو ذو الأذعار[(٤)]، وشمر بن مالك[(٥)]، الذي تنسب إليه سَمَرْقَنْد[(٦)]، وأفريقيس بن قيس[(٧)]، الذي ساق البربر[(٨)]

---

(١) ينظر: مروج الذهب (١/ ٢١٣).

والمسعودي هو: علي بن الحسن بن علي أبو الحسن المسعودي، من ذرية عبد الله بن مسعود، مؤرخ، رحالة وبحّاثة، من أهل بغداد، أقام في مصر وتوفي فيها سنة (٣٤٦هـ).

ينظر: الأعلام (٤/ ٢٧٧)، والعبر في خبر من غبر (٢/ ٢٧٥)، والوافي بالوفيات (١/ ١٧).

(٢) الحارث الرائش ابن شدد بن الملطاط بن عمرو، أحد ملوك تبابعة اليمن وهو من أحفاد الصوار، من أبنائه أبرهه وذي الأذعار.

ينظر: الأعلام (٢/ ٢٨٤).

(٣) أبرهة بن الحارث الرائش بن شدد الملطاط بن عمرو لقب بذي المنار، من حمير، من تبابعة اليمن، جاهلي، مات بغمدان.

ينظر: الأعلام (١/ ٨٢).

(٤) عمرو بن أبرهة ذي المنار بن الحارث الرائش، من حمير، أحد التبابعة ملوك اليمن، ولي بعد أخيه العبد بن أبرهة، كان جباراً، ظلم الناس فلقبوه بذي الأذعار، مات بغمدان.

ينظر: الأعلام (٥/ ٧٢).

(٥) لم أقف عليه بعد البحث في مظانه والله أعلم.

(٦) سمرقند: بفتح أوله وثانيه، يقال لها بالعربية: سمران، بلد معروف مشهور، وهو قصبة الصغد مبنية على جنوبي وادي الصغد.

ينظر: معجم البلدان (٣/ ٢٤٧).

(٧) لعله أفريقيس بن الحارث الرائش، أحد التبابعة ملوك اليمن، تولى الملك بعد أخيه ذو الأذعار، ويزعمون أنه هو الذي ابتنى أفريقية في الغرب.

ينظر: الأعلام (٢/ ٢٨٤).

(٨) البربر: هو اسم يشتمل قبائل كثيرة في جبال المغرب أولها برقة وفي الجنوب إلى بلاد السودان، وهم أمم وقبائل لا تحصى، وقد اختلف في أصل نسبهم وهم من العرب المختلف في عروبتهم.

ينظر: معجم البلدان (١/ ٣٦٨)، اللباب في تهذيب الأنساب (١/ ١٣٢)، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان (١/ ٤٨).

إلى أفريقية[1] من أرض كنعان[2]، وبه سميت إفريقية.

والظاهر من الآيات: أن الله سبحانه إنما أراد واحداً من هؤلاء، وكانت العرب تعرفه بهذا الاسم أشد من معرفة غيره"[3].

---

(١) أفريقية: عمل كبير عظيم في غرب ديار مصر، سميت بافريقس بن أبرهة ملك اليمن لأنه غزاها وافتتحها، وهي من برقة شرقاً إلى طنجة غرباً وفتحها ابن أبي السرح.
ينظر: الروض المعطار (١/ ٤٧)، معجم البلدان (١/ ٢٢٨).

(٢) كنعان: بلد بالشام والشام هي منازل الكنعانيين، فيه كان يعقوب بن إسحاق عليه السلام، بينها وبين مصر مسافة ثمانية أيام.
ينظر: الروض المعطار (١/ ٤٩٦)، ومعجم البلدان (٤/ ٤٨٣).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٢٧، ١٢٦).

المطلب الثالث: الترجيح بدلالة بالسياق

دلالة السياق: هي دلالة سابق الكلام ولاحقه على معناه، ويطلق على سابق الكلام سباق وعلى لاحقه لحاق، وعليهما جميعاً سياق(1).

والترجيح بالسياق من وجوه الترجيح المعتمدة عند العلماء، فقد قرروا أن الأولى بالآية أن تدخل في معنى ما قبلها وما بعدها، إذا كانت في سياق واحد(2).

ولقد اعتنى القرطبي ببيان دلالة سياق الآيات على أصح المعاني في تفسيره للقرآن ومن الأمثلة على ذلك: (3)

١ - ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤].

قال"... وقد قيل: إنها نزلت في الذين يتوَلَّون الكافرين من المؤمنين، أي: وإن تُعلنوا ما في أنفسكم أيها المؤمنون من ولاية الكفار أو تُسِرُّوها، يحاسبْكم به الله، قاله الواقديُّ(4) ومقاتل.واستدلوا بقوله تعالى في "آل عمران": ﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ﴾ من ولاية الكفار ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ يدلُّ عليه ما قبله من قوله:

---

(١) ينظر: دلالة السياق القرآني وأثره في التفسير (١/ ٦٢).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي (١/ ١٢٥).

(٣) من خلال البحث في كتابه (الجامع لأحكام القرآن) وجدت أنه رجح تصريحا بدلالة السياق في ستة عشر موضعا مفرقة في ثنتي عشرةسورة ؛ ولكن في الجزء المقرر لي لم أجد أمثلة صريحة تدل على الترجيح بالسياق فأتيت بأربعة أمثلة من خارج السور المقررة لي.

(٤) محمد بن عمر بن واقد، أبو عبد الله الواقدي المدني ثم البغدادي، من أقدم المؤرخين في الإسلام، روى القراءة عن نافع بن أبي نعيم وغيره، وروى عنه كاتبه محمد بن سعيد، كان إماماً عالماً، صاحب تصانيف توفي سنة (٢٠٩هـ).

ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٣٧٢)، ووفيات الأعيان (٤/ ٣٤٨)، وشذرات الذهب (٢/ ٦٩).

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٢٨-٢٩].

قلت: وهذا فيه بُعْد؛ لأن سياقَ الآية لا يقتضيه"[١].

٢- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء:٢].

قال: "... وقيل: الذِّكْرُ الرسولُ نفسُه؛ قاله الحسين بن الفضل[٢]؛ بدليل ما في سياق الآية: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ ولو أراد بالذِّكر القرآنَ لقال: هل هذا إلا أساطيرُ الأولين، ودليلُ هذا التأويلِ قولُه تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٥٢﴾ [القلم] يعني محمداً ﷺ، وقال: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝ رَّسُولًا﴾ [الطلاق:١٠-١١]"[٣].

٣ – وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف:٨٠].

قال: "قيل: هو من كلام الخضر[٤]، وهو الذي يشهد له سياق الكلام، وهو قول كثير من المفسرين، أي خفنا ﴿أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ وكان الله قد أباح له الاجتهاد في قتل النفوس على هذه الجهة"[٥].

٤ – وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣].

قال: "والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٤٨٩).

(٢) الحسين بن الفضل ابن عمير البجلي، أبو علي الكوفي، العلامة المفسر الأديب العابد، كان إمام عصره في معاني القرآن، توفي سنة (٢٨٢هـ).

ينظر: لسان الميزان (٢/ ٣٠٧)، وطبقات المفسرين للسيوطي ص(٤٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١٧٢).

(٤) الخضر صاحب موسى عليه السلام اُختُلِفَ في نسبه وفي كونه نبياً وفي طولِ عمره وبقاءِ حياته.

ينظر: الإصابة (٢/ ٢٨٦).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٥٤٧).

وغيرهم، وإنما قال ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ لأن رسول الله ﷺ وعلياً وحسناً[(١)] وحسيناً[(٢)] كان فيهم، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر فاقتضت الآية أن الزوجات من أهل البيت لأن الآية فيهن، والمخاطبة لهن يدل عليه سياق الكلام، والله أعلم"[(٣)].



---

(١) الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو محمد، سيد شباب أهل الجنة، وريحانة رسول الله ﷺ، والسيد المصلح به بين الأمة، شبيه رسول الله ﷺ وحبيبه، توفي سنة (٥٠هـ).

ينظر: معرفة الصحابة (٢/ ٦٥٤)، والاستيعاب (١/ ٤٣٦)، وحلية الأولياء (٢/ ٣٥)، وأسد الغابة (٢/ ١٠).

(٢) الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو عبد الله، سيد شباب الجنة، وريحانة رسول الله ﷺ وشبيهه، السبط الشهيد، خامس أهل الكساء، وابن سيدة النساء، توفي سنة (٦١هـ).

ينظر: معرفة الصحابة (٢/ ٦٦١)، والاستيعاب (١/ ٤٤٢)، وصفة الصفوة (١/ ٣٧٦)، وأسد الغابة (٢/ ١٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣٥٥).

المطلب الرابع: الترجيح بالقراءات

من وجوه الترجيح المعتبرة عند العلماء الترجيح بالقراءات في الآية أو الكلمة وقد اعتمد الإمام القرطبي الترجيح بالقراءات لبيان معنى كثير من الآيات والأحكام المتعلقة بها مما يعين على فهم المعنى المراد من الآية، ومن الأمثلة على ذلك:

١ - ماذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشورى:٥].

قال: " قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ قراءة العامة بالتاء، وقرأ نافع وابن وثاب والكسائي بالياء. ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ قرأ نافع وغيره بالياء والتاء والتشديد في الطاء، وهي قراءة العامة، وقرأ أبو عمرو وأبوبكر والفضل وأبو عبيد:

" ينفطرن " من الانفطار؛ كقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار:١] "[1].

٢ - وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزخرف:٨٥].

قال: "﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: " وإليه يرجعون " بالياء، الباقون بالتاء. وكان ابن محيصن وحُميد ويعقوب وابن أبي إسحاق يفتحون أوله على أصولهم، وضم الباقون [2].

٣- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الدخان:٧].

قال: "قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قرأ الكوفيون: " رَب" بالجر، الباقون بالرفع؛ رداً على قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، وإن شئت على الابتداء،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٤٣).

(٢) المصدر السابق (١٩/ ٩٢).

والخبر: لا إله إلا هو أو يكون خبر ابتداء محذوف، تقديره: هو رب السماوات والأرض والجر على البدل من ربك" [1].

٤ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:١٠].

قال: "وقرأ حفص والزهري [2]: "عليه الله" بضم الياء، وجرها الباقون.

وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر: "فسنؤتيه" بالنون، واختاره الفراء وأبو معاذ، وقرأ الباقون بالياء، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم، لقرب اسم الله منه" [3].

٥ – وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف:١٥].

قال"وقراءة العامة بفتح الكاف، واختاره أبو عبيد، قال: وكذلك لفظ الكره في كل القرآن بالفتح إلا في سورة البقرة ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦]؛ لأن ذلك اسم وهذه كلها مصادر.

وقرأ الكوفيون: "كُرْهاً" بالضم، قيل: هما لغتان مثل الضُّعْف والضَّعْف، والشُّهْد والشَّهْد. قال الكسائي وكذلك هو عند جميع البصريين" [4].



(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٠٤).

(٢) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، أبو بكر المدني، كان إماماً حافظاً فقيهاً، ثقة، لقب بأمير المؤمنين في الحديث.

ينظر: تاريخ البخاري (١/ ٢٢٠)، والثقات (٥/ ٣٤٩، ٣٥٠)، وتهذيب الكمال (٢٦/ ٤١٩-٤٤٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٣٠٦).

(٤) المصدر السابق (١٩/ ١٩٤).

المطلب الخامس: الترجيح بالحديث النبوي

يعد الترجيح بالحديث النبوي من وجوه الترجيح المعتبرة عند المفسرين، ومن أهم القواعد التي اعتمد عليها العلماء في ترجيحهم بين الأقوال "الحديث الثابت"[1].

فإذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره[2].

كما أنه إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه[3].

لأن الرسول ﷺ أعلم الناس بتفسير وبيان كلام الله، وهذا من مهام رسالته[4] كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤].

ومعرفة الحديث وأقسامه، وأنواعه، وما يُحتجُّ به، وما لا يُحتج به، كل ذلك من الأمور التي لابد أن يعرفها كل من يفسر كتاب الله، ولقد كان للإمام القرطبي قدم السبق في هذا الفن، حيث جعله شرطا في كتابه، فقال: "وشرطي في هذا الكتاب: إضافة الأقوال إلى قائليها، والأحاديث إلى مصنفيها، فإنه يقال: من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله، وكثيراً ما يجيء الحديث في كتب الفقه والتفسير مبهماً لا يعرف من أخرجه إلا من اطلع على كتب الحديث فيبقى من لا خبرة له بذلك حائراً لا يعرف الصحيح من السقيم، ومعرفة ذلك علم جسيم، فلا يقبل منه الاحتجاج به، ولا الاستدلال، حتى يضيفه إلى من يخرجه من الأئمة الأعلام، والثقات المشاهير من علماء المسلمين، ونحن نشير إلى جُمل من ذلك في هذا الكتاب، والله الموفق للصواب"[5].

---

(١) الحديث الثابت: يدخل تحته الصحيح بنوعيه، والحسن بنوعيه.

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي (١/ ١٩١).

(٣) ينظر: المصدر السابق (١/ ٢٠٦).

(٤) ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (٢/ ٦٢١).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٧).

والترجيح بالحديث النبوي من أهم المصادر التي يعتمد عليها القرطبي في تفسيره وترجيحاته فهو من العلماء الذين لا يتجاوزون حديث رسول الله ﷺ؛ بل يرجّح به كثيراً إذا ثبت عنده، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى:٢٣].

قال: " قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ﴾ أي: إلا أن تودوني لقرابتي فتحفظوني. والخطاب لقريش خاصة؛ قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد وأبو مالك والشعبي وغيرهم. وفي البخاري: عن طاووس[1] عن ابن عباس أنه سُئل عن قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ﴾ فقال سعيد بن جُبير: قُربى آل محمد؛ فقال ابن عباس: عَجِلت، إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تَصِلوا ما بيني وبينكم من القرابة"[2].

---

(١) طاووس بن كيسان، الإمام، أبو عبد الرحمن اليماني، سمع زيد بن ثابت وعائشة وابن عباس، كان رأساً في العلم والعمل والزهد، وكان شيخ أهل اليمن ومفتيهم، وكان كثير الحج، فاتفق موته بمكة قبل التروية بيوم سنة (١٠٦هـ).

ينظر: طبقات علماء الحديث (١/ ١٥٩–١٦٠)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٣٨–٤٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٦٥، ٤٦٦).

والحديث أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب التفسير، باب ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ٨٥١ ، ح ٤٨١٨) من طريق طاووس بن كيسان عن ابن عباس به، وكذا أخرجه الطبري (١١/ ١٤٢)، والبغوي في تفسيره (٤/ ١١١) ، وأخرجه النحاس في معانيه من طريق الضحاك عنه بنحوه وقد روى الحديث عن ابن عباس أيضاً جماعة من تلاميذه، منهم : الشعبي ، وعلي بن أبي طلحة وغيرهما،

ينظر: تفسير الطبري(١١ / ١٢٤) ومستدرك الحاكم (٢/ ٤٨٢ ، ح ٣٦٦)، وتفسير ابن أبي حاتم(١٠/ ٣٢٧٥)، والمعجم الكبير للطبراني (١٢/ ٢٥٤ ، ح ١٣٠٢٦)، والدر المنثور للسيوطي (٧/ ٢٩٨).

٢- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى:٤٣].

قال: "أي: صبر على الأذى و«غفر» أي: ترك الانتصار لوجه الله تعالى؛ وهذا فيمن ظلمه مسلم.. وبالجملة العفو مندوب إليه، ثم ينعكس الأمر في بعض الأحوال فيرجع ترك العفو مندوباً إليه كما تقدم؛ وذلك إذا احتيج إلى كف زيادة البغي وقطع مادة الأذى، وعن النبي ﷺ ما يدل عليه، وهو أن زينب[(١)] أسمعت عائشة[(٢)] } بحضرته فكان ينهاها فلا تنتهي، فقال لعائشة: «دونَكِ فانتصري» "[(٣)].

٣- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف:٥٨].

قال: " ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾: مجادلون بالباطل.

وفي صحيح الترمذي[(٤)] عن أبي أمامة[(٥)] قال: قال رسول الله ﷺ: « ما ضل قوم

---

(١) زينب بنت جحش الأسدية، أم المؤمنين بنت عمة الرسول ﷺ، نزلت بسببها آية الحجاب، وقد كانت قبل رسول الله ﷺ عند زيد بن حارثة مولى رسول الله، توفيت سنة (٢٠هـ) بالمدينة.
ينظر: الإصابة (٧/ ٦٦٧)، تهذيب الكمال (٣٥/ ١٨٤)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٤٩).

(٢) عائشة بنت أبي بكر الصديق التيميَّة، أم المؤمنين، وأم عبد الله، الفقيهة، حبيبة رسول الله ﷺ، وزوجته في الدنيا والآخرة، توفيت في رمضان سنة(٥٧هـ)، وقيل(٥٨هـ).
ينظر: صفة الصفوة (٢/ ٩)، والإصابة (٤/ ٣٥٩)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٤٨٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٩٦، ٤٩٥).
والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٧/ ١٣٥ح(٢٤٢٢٧)؛ والنسائي في السنن الكبرى: ٥/ ٢٩٠ح(٨٨٢١)، ح(٨٨٢٢)، ح(١١٣٧٢)-كتاب: عشرة النساء، باب: الانتصار؛ وابن ماجه في سننه: ١/ ٦٣٧ح(٢٠٣٨) كتاب: النكاح، باب: حسن معاشرة النساء.

(٤) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي الترمذي، أبو عيسى، من أئمة علماء الحديث، من أهل ترمذ، تتلمذ للبخاري، من تصانيفه « الجامع الكبير » ، توفي سنة(٢٥٣هـ).
ينظر: الأعلام (١/ ٣٢٢)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٠)، ووفيات الأعيان (٤/ ٢٧٨).

(٥) صدي بن عجلان بن وهب أبو أمامة الباهلي صاحب رسول الله ﷺ ونزيل حمص روى علماً كثيراً، توفي سنة(٨١هـ).

⇦=

بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًاۢ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ "[1].

٤ - وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف:٧١].

قال: " قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ أي: لهم في الجنة أطعمة وأشربة يطاف بها عليهم في صحاف من ذهب وأكواب، ولم يذكر الأطعمة والأشربة؛ لأنه يعلم أنه لا معنى للإطافة بالصحاف والأكواب عليهم من غير أن يكون فيها شيء، وذكر الذهب في الصحاف واستغنى به عن الإعادة في الأكواب؛ كقوله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [الأحزاب:٣٥].

وفي الصحيحين عن حذيفة أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها؛ فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة»[2].

٥ - وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٧].

قال: "قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ﴾ وهو خازن النار، خلقه لغضبه؛ إذا زجر النار زجرة أكل بعضها بعضاً.

ينظر: الاستيعاب (٤/ ١٦٠٢)، ومعجم الصحابة (٢/ ٧).

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٦٨).

أخرجه الترمذي - كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: سورة الزخرف، ح (٣٣٧٦)، (٩/ ١٠٦). وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في المسند٦/ ٣٣٥ح(٢١٧٨٨)؛ وابن ماجه في سننه: ١/ ١٩ح(٤٩)، كتاب: النبي ﷺ، باب: اجتناب البدع والجدل؛ والحاكم في المستدرك: ٢/ ٤٨٥ح(٣٧٢١) - كتاب : التفسير، باب: ما ضل قوم بعد هدى إلا أوتوا الجدل، وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٧٨)، والحديث سبق تخريجه في ص(٥٩).

وقرأ علي وابن مسعود { : «ونادوا يا مال». وذلك خلاف المصحف..

قلت: وفي صحيح البخاري عن صفوان بن يعلى[1]، عن أبيه[2] قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ على المنبر: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ بإثبات الكاف" [3].

٦-وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ [الدخان:٢٣].

قال: " قوله تعالى: ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا ﴾.. أُمِر موسى عليه السلام بالخروج ليلاً، وسَيْرُ الليل في الغالب إنما يكون عن خَوْف، والخوفُ يكون بوجهين: إما من العدو فيتخذ الليل سِتراً مُسْدِلاً، فهو من أستار الله تعالى. وإما من خوْفِ المشقة على الدواب والأبدان بِحَر أو جَدْب[4]، فيتخذ السُرَى مصلحةً من ذلك. وكان النبيُ ﷺ يَسرِي ويُدْلج[5] ويترفق ويستعجل، بحسب الحاجة وما تقتضيه المصلحة. وفي الصحيح عن

(١) صفوان بن يعلى بن أمية، حليف قريش المكي، ثقة، روى عن أبيه، وروى عنه عطاء وعمرو بن الحسن وغيرهما.

ينظر: الإصابة (٣/ ٤٧١)، وتهذيب الكمال (١٣/ ٢١٨)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٣٧٩).

(٢) يعلى بن أمية بن عبيدة بن همام التميمي الحنظلي، وهو صحابي كان حليفاً لقريش، أسلم بعد الفتح وشهد الطائف، توفي سنة(٣٧هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء(٣/ ١٠٠)، والأعلام (٨/ ٢٠٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٨٦، ٨٤).

والحديث أخرجه البخاري-كتاب بدء الخلق- باب: صفة النار وأنها مخلوقة- (٣/ ١١٩٠) رقم (٣١٩٦)، وكتاب: تفسير القرآن- باب: قوله: ونادوا يا مالك- (٤/ ٤٨٢١) رقم (٤٧٠١) ومسلم-كتاب الجمعة- باب تخفيف الصلاة والخطبة- (٦ / ١٣٣) حديث رقم (١٩٦١).

(٤) الجَدْبُ: نقيض الخِصْب، ومكان جَدْب، والمجداب: الأرض التي لا تكاد تخصب، والجَدْبُ هو انقطاع المطر ويُبْس الأرض.

ينظر: الصحاح(١/ ٨١)، والقاموس المحيط(١/ ٨٤)، والمصباح(٢/ ٧٨).

(٥) الدلج، يقال: أدْلَجَ القوم إذا ساروا من أول الليل، والاسم الدلج بالتحريك، فإن ساروا من الليل فقد ادَّلجوا، بتشديد الدال.

ينظر: الصحاح(١/ ٢١٠)، ولسان العرب(٢/ ٢٧٢).

النبي ﷺ: «إذا سافرتم في الخِصْب، فأعطوا الإبل حظها من الأرض، وإذا سافرتم في السنة، فبادروا بها نِقْيَها»" [1].

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١١٤).

والحديث أخرجه مسلم – كتاب: الإمارة، باب: مراعاة مصلحة الدواب في السير: (١٣ / ٥٩) حديث رقم (٤٩١٦).

والنقي: نقيها، يعني: مخها، يقال: نقيت العظم ونقوته وأنقيته: إذا استخرجته منه.

ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين(١/ ١٧١)، وإكمال المعلم شرح صحيح مسلم(٦/ ١٧٧)، ولسان العرب(١٢/ ٢٦٤).

المطلب السادس: الترجيح بأسباب النزول

لقد قرر الأئمة الأعلام أن من أهم فوائد معرفة أسباب النزول، أنها تعين على فهم الآية على وجه صحيح[(١)]، فإذا تنازع العلماء في تفسير آية من كتاب الله وتعددت أقوالهم فيه، فأولى الأقوال بتفسير الآية ما وافق سبب النزول الصحيح الصريح في السببية؛ ولذلك من القواعد المعتبرة في الترجيح عند المفسرين الترجيح بأسباب النزول، فالقول الذي يؤيده سبب النزول مقدم على ما ليس كذلك[(٢)].

وهذا مما اعتمد عليه الإمام القرطبي في تفسيره سواء في ترجيحه لقول في الآية، أو في ردّه لبعض الأقوال لمخالفتها سبب النزول، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١-عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى:٢٣].

قال: "وقال قتادة: قال المشركون: لعل محمداً فيما يتعاطاه يطلب أجراً؛ فنزلت هذه الآية، ليحثهم على مودته ومودة أقربائه، قال الثعلبي[(٣)]: وهذا أشبه بالآية، لأن السورة مكية."[(٤)].

٢-وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى:٥١].

---

(١) ينظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص(٤٧)، والبرهان ص(٥٣)

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي (١/ ١٤١).

(٣) أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق النيسابوري، صاحب التفسير، وكان عالم زمانه في علم القرآن، المفسر الواعظ الأديب الثقة الحافظ، توفي في المحرم سنة(٤٢٧هـ).

ينظر: معجم الأدباء (٢/ ١٩-٢١)، وطبقات الشافعية الكبرى (٤/ ٥٨).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٧٠).

قال: " قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ سبب ذلك أن اليهود[1] قالوا للنبي ﷺ: ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر إليه؛ فإنا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك، فقال النبيﷺ: «إن موسى لن ينظر إليه» فنزل قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾؛ ذكره النقاش والواحدي[2] والثعلبي"[3].

٣- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ [الزخرف:٧٩].

قال: " قال مقاتل: نزلت في تدبيرهم بالمكر بالنبي ﷺ في دار الندوة[4]، حتى استقر أمرهم على ما أشار به أبو جهل عليهم أن يبرز من كل قبيلةٍ رجلٌ ليشتركوا في قتله، فتَضعُف المطالبةُ بدمه؛ فنزلت هذه الآية، وقتل اللهُ جميعَهم ببدر[5]".

٤- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف:٨٠].

---

(١) اليهود: هم أمة موسى الطَّيِّلاً، وكتابهم التوراة، وقد حرفوه.
ينظر: الملل والنحل (١/ ٢٥٠).

(٢) علي بن أحمد الواحدي، أبو الحسن، المفسر العلامة، صاحب التفاسير الثلاثة المشهورة: « البسيط، الوسيط، الوجيز »، توفي سنة (٤٦٨هـ).
ينظر: معجم الأدباء (١٢/ ٢٥٧)، ووفيات الأعيان (٣/ ٣٠٣)، والسير (١٨/ ٣٣٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٥٠٧).

(٤) دار الندوة: الندوة بالفتح ثم السكون وفتح الواو، وقال أهل اللغة النادي المجلس يندو إليه من حواليه ولا يسمى ناديا حتى يكون فيه أهله، وإنما سمي نادياً؛ لأن القوم يندون إليه ندوا وندوة ولذلك سميت دار الندوة بمكة وهي من المسجد الحرام.
ينظر: معجم البلدان (٥/ ٢٧٩).

(٥) الجامع لأحكام القرآن(١٩/ ٨٧)، وبدر: مكان مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصّفراء بينه وبين الجار، وهو ساحل البحر ليلة، يقال: إنه يُنسب إلى بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة، وبموقعه كانت الواقعة المشهورة بين المسلمين والمشركين في السنة الثانية من الهجرة.
ينظر: معجم البلدان (١/ ٣٥٧)، وتعريف الأماكن الواردة في البداية والنهاية (١/ ٣٠١).

قال: "..وروي أن هذا نزل في ثلاثة نفر كانوا بين الكعبة وأستارها؛ فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع كلامنا؟ وقال الثاني: إذا جهرتم سمع، وإذا أسررتم لم يسمع. وقال الثالث: إن كان يسمع إذا أعلنتم فهو يسمع إذا أسررتم؛ قاله محمد بن كعب القرظي[1]"[2].

٥- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ [الدخان:٤٩].

قال: " قال قتادة: نزلت في أبي جهل وكان قد قال: ما فيها أعزز مني ولا أكرم، فلذلك قيل له: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾. وقال عكرمة: التقى النبيﷺ وأبو جهل، فقال النبيﷺ: إن الله أمرني أن أقول لك: أولى لك فأولى فقال: بأي شيء تهددني! والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئا، إني لمن أعز هذا الوادي وأكرمه على قومه، فقتله الله يوم بدر وأذله، ونزلت هذه الآية، أي يقول له الملك: ذق إنك أنت العزيز الكريم بزعمك"[3].



(١) محمد بن كعب القرظي المدني، أبو حمزة، تابعي ثقة، رجل صالح، كان من عباد أهل المدينة وعلمائهم بالقرآن، توفي سنة (١٠٨هـ).

ينظر: معرفة الثقات (٢/ ٢٥١)، ومشاهير الأمصار ص(٦٥)، والإصابة (٦/ ٣٤٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٨٨).

(٣) المصدر السابق (١٩/ ١٣٦، ١٣٥).

المطلب السابع: الترجيح بأقوال السلف[1]

من المتفق عليه عند العلماء أن أقوال سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الأمة المشهود لهم بالإمامة في العلم والدين من القرون الثلاثة الأولى المفضلة مقدمة على أقوال غيرهم، وهي من وجوه الترجيح المعتمدة عند علماء الأمة؛ إذ قرروا أن تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[2].

وأن فهم السلف للقرآن حجة يحتكم إليه لا عليه[3].

والإمام القرطبي يقدم أقوال السلف من الصحابة والتابعين والأئمة ويعتمد عليها، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى:٢٠].

قال "قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾، الحرث العمل والكسب، ومنه قول عبدالله بن عمرو: واحرث لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً، ومنه سُمي الرجل حارثاً.

وقال قتادة: إن الله يعطي على نية الآخرة ما شاء من أمر الدنيا، ولايعطي على نية الدنيا إلا الدنيا، وقال أيضا يقول الله تعالى: من عمل لآخرته زدناه في عمله، وأعطيناه من الدنيا ما كتبنا له، ومن آثر دنياه على آخرته لم نجعل له نصيباً في الآخرة

---

(١) السّلف هم: الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم أجمعين-، وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شُهِد له بالإمامة، وعُرِف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف دون من رمي ببدعة، أو اشتهر بلقب غير مرضي كالخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة، والجبرية، والجهمية، والمعتزلة، والكرامية، ونحو هؤلاء.

ينظر: لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/ ٢٠).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي (١/ ٢٧١).

(٣) ينظر: قواعد التفسير للسبت (١/ ٢٠٦).

إلا النار، ولم يصب من الدنيا إلا رزقاً قد قسمناه له لا بد أن كان يؤتاه مع إيثار أو غير إيثار.

قلت: قول قتادة حسن"[1].

٢- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى:٢٦].

قال: "..وقال ابن عباس: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يُشَفعهم في إخوانهم.

﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۚ﴾ قال: يُشفعهم في إخوان إخوانهم.

وقال المُبرد: معنى ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: وليستدع الذين آمنوا الإجابة؛ هكذا حقيقةُ معنى استفعل "[2].

٣- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان:٣]. قال: " والليلةُ المباركة ليلةُ القدر، ويقال: ليلة النصف من شعبان،.. وقال عكرمة: الليلة المباركة ها هنا ليلة النصف من شعبان، والأوّل أصحُّ؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر:١] قال قتادة وابن زيد: أنزل الله القرآن كلَّه في ليلة القدر من أمّ الكتاب إلى بيت العِزَّة في سماء الدنيا، ثم أنزله الله على نبيه ﷺ في الليالي والأيام في ثلاث وعشرين سنة "[3].

٤- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ [الدخان:٢٠].

قال: " كأنهم توعَّدوه بالقتل فاستجار بالله، قال قتادة: ﴿تَرْجُمُونِ﴾ بالحجارة،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٦١، ٤٦٢).

(٢) المصدر السابق (١٨/ ٤٧٣).

(٣) المصدر السابق (١٩/ ١٠٠، ٩٩).

وقال ابن عباس: تشتمون، فتقولوا: ساحرٌ كذَّاب"[1].

٥- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان:٢٨].

قال الزجاج: أي الأمر كذلك؛ فيوقف على «كذلك»، وقيل: إن الكاف في موضع نصب، على تقدير: نفعل فعلاً كذلك بمن نريد إهلاكه، وقال الكلبي[2]: «كذلك» أفعل بمن عصاني، وقيل: « كذلك» كان أمرهم فأهلكوا"[3].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١١٢).

(٢) محمد بن السائب بن بشر، أبو النضر الكوفي، نسابة مفسر، إلا أنه شيعي متروك الحديث، سئل الإمام أحمد عن تفسيره فقال: كذب، فقيل: يحل النظر فيه؟ قال: لا، توفي سنة(١٤٦هـ).

ينظر: تاريخ البخاري (١/ ١٠١)، وطبقات ابن سعد (٦/ ٣٥٨-٣٥٩)، والسير (٦/ ٢٤٨-٢٤٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١١٨).

المطلب الثامن: الترجيح بالعموم

العموم وجه من وجوه الترجيح المعتبرة، وحجة قوية ترجح بها الأقوال، وقد اعتمد هذا الوجه العلماء حيث قال أحدهم: أعلم أن القرآن إذا أتت اللفظة منه تعم ما تحتها حملت على ذلك من عمومها، حتى يأتي ما يخصصها"[(١)].

وقد قرروا أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص"[(٢)].

وقد اعتمد الإمام القرطبي هذا الوجه من وجوه الترجيح في تفسيره، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَـٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الشورى:٢٤].

قال "﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ عام، أي: بما في قلوب العباد"[(٣)].

٢- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى:٢٥].

قال: "قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ قال ابن عباس: لما نزل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣]، قال قوم في نفوسهم: ما يريد إلا أن يحثنا على أقاربه من بعده؛ فأخبر جبريل النبي ﷺ، وأنهم قد اتهموه، فأنزل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ الآية؛ فقال القوم: يارسول الله، فإنا نشهد أنك صادق ونتوب، فنزلت: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ

(١) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي (١٠١).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي (٢/ ٥٢٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٧٢).

عِبَادِهِۦ﴾، قال ابن عباس: أي: عن أوليائه وأهل طاعته، والآية عامة" [(١)].

٣- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الشورى:٤٢].

قال: " قوله تعالى: ﴿وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ أي: في النفوس والأموال؛ في قول الأكثرين، وقال مقاتل: بغيهم عَمَلُهم بالمعاصي، وقال أبو مالك: هو ما يرجوه كفارُ قريش أن يكون بمكة غير الإسلام ديناً، وعلى هذا الحد قال ابن زيد: إن هذا كله منسوخ بالجهاد، وإن هذا للمشركين خاصة، وقول قتادة: إنه عام؛ وكذا يدل ظاهر الكلام" [(٢)].

٤-وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ﴾ [الزخرف:١٢].

قال" قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ﴾ أي: واللهُ الذي خلق الأزواج. قال سعيد بن جبير: أي: الأصناف كلها. وقال الحسن: الشتاء والصيف، والليل والنهار، والسماوات والأرض، والشمس والقمر، والجنة والنار. وقيل: أزواج الحيوان من ذكر وأنثى؛ قاله ابن عيسى [(٣)]. وقيل: أراد أزواج النبات، كما قال تعالى: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ﴾ [ق:٧]، و﴿مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء:٧]. وقيل: ما يتقلب فيه الإنسان من خير وشر، وإيمان وكفر، ونفع وضر، وفقر وغنى، وصحة وسقم.

قلت: وهذا القول يعم الأقوال كلها ويجمعها بعمومه" [(٤)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٧٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٩٣).

(٣) هو هاشم بن حسين بن عمر بن عيسى الشافعي، كان من الزاهدين، وهو نحوي، مفسر، وكان مدرساً في حلب في المدرسة البهائية، توفي سنة (١٢٩٢هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٤٦)، الأعلام (٨/ ٦٥).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١١).

٥- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف:٦٧].

قال ".. وحكى النقاش أن هذه الآية نزلت في أمية بن خلف الجمحي[(١)] وعقبة بن أبي معيط[(٢)]، كانا خليلين؛ وكان عقبة يجالس النبي ﷺ، فقالت قريش: قد صبأ[(٣)] عقبة بن أبي معيط؛ فقال له أمية: وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمداً ولم تتفل في وجهه.

ففعل عقبة ذلك؛ فنذر النبي ﷺ قتله، فقتله يوم بدر صبرًا[(٤)]، وقُتل أمية في المعركة؛ وفيهم نزلت هذه الآية[(٥)].

وذكر الثعلبي عن علي رضي الله عنه في هذه الآية، قال: كان خليلان مؤمنان وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنَين فقال: يارب، إن فلانا كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، وكان يأمرني بالخير وينهاني عن الشر، ويخبرني أني ملاقيك، يارب فلا تُضِله بعدي، واهده كما هديتني، وأكرمه كما أكرمتني، فإذا مات خليله المؤمن جمع الله بينهما،

---

(١) أمية بن خلف بن وهب من بني لؤي أحد جبابرة قريش في الجاهلية، أدرك الإسلام ولم يسلم، وهو الذي كان يعذب بلال بن رباح في بداية الإسلام، أسره عبد الرحمن بن عوف في يوم بدر فرآه بلال فصاح بالناس يحرضهم على قتله فقتلوه.
ينظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٥٢)، وتاريخ الطبري (٢/ ١٥٢).

(٢) عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو الوليد، كان من شياطين قريش، أسره عبد الله بن سلمة يوم بدر وقتله عاصم بن ثابت، وقيل: علي بن أبي طالب.
ينظر: الإكمال (٧/ ٢٠٨)، أنساب الأشراف (١/ ٦٦)، سيرة ابن هشام (١/ ٦٤٤).

(٣) صبأ، يقال: صَبَأَ فلان يصْبَأُ إذا خرج من دينه، وصبأ صبئاً وصُبوءاً: خرج من دين إلى دين آخر.
ينظر: لسان العرب (١/ ١٠٨)، القاموس المحيط (١/ ٥٧).

(٤) قوله: «ففعل عقبة ذلك» هذه الزيادة منكرة، والصحيح أن الله لم يمكن عقبة مما أراد فعله.

(٥) صَبَرْتُ الرجل، إذا قتلْتَه صَبْراً. يقال: قُتل فلان صَبْراً إذا حبس على القتل حتى يُقْتل.
ينظر: الصحاح (١/ ٣٧٨)، القاموس المحيط (١/ ٥٤١).

فيقول الله تعالى: لِيُثْنِ كل واحد منكما على صاحبه، فيقول: يارب، إنه كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر، ويخبرني أني ملاقيك، فيقول الله تعالى: نعم الخليلُ ونعم الأخ ونعم الصاحب كان. قال: ويموت أحد الكافرَين فيقول: يارب، إن فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير، ويخبرني أني غير ملاقيك، فأسألك يا رب ألا تهده بعدي، وأن تضله كما أضللتني، وأن تهينه كما أهنتني، فإذا مات خليله الكافر قال الله تعالى لهما: ليثن كل واحد منكما على صاحبه، فيقول: يارب، إنه كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك، ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير، ويخبرني أني غير ملاقيك، فأسألك أن تضاعف عليه العذاب؛ فيقول الله تعالى: بئس الصاحب والأخ والخليل كنت، فيلعن كل واحد منهما صاحبه.

قلت: والآية عامة في كل مؤمنٍ ومتقٍ وكافرٍ ومضلٍ"[1].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٧٦، ٧٥).

المطلب التاسع: الترجيح بدلالة الأصل المعتبر أولاً في كلام العرب

بما أن القرآن نزل بلسان عربي مبين؛ فإن المفسرين إذا اختلفوا في تفسير آية من كتاب الله، وأيد تصريف الكلمة أوأصل اشتقاقها أحد الأقوال فهذا القول هو أولى الأقوال بتفسير الآية؛ لأن التعريف والاشتقاق يعيدان الألفاظ إلى أصولها فتتضح الألفاظ والمعاني المتفرعة عنها.(١)

وقد استعمل القرطبي الترجيح بالأصل المعتبر أولاً في كلام العرب؛ فربما اعتمد قولاً لموافقته الأصلَ عند العرب أو ربما رده لمخالفته ذلك، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ [الزخرف:٥].

قال: " ومعنى ﴿ صَفْحًا ﴾ إعراضاً؛ يقال: صفحتُ عن فلانٍ: إذا أعرضتَ عن ذنبه، وقد ضربت عنه صفحاً: إذا أعرضت عنه وتركته. والأصلُ فيه صفحةُ العُنق؛ يقال: أعرضتُ عنه، أي: وليتُه صفحةَ عنقي. قال الشاعر:

صــفوحاً فــما تلقــاكَ إلا بخيلَــةً   فمَنْ مَل منها ذلك الوصل مَلتِ"(٢).

٢- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ [الدخان:٥١].

قال: "وقرأ نافع وابن عامر: «في مُقَامٍ» بضم الميم، الباقون بالفتح. قال الكسائي: المُقام المكان، والمُقام الإقامة، كما قال:

عفَــتِ الــديارُ محَلها فَمُقَامهــا(٣)

---

(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي (٢/ ٥١١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٨)، والبيت لكثيرة عزة، ينظر: ديوانه ص(٧٧).

(٣) القائل: هو لبيد بن ربيعة، ينظر: ديوانه ص(٢٩٧).

قال الجوهري: وأما المَقام والمُقام فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة، وقد يكون بمعنى موضع القيام؛ لأنك إذا جعلته من قَامَ يَقُوم؛ فمفتوح، وإن جعلته من أَقَام يُقِيم؛ فمضموم؛ لأن الفعل إذا جاوز الثلاثة فالموضع مضموم الميم؛ لأنه مشبه ببنات الأربعة، نحو: دَحْرَجَ، وهذا مُدَحْرَجُنَا"[1].

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٣٧، ١٣٦)، وينظر: الصحاح (٥/ ٢٠١٧).

المطلب العاشر: الترجيح بدلالة تصريف الكلمة واشتقاقاتها

يدل تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها على صحة بعض المعاني؛ لأن إعادة الكلمة إلى أصل اشتقاقها يبين المعنى الذي أخذت منه وأريد بها، فيستدل على أقوى الأقوال وأولاها في تفسير الآية وهذا الوجه معتمد عند المفسرين، فقد قرروه وعملوا به في الترجيح تقوية لبعض الأقوال على بعض وتضعيفاً لأخرى في تفاسيرهم لكتاب الله(1).

وكثيراً ما يستدل القرطبي على معنى الكلمة بإعادتها لتصريفها ولأصل اشتقاقها ومن الأمثلة على ذلك:

١ - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى:٢٣].

قال: " قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ أي: يكتسب، وأصلُ القَرْف الكسب، يقال: فلان يَقْرِف لِعياله، أي: يَكسِبُ. والاقتراف الاكتساب، وهو مأخوذ من قولهم: رجل قُرَفَة، إذا كان مُحتالا "(2).

٢ - وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [الشورى:٣٥].

قال: " ومعنى ﴿مِّن مَّحِيصٍ﴾ أي: من فِرار ومَهْرب؛ قاله قُطْرُب(3). السدي: مِن

---

(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي (٢/ ٥١١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٧٠).

(٣) محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي، الشهير بقُطْرُب، نحوي عالم بالأدب واللغة، يرى رأي المعتزلة، توفي سنة (٢٠٦هـ).

ينظر: نزهة الألباء ص(٧٦)، ومعجم الأدباء (١٩/ ٥٢)، وإنباه الرواة (٣/ ٢١٩)، وبغية الوعاة (١/ ٢٤٢).

مَلْجأ. وهو مأخوذ من قولهم: حاص به البعير حيصةً إذا رمى به. ومنه قولهم: فلان يحيص عن الحق، أي: يميلُ عنه"[1].

٣- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ﴾ [الزخرف:٣٤].

قال: "﴿عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ﴾ الاتكاء والتوكؤ: التحامل على الشيء؛ ومنه: ﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾ [طه:١٨]، ورجل تُكَأَة، مثال هُمَزَة: كثير الاتكاء، والتكأة أيضا: ما يُتكأ عليه. واتكأ على الشيء فهو متكِىء؛ والموضع متكَأ. وطعنه حتى أتكأه، على أَفْعَلَه، أي: ألقاه على هيئة المُتكِىء. وتوكأت على العصا. وأصل التاء في جميع ذلك واو، ففُعل به ما فُعل بـ: اتزن واتعد"[2].

٤- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾ [الدخان:٢٧].

قال: "﴿وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾ النعَمة -بالفتح-: التنعيم، يقال: نعمه الله وناعَمَه فتَنعم، وامرأة مُنعمة ومُناعَمَة، بمعنًى، والنعمة - بالكسر-: اليد والصنيعة والمِنة وما أُنعِم به عليك، وكذلك النعمى، فإن فتحتَ النون مددتَ وقلتَ: النعماء. والنعيم مثله. وفلان واسعُ النعمة، أي: واسعُ المال، جميعه عن الجوهري. وقال ابن عمر[3]: المراد بالنعمة نيلُ مصر. ابن لهيعة[4]: الفيوم[5]. ابن زياد: أرضُ مصرَ لكثرة

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٨٤).

(٢) المصدر السابق (١٩/ ٤٢).

(٣) عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي، أبو عبد الرحمن، من أعز بيوتات قريش في الجاهلية، كان جريئاً جهيراً عابداً، توفي سنة (٧٣هـ).

ينظر: الاستيعاب (٢/ ٥٩٠)، وحلية الأولياء (١/ ٣٦٣)، وصفة الصفوة (١/ ٢٦٦).

(٤) عبدالله بن لهيعة -بفتح اللام وكسر الهاء- ابن عقبة الحضرمي، أبو عبد الرحمن المصري، صدوق، قاضي الديار المصرية وعالمها ومحدثها في عصره، توفي سنة (١٧٤هـ).

تقريب التهذيب (٢/ ٣١٩)، الأعلام (٤/ ١١٥).

(٥) الفيوم: بالفتح موضع بمصر، وهي ولاية غربية بينها وبين الفسطاط أربعة أيام بينهما مفازة لا ماء بها ولا مرعى.

⇦=

خيرها.وقيل: ما كانوا فيه من السعة والدعة. وقد يقال: نَعْمَة ونِعْمَة؛ بفتح النون وكسرها، حكاه الماوردي. قال: وفي الفرق بينهما وجهان:

أحدهما: أنها بكسر النون في المِلْك، وبفتحها في البَدَن والدين.قاله النضر بن شُمَيل[١].

الثاني: أنها بالكسر من المِنة؛ وهو الإفضال والعطية، وبالفتح من التنعيم؛ وهو سَعةُ العيش والراحة، قاله ابن زياد.

قلت: هذا الفرق هو الذي وقع في الصحاح[٢] وقد ذكرناه"[٣].

= ينظر: معجم البلدان (٤/ ٢٨٦).

(١) النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد المازني البصري النحوي، أبو الحسن، أصله من البصرة، كان من فصحاء الناس وعلمائهم بالأدب، ثقة إمام، توفي سنة(٢٠٣هـ).

ينظر: الكاشف (٢/ ٣٢٠)، الثقات لابن حبان (٩/ ٢١٢)، تهذيب التهذيب (٣٣/ ٤٢).

(٢) ينظر: (٥/ ٢٠٤١) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١١٨، ١١٧).

المطلب الحادي عشر: الترجيح باللغة والشعر

إن المتأمل في تفسير القرطبي يدرك مدى إلمامه بلغة العرب وأدبها، وبلاغتها، وأشعارها وفي استشهاده بكثير من النصوص الأدبية من لغة العرب شعرها ونثرها، ما يشهد له بطول الباع وسعة الأفق، فنجده يحتكم إلى لغة العرب وأشعارها ويستشهد بها فيما يرجحه في كثير من المعاني التي يذهب إليها، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى:٥٠].

قال: "﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ أي: لا يُولَد له؛ يقال: رجل عقيم، وامرأة عقيم. وعَقِمَت المرأة تَعْقَم عَقْماً؛ مثل حَمِد يَحْمَدُ. وعَقُمت تَعْقُم، مثل عَظُم يَعْظُم. وأصله القطع، ومنه المُلْك العقيم، أي: تقطع فيه الأرحام بالقتل والعقوق خوفاً على الملك. وريح عقيم، أي: لا تلقح سحاباً ولا شجراً. ويوم القيامة يوم عقيم؛ لأنه لا يوم بعده. ويقال: نساء عُقُم وعُقْم؛ قال الشاعر[1]:

عُقِم النساء فما يَلِدْنَ شبيهه إن النساءَ بمثله عُقْمُ "[2].

٢- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف:٣٣].

قال: "﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ أي: على المعارج يرتقون ويصعدون؛ يقال: ظهرت على البيت، أي: علوتُ سطحَه، وهذا لأن مَن علا شيئا وارتفع عليه ظهر للناظرين. ويقال: ظهرت على الشيء، أي: عَلِمْته. وظهرت على العدو، أي: غلبته.

(١) القائل هو: أبو دهيل الجمحي.
ينظر: الأغاني (٧/ ١٥٠)، والحماسة البصرية (٤/ ١٦٠٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٥٠٢).

وأنشد نابغةُ بني جَعْدةَ[1] رسولَ الله ﷺ قولَه:

عَلوْنـا السماءَ عـزةً ومهابـةً   وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا[2]

أي: مصعداً؛ فغضب رسولُ الله ﷺ وقال: « إلى أين»؟ قال: إلى الجنة؟ قال: «أجل إن شاء الله» "[3].

٣- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴾ [الزخرف:٣٨].

قال: "﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا ﴾ على التوحيد قرأ أبو عمرٍو وحمزة والكسائي وحفص؛ يعني: الكافر يوم القيامة. الباقون: «جاءانا» على التثنية، يعني: الكافر وقرينه وقد جُعِلا في سلسلة واحدة؛ فيقول الكافر: ياليت بيني وبينك بعد المشرقين، أي: مشرق الشتاء ومشرق الصيف، كما قال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ﴾ [الرحمن:١٧]، ونحوه قول مقاتل.

وقراءة التوحيد وإن كان ظاهرها الإفراد، فالمعنى لهما جميعاً؛ لأنه قد عرف ذلك بما بعده؛ كما قال[4]:

وعَـين لهـا حَـدْرَة بـدْرَة   شُـقت مـآقيهما مـن أُخَـرْ

---

(١) هو النابغة الجعدي، قيل اسمه: حيان بن قيس، وقيل: قيس بن عبد الله بن عمرو بن عباس بن ربيعة بن جعدة، عاش إلى حدود سنة(٧٠هـ).

ينظر: الإصابة (٢/ ١٤٥)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٧٧).

وبنو جعدة بطن من بطون بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

ينظر: معجم البلدان (٤/ ٢٧١).

(٢) ينظر: ديوان النابغة الجعدي ص(٥١-٦٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٣٩).

(٤) القائل هو: امرؤ القيس.

ينظر: ديوانه ص(١٦٦).

قال مقاتل: يتمنى الكافر أن بينهما بعد مشرق أطول يوم في السنة إلى مشرق أقصر يوم في السنة، ولذلك قال: «بعد المشرقين»" [1].

٤- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان:٢٩].

قال: " قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي: لكفرهم. ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ أي: مؤخرين بالغرق، وكانت العرب تقول عند موت السيد منهم: بكت له السماء والأرض، أي: عمت مصيبته الأشياءَ حتى بكته السماءُ والأرضُ والريح والبرق، وبكته الليالي الشاتيات. قال الشاعر[2]:

الريحُ تبكي شَجْوَهُ ... والبرقُ يلمع في غمامه

وقال آخر[3]:

والشمسُ طالعة ليست بكاسفة ... تبكي عليك نجومَ الليل والقمرا

وقالت الخارجية[4]:

أيا شجرَ الخابور مَالَكَ مُورِقا ... كأنك لم تجزع على ابن طَرِيفِ[5]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٤٨).

(٢) القائل هو: يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري.
ينظر: ديوانه ص(١٤٣).

(٣) القائل هو جرير، وهي أبيات قالها في رثاء عمر بن عبد العزيز.
ينظر: ديوانه (٢/ ٧٣٦)، وأساس البلاغة (١/ ٦٢)، العقد الفريد (١/ ٨٨)، وجاء الشطر الأول في ديوانه: « فالشمس كاسفة ليست بطالعة ».

(٤) ليلى بنت طريف بن الصلت التغلبية الشيبانية، شاعرة من الفوارس، كانت تركب الخيل وتقاتل وعليها الدرع، أخت الوليد بن طريف الخارجي، ماتت نحو سنة (٢٠٠هـ).
ينظر: الأعلام (٥/ ١٢٨)، النجوم الزاهرة (٢/ ٩٥).

(٥) ينظر: العقد الفريد (٣/ ٢٦٩)، الأغاني (١٢/ ١٠٨)، وهي قصيدة اشتهرت بها في رثاء أخيها الوليد بن طريف.

وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغةً في وجوب الجَزَع والبكاء عليه.

والمعنى: أنهم هلكوا فلم تعظُم مصيبتهم، ولم يوجد لهم فَقْد"[1].

٤- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدخان:٥٦].

قال: " قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: لا يذوقون فيها الموت البتة؛ لأنهم خالدون فيها. ثم قال: ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ على الاستثناء المنقطع، أي: لكنْ الموتةُ الأولى قد ذاقوها في الدنيا.

وأنشد سيبويه[2]:

مَن كان أسرع في تفَرق فالجِ ... فَلبونُه جَرِبت معا وأغدتِ

ثم استثنى بما ليس من الأول فقال:

إلا كناشِرَةَ الذي ضيعْتُمُ ... كالغصنِ في غُلَوائه المتنبتِ"[3].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١١٩).

(٢) ينظر: الكتاب، لسيبويه (٢/ ٣٤٢)، والمقتضب لابن المبرد (٤/ ٦١٠)، والأغاني (١٥/ ٢٢١) وهي أبيات لـ. كابية بن حرقوص بن مازن.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٤٠).

القسم الثاني



ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير

من أول سورة (الشورى) إلى آخر سورة (الدخان)

ترجيحات الإمام القرطبي الواردة في:

سورة الشورى

سورة الشورى[1]

قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾.

في الآية أربع مسائل:

---

(١) السورة مكية وعدد آياتها ثلا ث وخمسون.

أسماؤها التوقيفية:

الاسم الأول: سورة الشورى

سورة الشورى هو الاسم الذي اشتهرت به هذه السورة وبذلك سميت في كثير من المصاحف والتفاسير.

وربما قالوا: (سورة شورى) بدون ألف ولام كما وردت في القرآن، وأشار إلى هذا الجمل في الفتوحات.

الاسم الثاني والثالث: سورة (حم عسق) و (عسق)

وقد سميت هذه السورة في مصحفين سورة (حم عسق) أحدها نسخ سنة ٣٩١هـ، والآخر سنة ٦٩٨هـ.

وجاءت هذه التسمية في كلام النبي ﷺ وفي كلام أصحابه رضوان الله عليهم.

وبهذا الاسم عنون لها كثير من المفسرين في تفاسيرهم، وكذلك ترجم لها البخاري في كتاب التفسير، والترمذي في جامعه، والحاكم في المستدرك، وعدَّها السخاوي في عداد السور ذوات الاسمين فأكثر، وذكرها الفيروزآبادي في البصائر، والبقاعي في نظمه، كما تسمى (سورة عسق) بدون لفظ (حم) لقصد الاختصار.

وجه التسميه:

سميت (سورة الشورى) لوصف المؤمنين فيه بالتشاور في أمورهم كما قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يتشاورون فيما بينهم ولا ينفردون بالرأي.

ووجه تسميتها (سورة عسق) لافتتاح السورة بها.

ينظر: أسماء سور القرآن د/ منيرة الدوسري، ص(٣٣٤-٣٣٧).

۞ المسألة الأولى: ضمير الجمع في قوله تعالى: ﴿فَوۡقِهِنَّۚ﴾ على أي شيء يعود؟

◊ ترجيح القرطبي:

ذهب الإمام القرطبي ~ إلى أن الضمير عائد إلى السموات، فقال: وقال ابن عباس: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ﴾، أي: تكاد كلُّ واحدة منها تنفطر فوق التي تليها، من قول المشركين: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ [البقرة:١١٦]، وقال الضحاك والسدي: "يتفطرن"، أي: يتشققن من عظمة الله وجلاله فوقهن. وقيل: "فوقهن": فوق الأرضين من خشية الله لو كنَّ مما يعقل ا.هـ [١].

◊ الدراسة والمناقشة:

وافق القرطبي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس والضحاك والسدي[٢] وقول الزجاج[٣]، وابن أبي حاتم[٤]، والنحاس[٥]، والسمرقندي[٦]،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٤٤).

(٢) ينظر: تفسير الضحاك (٢/ ٧٣٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٤٤).

(٣) ينظر: معاني القرآن (٤/ ٣٩٤).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم (١٠/ ٣٢٧٤).

وابن أبي حاتم هو: عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي، الحافظ الثبت ابن الحافظ الثبت، ممن جمع علو الرواية، ومعرفة الفن، من أئمة خرسان، توفي سنة (٣٢٧هـ).

ينظر: لسان الميزان (٣/ ٥٢٥)، وطبقات الحفاظ (١/ ٣٤٦)، والعبر في أخبار من غبر (٢/ ٢٦).

(٥) ينظر: معاني القرآن (٦/ ٢٩٣، ٢٩٤)، وإعراب القرآن للنحاس (٧٩٤).

(٦) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٢٣٦).

والسمرقندي هو: نصر بن محمد بن أحمد، أبو الليث، الإمام المفسر، له مؤلفات من أشهرها «بحر العلوم»، وكتاب « النوازل في الفقه »، توفي سنة (٣٩٣هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٢٢)، والأعلام (٨/ ٢٧)، وتاج التراجم ص(٥٨).

وابن أبي زمنين[(١)]، والثعلبي[(٢)]، والماوردي[(٣)]، والواحدي[(٤)]، والبغوي[(٥)]، والزمخشري[(٦)]، وابن عطية[(٧)]، ووافقهم البيضاوي[(٨)]، والنسفي[(٩)]،

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٧٥).

وابن أبي زمنين هو: محمد بن عبد الله بن عيسى المري، أبو عبد الله الألبيري، كان إماماً عارفاً بمذهب مالك، ومن الراسخين في العلم، متفنناً في الأدب والشعر، مقتفياً لآثار السلف، توفي سنة (٣٩٩هـ).

ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي ص(١٠٤)، وطبقات المفسرين للداوودي (٢/ ١٦٥-١٦٦).

(٢) ينظر: الكشف والبيان (٥/ ٣٨١).

(٣) ينظر: النكت والعيون (٥/ ١٩٢).

(٤) ينظر: الوسيط (٤، ٤٣).

(٥) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٠٧).

والبغوي هو: الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي، أبو محمد، العلامة القدوة الحافظ، شيخ الإسلام ومحيي السنة، صاحب القدم الراسخ في الفقه والتفسير والحديث، توفي سنة (٥١٥هـ).

ينظر: وفيات الأعيان (٢/ ١٣٦-١٣٧)، وطبقات المفسرين للسيوطي ص(٤٩-٥٠).

(٦) ينظر: الكشاف (٤/ ٢٠٣).

(٧) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٢٦).

(٨) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٥٨).

والبيضاوي هو: عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أبو سعيد، ناصر الدين البيضاوي، كان إماماً عارفاً بالفقه والتفسير والعربية والمنطق، شافعي المذهب، توفي سنة (٦٨٥هـ).

ينظر: طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ١٥٧)، وطبقات المفسرين للداوودي (١/ ٢٤٨-٢٤٩).

(٩) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٤٥).

والنسفي هو: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، مفسر فقيه حنفي المذهب، له مصنفات عديدة في الفقه والأصول، توفي سنة (٧١٠هـ).

وابن جزي هو: محمد بن أحمد بن محمد ابن جزيّ الكلبي، أبو القاسم، فقيه من العلماء بالأصول واللغة والتفسير، توفي سنة (٧٤١هـ).

ينظر: الدرر الكامنة (٣/ ٤٦٦)، وطبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٨٥)، والأعلام (٥/ ٣٢٥).

ينظر: الدرر الكامنة (٢/ ٢٤٧)، وطبقات المفسرين للأدنه وي ص(٢٦٣).

وابـن جـزي[١]، وأبـو حيـان[٢]، وابـن كثـير[٣]، والثعـالبي[٤]، والـسيوطي[٥]، وأبـو الـسعود[٦]، والـشوكاني[٧]، والألـوسي[٨]، والقاسـمي[٩]، والمراغـي[١٠]،

---

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٣٠).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٢٣).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ١٩٠).

(٤) ينظر: الجواهر الحسان (٣/ ١٢١).

والثعالبي هو: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، أبو زيد الجزائري المالكي، مفسر فقيه، عاملٌ زاهدٌ ورع، توفي سنة (٨٧٥هـ).

ينظر: طبقات المفسرين للأدنه وي ص(٣٤٢)، والأعلام (٣/ ٣٣١).

(٥) ينظر: الدر المنثور (٧/ ٢٩٠).

(٦) ينظر: تفسيره (٦/ ٨).

وأبو السعود هو: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، أبو السعود، مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين، توفي سنة (٩٨٢هـ).

ينظر: شذرات الذهب (١٠/ ٥٨٤)، والأعلام (٧/ ٥٩).

(٧) ينظر: فتح القدير (٤/ ٦٨٩).

(٨) ينظر: روح المعاني ص(١٨).

والألوسي هو: محمود بن عبد الله أفندي الحسيني، أبو الفضل، أو أبو الثناء، كان فقيهاً محدثاً مفسراً، وكان على اطلاع واسع بالشعر والأدب والأديان والفرق، توفي سنة (١٢٧٠هـ).

ينظر: الأعلام (٧/ ١٧٦)، والتفسير ورجاله ص(١١٨-١٢١).

(٩) ينظر: محاسن التأويل (٨/ ٣٥٠٧).

والقاسمي هو: محمد جمال الدين بن محمد أبو الفرج الحلاق القاسمي، علامة الشام في زمانه، ضالعاً في فنون الأدب، سلفي المعتقد، توفي سنة (١٣٣٢هـ).

ينظر: الأعلام (٢/ ١٣٥)، والتفسير ورجاله ص(١٢٧-١٣٠).

(١٠) ينظر: تفسيره ص(١٥).

والمراغي هو: محمد بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم المراغي، باحث مصري، عارف بالتفسير، من دعاة التجديد والإصلاح وممن تولى مشيخة الأزهر، توفي سنة(١٣٦٤هـ).

=⇦

والسعدي[1]، والشنقيطي[2]، فعامة أهل التفسير قد فسروا الآية على اعتبار أن الضمير راجع إلى السموات، على خلاف بينهم في بيان معنى الآية وفي السبب الذي من أجله تتفطر السموات وتتشقق.

وقد ذكر قلة من المفسرين قولين خلاف هذا القول وهما:

القول الأول:

أن الضمير عائد إلى الأرض، أي: أن السموات تكاد تتشقق وتتفطر من فوق الأرضين السبع من عظمة الله وجلاله.

اختاره الطبري[3]، والسمعاني[4]، وابن الجوزي[5]، وجوّزه ابن عاشور[6].

=

ينظر: الأعلام (٧/ ١٠٣).

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨١٢).

والسعدي هو: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التيمي، علامة القصيم في زمانه، وأول من أنشأ مكتبة كبيرة فيها، توفي سنة (١٣٧٦هـ).

ينظر: الأعلام (٣/ ٣٤٠).

(٢) ينظر: أضواء البيان (٧/ ١٦٢).

والشنقيطي هو: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، مفسر، لغوي، فقيه، أصولي، من علماء شنقيط، توفي سنة (١٣٩٣هـ).

ينظر: الأعلام (٦/ ٤٥)، وترجمة تلميذه عطيه محمد سالم في مقدمة أضواء البيان (١/ ٣).

(٣) ينظر: جامع البيان (١١/ ١٢٨).

(٤) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ٦٣).

والسمعاني هو: منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي، أبو المظفر السمعاني، الحنفي ثم الشافعي، الإمام الجليل العالم الزاهد الورع، كان فقيهاً ومفسراً ومحدثاً، توفي سنة (٤٨٩هـ).

ينظر: طبقات الشافعية الكبرى (٥/ ٣٣٥-٣٤٦)، وطبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٣٣٩-٣٤٠).

(٥) ينظر: زاد المسير (٧/ ١٠٩).

(٦) ينظر: التحرير والتنوير ص(٣٠).

وذكره النحاس في إعرابه تضعيفاً[1]، وكذلك القرطبي[2]، واستبعده ابن جزي[3]، والشنقيطي[4].

القول الثاني:

أن الضمير للكفار، أو فرق الكفار والجماعات، قاله الأخفش الصغير[5]، ورده النحاس في إعرابه من وجهين:

الأول: أنه لم يُجز أحد من النحويين أن يقال عن بني آدم: رأيتهن، إلا أن يكون للمؤنث خاصة.

الثاني: أنه لم يتقدم للكفار ذكر فيكنى عنهم.

وقد تأول ابن عطية، والسمين الحلبي[6]، والألوسي قول الأخفش بأنه راعى المعنى دون اللفظ، أي: من فوق الفرق والجماعات.

---

(١) ينظر: إعراب القرآن (٧٩٤).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٤٤).

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٣٠).

(٤) ينظر: أضواء البيان(٧/ ١٦٤).

(٥) ذكره عنه النحاس في إعرابه ص(٧٩٤)، وابن عطية في تفسيره (٥/ ٢٦)، والألوسي في تفسيره ص(١٨).

والأخفش الصغير هو: علي بن سليمان بن الفضل، أبو الحسن النحوي، كان إماماً عالماً من علماء اللغة وأئمتهم، توفي سنة (٣١٥هـ).

ينظر: طبقات النحويين واللغويين ص(١١٥)، ومعجم الأدباء (٤/ ١٢٦-١٣١)، وتاريخ بغداد (١١/ ٤٣٣).

(٦) ينظر: الدر المصون (٦/ ٧٥).

والسمين الحلبي هو: أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، أبو العباس الشافعي، إمام مفسر فقيه أصولي، عالم بالعربية والقراءات، توفي سنة (٧٥٦هـ).

ينظر: غاية النهاية (١/ ١٥٢)، وطبقات المفسرين للداوودي (١/ ١٠١-١٠٢)، والأعلام (١/ ٢٧٤).

◊ **الترجيـــــح:**

الذي يظهر لي -والعلم عند الله- أن الراجح ما ذهب إليه القرطبي، من أن ضمير الجمع في قوله تعالى: ﴿فَوۡقِهِنَّۚ﴾ يعود على السموات، وهو اختيار جمهور المفسرين كما بيّناه آنفاً، ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التي تنص على أن الأصل في الضمير أن يعود على أقرب مذكور، ما لم يرد دليل بخلافه[1]. وأقرب مذكور في الآية هو: السموات، ولم يرد دليل بخلافه، فدلَّ ذلك على أنه هو المراد.

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.

(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي (٢/ ٦٢١).

۞ **المسألة الثانية : المراد بالملائكة في قوله تعالى : ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ .**

◊ ترجيح القرطبي :

رجح القرطبي ~ أن المراد بالملائكة هنا « حملة العرش » حيث قال: « وعلى هذا تكون الملائكة هنا حملة العرش »[1].

◊ الدراسة والمناقشة :

ذهب القرطبي إلى تخصيص عموم الملائكة بحملة العرش وهو نحو المروي عن مقاتل[2]، وقدَّم هذا القول السمعاني[3]، وابن كثير[4].

واسْتُدل بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر:٧].

وذهب جمهرة من المفسرين كالطبري[5]، والسمرقندي[6]، والواحدي[7]، والبغوي[8]، والزمخشري[9]، وابن عطية[10]، وابن الجوزي[11]،

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٤٤).
(٢) ينظر: تفسير مقاتل (٣/ ١٧٢).
(٣) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ٦٣).
(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ١٩٠).
(٥) ينظر: جامع البيان (١١/ ١٢٩).
(٦) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٢٣٦).
(٧) ينظر: الوسيط (٤/ ٤٣).
(٨) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٠٧).
(٩) ينظر: الكشاف (٤/ ٢٠٣).
(١٠) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٢٦).
(١١) ينظر: زاد المسير (٧/ ١٠٩).

والبيضاوي[1]، والنسفي[2]، وابن جزي[3]، وأبي حيان[4]، والسيوطي[5]، وأبي السعود[6]، والشوكاني[7]، والألوسي[8]، والقاسمي[9]، والمراغي[10]، والشنقيطي[11] إلى أن المراد عموم الملائكة.

وقدَّم هذا القول الماوردي[12]، والعز بن عبدالسلام[13]، ونظام الدين النيسابوري[14].

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٥٨).

(٢) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٤٥).

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٣٠).

(٤) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٢٣).

(٥) ينظر: الدر المنثور (٧/ ٢٩٠).

(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/ ٨).

(٧) ينظر: فتح القدير (٤/ ٦٨٩).

(٨) ينظر: روح المعاني ص(١٨).

(٩) ينظر: محاسن التأويل (٨/ ٣٥٠).

(١٠) ينظر: تفسيره ص(١٥).

(١١) ينظر: أضواء البيان (٧/ ١٦٢).

(١٢) ينظر: النكت والعيون (٥/ ١٩٣).

(١٣) ينظر: تفسير العز (٣/ ١٣٨).

والعز بن عبد السلام هو: عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد، توفي سنة(٦٦٠هـ).

ينظر: طبقات الشافعية الكبرى(٨/ ٢٠٩)، والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٠٨)، وحسن المحاضرة (١/ ٢٧٢).

(١٤) ينظر: غرائب القرآن (٦/ ٦٨).

ونظام الدين النيسابوري هو: الحسن بن محمد بن الحسين النيسابوري، نظام الدين، مفسر له اشتغال بالحكمة والرياضيات، توفي سنة (٧٢٨هـ) على الأرجح.

ينظر: بغية الوعاة (١/ ٥٢٥)، وطبقات المفسرين للأدنه وي ص(٤٢٠).

قال أبو حيان: « وظاهر الملائكة العموم... » [1].

◊ الترجيـــــح:

يظهر لي أن قول جمهور المفسرين هو الأوفق لقواعد الترجيح النَّاصَّة على « أنه لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه »[2]، وكذلك « وجوب حمل نصوص الوحي على العموم مالم يرد نص بالتخصيص » [3].

ثم إن لفظ الملائكة تفيد العموم ويدخل فيها حملة العرش لأنهم من الملائكة.

(١) البحر المحيط (٩/ ٣٢٣).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح للحربي (١/ ١٣٧).

(٣) ينظر: المصدر السابق (٢/ ٥٢٧).

۞ **المسألة الثالثة: المراد بتسبيح الملائكة في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾.**

◊ ترجيح القرطبي:

ذهب الإمام القرطبي ~ إلى أن المراد بتسبيح الملائكة هو تنزيه الله عما لا يجوز، فقال ~ : " أي: ينزهونه عما لا يجوز في وصفه وما لا يليق بجلاله، وقيل يتعجبون من جرأة المشركين، فيذكر التسبيح في موضع التعجب.

وعن عليّ ﷺ: أن تسبيحهم تعجب مما يرون من تعرضهم لسخط الله. وقال ابن عباس: تسبيحهم خضوع لما يرون من عظمة الله تعالى " ا.هـ [(١)].

◊ الدراسة والترجيح:

وافق القرطبي في اختياره هذا قول الزجاج[(٢)]، والواحدي[(٣)]، والسمعاني[(٤)]، وابن الجوزي[(٥)]، والرازي[(٦)]، ووافقهم النسفي[(٧)] والخازن[(٨)]،

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٤٤).

(٢) ينظر: معاني القرآن (٤/ ٣٩٤).

(٣) ينظر: الوسيط (٤/ ٤٣).

(٤) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ٦٣).

(٥) ينظر: زاد المسير (٧/ ١٠٩).

(٦) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ١٣١، ١٣٢).

والرازي هو: محمد بن عمر بن الحسن التيمي البكري، أبو عبد الله الرازي، إمام مفسر، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، توفي سنة(٦٠٦هـ).

ينظر: طبقات الشافعية للأسنوي (٢/ ١٢٣)، وشذرات الذهب (٥/ ٢١)، والأعلام (٦/ ٣١٣).

(٧) ينظر: مدارك التنزيل (٢/ ٢٤٥).

(٨) ينظر: لباب التأويل (٤/ ٩٤).

والخازن هو: علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي، علاء الدين، اشتهر بالخازن لأنه كان خازن =

وابـن جـزي[1]، وابـن عـادل[2]، وأبـو الـسعود[3]، والـشوكاني[4]، والألـوسي[5]، والمراغي[6]، والسعدي[7]، والشنقيطي[8]، وابن عاشور[9].

ذهب عامة المفسرين كما تقدم ذكره إلى أن المراد بتسبيح الملائكة في الآية هو تنزيه الله عما لا يجوز في وصفه وما لا يليق بجلاله، ولم أجد إلا القلّة من المفسرين[10] الذين ذكروا القولين اللذين أوردهما الإمام القرطبي مروية عن علي وابن عباس { من أن المراد بتسبيح الملائكة هو تعجباً من جرأة المشركين ومما يرون من تعرضهم لسخط الله وخضوعاً لما يرون من عظمة الله.

الكتب السّمَيساطية، كان من أهل العلم، جمع وألف وحدث ببعض مصنفاته، توفي سنة (٧٤١هـ).

ينظر: الدرر الكامنة (٣/ ١٧١)، وطبقات الشافعية (٣/ ٤٢)، وطبقات الداوودي (١/ ٤٢٦-٤٢٧).

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٣٠).

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (١٧/ ١٦٦).

وابن عادل هو: سراج الدين عمر بن علي بن عادل الدمشقي، أبو حفص الحنبلي، الإمام الفقيه المفسر، صاحب التفسير الكبير، توفي بعد سنة(٨٨٠هـ).

ينظر: الأعلام (٥/ ٥٨)، وهدية العارفين (٥/ ٧٩٤)، ومقدمة تفسيره (١/ ٢٠-٢٣).

(٣) ينظر: تفسيره (٦/ ٨).

(٤) ينظر: فتح القدير (٤/ ٦٨٩).

(٥) ينظر: روح المعاني (٢٥/ ١٨).

(٦) ينظر: تفسيره (١٣، ١٤، ١٥).

(٧) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨١٢).

(٨) ينظر: أضواء البيان (٧/ ١٦٣).

(٩) ينظر: التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٣).

(١٠) ينظر: النكت والعيون للماوردي (٥/ ١٩٢)، ومدارك التنزيل للنسفي (٣/ ٢٤٥).

◊ **الترجيـــــح:**

الذي يظهر لي – والعلم عند الله – أن معنى التسبيح يحمل على كلِّ ما ذكر.

فلو رجعنا إلى مادة سبَّح في اللغة لوجدنا أن الأصل في التسبيح هو: التنزيه.

قال الجوهري: " التسبيح: التنزيه. وسبحان الله معناه التنزيه لله، نصب على المصدر كأنه قال: أبرِّئُ الله من السوء براءةٌ. والعرب تقول: سبحان مِنْ كذا، إذا تعجبت منه.

قال الأعشى[(١)]: قول لمَّا جاءني

سُبْحَانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الفاخرِ

يقول: العجَبُ منه إذ يَفْخَرُ "[(٢)].

وقال الراغب[(٣)]: " والتسبيح: تنزيه الله تعالى وأصله المَدُّ السريع في عبادة الله تعالى"[(٤)].

وفي القاموس الفقهي: " سبح الله، وله تسبيحاً، وسبحاناً: نَزَّهَهُ وقدسه.

---

(١) ينظر: خزانة الأدب (١/ ١٨٩)، وصبح الأعشى (١/ ٤٤٤).

والأعشى هو: ميمون بن قيس بن جندل الوائلي، أبو بَصير، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، والمعروف بالشاعر الأكبر، وأحد أصحاب المعلقات، توفي سنة (٧هـ).

ينظر: طبقات فحول الشعراء (١/ ٥٢)، والأغاني (٩/ ١٢٧-١٢٨)، وهدية العارفين (٦/ ٤٨٧).

(٢) الصحاح (١/ ٣٧٢).

(٣) الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني، أبو القاسم، أديب من الحكماء العلماء العارفين باللغة والتفسير، توفي سنة(٥٠٢هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٢٠)، وبغية الوعاة (٢/ ٢٩٧)، والأعلام (٢/ ٢٥٥).

(٤) المفردات في غريب القرآن ص(٢٢٧).

التسبيح: التقديس، والتنزيه " [١].

وعلى هذا فلا يمنع أن يذكر التسبيح في موضع التعجب إذا كان لذلك معنى وقرينة، فيكون تسبيح الملائكة تنزيهاً لله جل وعلا وخضوعاً إذا كان سبب تفطر السماوات خوفاً من الله وإجلالاً ويكون تعجباً إذا كان سبب تفطر السماوات من شدة عظم الفرية التي افتراها الكفار على خالق السماوات والأرض جل وعلا.

وإلى هذين المعنيين أشار الزمخشري[٢]، وقال ابن جُزي في التسهيل: " فإن قيل: ما وجه اتصال قوله والملائكة يسبحون الآية: بما قبلها؟ فالجواب أنا إن فسرنا تفطر السموات بأنه من عظمة الله فإنه يكون تسبيح الملائكة أيضاً تعظيماً له فينتظم الكلام، وإن فسرنا تفطرها بأنه من كفر بني آدم فيكون تسبيح الملائكة تنزيهاً لله تعالى عن لغو بني آدم وعن أقوالهم القبيحة" [٣].

قال العلامة الشنقيطي ~ في أضوائه: "واعلم أن سبب مقاربة السماوات للتفطر في هذه الآية الكريمة فيه للعلماء وجهان كلاهما يدل له القرآن:

الوجه الأول: أن المعنى تكاد السماوات يتفطرن خوفاً من الله، وهيبة وإجلالاً، ويدل لهذا الوجه قوله تعالى قبله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾؛لأن علوه وعظمته سببَ للسماوات ذلك الخوف والهيبة والإجلال، حتى كادت تتفطر.

وعلى هذا الوجه فقوله بعده ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ مناسبته لما قبله واضحة؛ لأن المعنى:

أن السماوات في غاية الخوف منه تعالى والهيبة والإجلال له، وكذلك سكانها من الملائكة فهم يسبحون بحمد ربهم أي ينزهونه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله، مع

---

(١) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً ص(١٦٣).

(٢) ينظر: الكشاف (٤/ ٢٠٣).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٣٠).

إثباتهم له كل كمال وجلال، خوفاً منه وهيبة وإجلالاً..، إلى أن قال:

الوجه الثاني: أن المعنى ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ﴾ من شدة عظم الفرية التي افتراها الكفار على خالق السماوات والأرض جل وعلا، من كونه اتخذ ولداً سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً..، إلى أن قال ~ : وكلا الوجهين حق... وعليه فمناسبة قوله: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ لما قبله: أن الكفار وإن قالوا أعظم الكفر وأشنعه، فإن الملائكة بخلافهم فإنهم يداومون ذكر الله وطاعته "[(١)].

وعلى هذا يتبيّن لنا أن المراد بتسبيح الملائكة في الآية أنه يحمل على الأصل وهو التنزيه، وهو الأوفق بقواعد الترجيح من وجوب "حمل نصّ القرآن على ظاهره"[(٢)].

ولا يعني هذا بعد القولين الآخرين فقد يحمل معنى التسبيح عليهما ولعلَّ ذلك يكون من اختلاف التنوع لا التضاد.

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.

---

(١) أضواء البيان (٧/ ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح للحربي (١/ ١٣٧).

۞ المسألة الرابعة: استغفار الملائكة في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾.

هل هو خاصٌ بالمؤمنين دون الكافرين أم أنه يشمل أيضا الكفار؟

◊ ترجيح القرطبي:

ذهب الإمام القرطبي ~ إلى أن الآية لفظها وحكمها عام، يشمل المؤمن والكافر، حيث يقول: "قال الماوردي: وفي استغفارهم لهم قولان:

أحدهما: من الذنوب والخطايا، وهو ظاهر قول مقاتل.

الثاني: أنه طلب الرزق لهم والسعة عليهم، قاله الكلبي.

قلت: وهو أظهرُ، لأن الأرض تعم الكافر وغيره، وعلى قول مقاتل لا يدخل فيه الكافر" ا.هـ [(١)].

◊ الدراسة والترجيح:

وافق الإمام القرطبي ~ في اختياره هذا قول ابن عطية[(٢)]، والرازي[(٣)]، ووافقهم البيضاوي[(٤)]، وأبو حيان[(٥)]، وابن عادل[(٦)]، وأبو السعود[(٧)]، والشوكاني[(٨)]، وأوّلوا استغفار الملائكة للكفرة بأنه ليس طلب غفران الله تعالى لهم، إنما استغفارهم

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٤٥).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٢٦).

(٣) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ١٣٢).

(٤) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٥٨، ٣٥٩).

(٥) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٢٣).

(٦) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (١٧/ ١٦٦).

(٧) ينظر: تفسيره (٦/ ٨).

(٨) ينظر: فتح القدير (٤/ ٦٨٩).

لهم بمعنى: طلب الهداية التي تؤدي إلى الغفران لهم، وألا يعاجلهم الله بالعقاب، واستُدل لهذا القول بعموم الآيات التي وصفت الله تعالى بالرحمة والمغفرة[1].

وقد خالف الإمام القرطبي ~ بقوله هذا القول المروي عن قتادة[2] والسدي[3] والضحاك[4]، وقول الطبري[5] والزجاج[6]، والنحاس[7]، والسمرقندي[8]، وابن أبي زمنين[9]، والثعلبي[10]، والواحدي[11]، والسمعاني[12]، والبغوي[13]، وابن الجوزي[14]، وممن وافقهم في مخالفتهم للقرطبي النسفي[15]،

---

(١) كقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [فاطر: ٤١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ ...﴾ [الرعد: ٦].

ينظر: كشاف الزمخشري (٤/ ٢٠٣)، ومحرر ابن عطية (٥/ ٢٦)، وبحر أبي حيان (٩/ ٣٢٣).

(٢) أخرجه الصنعاني في تفسيره (٢/ ١٩٠)، والنحاس في ناسخه ص(٢٢٠) وعزاه السيوطي في الدر (٧/ ٢٩٠) إلى: عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١٢٩).

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره (١٨/ ٤٤٥).

(٥) ينظر: جامع البيان (١١/ ١٢٩).

(٦) ينظر: معاني القرآن (٤/ ٣٩٤).

(٧) ينظر: معاني القرآن (٦/ ٢٩٤)، وإعراب القرآن (٧٩٥)، والناسخ والمنسوخ ص(٢٢٠).

(٨) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٢٣٧).

(٩) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٧٥).

(١٠) ينظر: الكشف والبيان (٥/ ٣٨١).

(١١) ينظر: الوسيط (٤/ ٤٣).

(١٢) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ٦٣).

(١٣) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٠٧).

(١٤) ينظر: زاد المسير (٧/ ١٠٩، ١١٠).

(١٥) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٤٥).

وابن جزي[(١)]، وابن كثير[(٢)]، والثعالبي[(٣)]، والسيوطي[(٤)]، والقاسمي[(٥)]، والمراغي[(٦)]، والشنقيطي[(٧)]، حيث اتفق جميعهم على أن الآية لفظها عام، ويراد بها الخصوص، أي المؤمنين فقط. وهو الراجح - والعلم عند الله - بدلالة ما يلي:

أولاً: دلالة السياق، حيث أن الله تعالى ختم الآية بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، والمغفرة من الله والرحمة لا تكون إلا لمن آمن[(٨)].

ثانياً: أن الله تعالى بيَّن في كتابه أنّ الكفرة ليس لهم من الملائكة استغفار، بل لهم اللعنة وسوء الدار، كما قال ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة:١٦١].

ثالثاً: قال العلامة الشنقيطي: " ويزيد ذلك إيضاحاً قوله تعالى عنهم أنهم يقولون في استغفارهم للمؤمنين: ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ [غافر:٧]؛ لأن ذلك يدل دلالة واضحة على عدم استغفارهم للكفار " [(٩)].

---

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٣٠).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ١٩٠).

(٣) ينظر: الجواهر الحسان (٣/ ١٢٢).

(٤) ينظر: الدر المنثور (٧/ ٢٩٠).

(٥) ينظر: محاسن التأويل (٨/ ٣٥٠٧).

(٦) ينظر: تفسيره (١٥).

(٧) ينظر: أضواء البيان (٧/ ١٦٣).

(٨) ينظر: إعراب القرآن ص(٧٩٥).

(٩) أضواء البيان (٧/ ١٦٣).

◊ **الترجيـــح:**

مما سبق يظهر لي أن القول بأن الآية لفظها عام، ويراد بها الخصوص، أي: المؤمنين فقط هو الأولى بالصواب، فالسياق يساعده، وفهم السلف يؤيده.

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.



قوله تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًاۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾

في الآية ثلاث مسائل:

۞ المسألة الأولى: في معنى ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ .

◊ ترجيح القرطبي:

رجَّح الإمام القرطبي ~ أن الذرء هنا بمعنى: الخلق، حيث يقول: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ﴾ أي: يخلقكم وينشئكم[(١)].

◊ الدراسة والمناقشة:

وافق القرطبي في ترجيحه هذا المروي عن ابن عباس[(٢)]، ومجاهد[(٣)]، وشعبة[(٤)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٤٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٢٧٤) من طريق علي بن أبي طلحة عنه به.

(٣) الأثر عنه في تفسيره ص(٥٧٣)، وأخرجه البخاري في صحيحه معلقاً كتاب التفسير (٤/ ١٨١٩)، وأسنده الفريابي كما قال ابن حجر في الفتح (٨/ ٥٦٣)، والطبري في تفسيره (١١/ ١٣٢).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ١٣٢).

وشعبة بن الحجاج بن الورد العتكي مولاهم، أبو بسطام الواسطي، الإمام الحافظ الحجة، شيخ الإسلام، إمام البصرة ومحدثها وعالمها، توفي سنة(١٦٠هـ)، وقيل غير ذلك.

ينظر: تاريخ البخاري (٤/ ٢٤٤)، وتذكرة الحفاظ (١/ ١٩٤-١٩٧).

وهو قول أبو عبيدة[١]، وابن قتيبة[٢]، والنحاس[٣]، وابن أبي زمنين[٤]،والثعلبي[٥]، وابن عطية[٦]، وابن كثير[٧]،والشنقيطي[٨].

واحتجوا بدلالة اللغة؛ لأن الذرء يطلق في الأصل على معنى الخلق[٩]، يقال: ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذرءاً: خلقهم، ومنه قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الملك:٢٤]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ [الأعراف:١٧٩]. أي: خلقنا[١٠].

---

(١) ينظر: المجاز في القرآن (٢/ ١٩٩).

وأبو عبيدة هو: معمر بن المثنى البصري، أول من ألف في غريب القرآن، له مؤلفات عديدة تجاوزت المائة مؤلف، توفي سنة (٢١٠هـ)، وقيل: (٢١١هـ).

ينظر: المعارف ص(٥٤٣)، والفهرست ص(٧٦، ٧٧)، وتاريخ بغداد (١٣/ ٢٥٢).

(٢) ينظر: تفسير غريب القرآن ص(٣٩١).

وابن قتيبة هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل: المروزي، العلامة الكبير، ذو الفنون، أبو محمد الكاتب، صاحب تأليف وتصنيف، توفي سنة(٢٧٦هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (١٠/ ١٧٠-١٧١)، والسير (١٣/ ٢٩٦-٣٠٢).

(٣) ينظر: إعراب القرآن ص(٧٩٥)، ومعاني القرآن (٦/ ٢٩٦، ٢٩٧).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٧٦).

(٥) ينظر: الكشف والبيان (٥/ ٣٨٣).

(٦) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٢٨).

(٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ١٩٤).

(٨) ينظر: أضواء البيان (٧/ ١٨٦-١٨٨).

(٩) قال النحاس في إعرابه ص(٧٩٥): « لأن أهل اللغة المتقدمين منهم: أبو زيد وغيره، رووا عن العرب: ذرأ الله ﷻ الخلق يذرؤهم، أي: خلقهم » وقال الراغب في مفرداته ص(١٨٣): « الذرء: إظهار الله تعالى ما أبداه، يقال: ذرأ الله الخلق أي: أوجد أشخاصهم »، وبمثله قال المناوي في التعاريف ص(٣٤٨)، وقال السجستاني في غريبه ص(٢٣١): « ذرأكم: خلقكم، وكذلك: ﴿ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ أي: خلقنا لجهنم»أ.هـ.

(١٠) قاله: ابن عباس، والحسن، وابن جبير، والسدي، ومجاهد... وغيرهم.

ينظر أقوالهم في: تفسير الطبري (١١/ ١٣٢)، والدر للسيوطي (٧/ ٢٩٢).

قال النحاس ~ : « قال شعبة، عن منصور[1]: ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ يخلقكم»[2].

ثم ذكر أقوالاً أخرى في المسألة، ثم قال: « وأولى هذه الأقوال بالصواب الذي رواه شعبة عن منصور »[3].

وذهب الزجاج[4]، والواحدي[5]، والزمخشري[6]، والفخر الرازي[7]، والبيضاوي[8]، والنسفي[9]، والخطيب القزويني[10]، وابن هشام[11]،

(١) منصور بن المعتمر السلمي، أبو عتاب الكوفي، الإمام الحافظ الحجة الثقة الثبت، كان عالماً عابداً بكاءً، عمش من كثرة البكاء، توفي سنة (١٣١هـ).

ينظر: تاريخ البخاري (٧/ ٣٤٦)، وتذكرة الحفاظ (١/ ١٤٢-١٤٣)، والكاشف (٢/ ٢٩٧).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ١٣٢).

(٣) إعراب القرآن ص(٧٩٥).

(٤) ينظر: معاني القرآن (٤/ ٣٩٥).

(٥) ينظر: الوسيط (٤/ ٤٥).

(٦) ينظر: الكشاف (٤/ ٢٠٦).

(٧) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ١٣٥).

(٨) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٥٩، ٣٦٠).

(٩) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٤٧).

(١٠) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ص(٩٢).

والخطيب القزويني هو: محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني أبو عبد الله الشافعي، الشيخ الإمام العلامة القاضي، كانت له يد طولى في المعاني والبيان، صاحب المصنفات العديدة، توفي سنة (٧٣٩هـ).

ينظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٩/ ١٥٨-١٦١)، وطبقات الشافعية لابن قاضي (٢/ ٢٦٨-٢٨٨)، والأعلام (٦/ ١٩٢).

(١١) ينظر: مغني اللبيب ص(٩٠٢).

وابن هشام هو: جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، أبو محمد، أتقن العربية وفاق أقرانه فلم يبق له نظير في زمانه، بل كان يقال: ابن هشام أنحى من سيبويه توفي سنة (٧٦١هـ).

ينظر: الدرر الكامنة (٣/ ٩٣-٩٥)، والبدر الطالع للشوكاني (١/ ٤٠٠-٤٠٢).

والسعدي[١]، إلى أن المراد بالذرء: التكثير، والضمير راجع إلى الناس والأنعام، والمعنى: يُكثِّر الناس والأنعام في التزويج.

ورُوي عن الكلبي أنه قال: يُكَثِّركم في التزويج[٢].

وهذا المعنى صحيح لغة، قال الزمخشري: « ذرأ الله الخلق: بثهم وكثرهم، والذر، والذرو، والذرء: أخوات »[٣].

وذهب عليُّ بن سليمان إلى أن الذرء بمعنى: الإنبات، فقال: ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ﴾: ينبتكم من حال إلى حال[٤].

وذهب بعضهم إلى أن المراد بالذرء: المعيشة، والضمير المفعول راجع إلى الأنعام فقط، والمعنى: يجعل لكم معيشة تعيشون بها فيما خلق لكم من أنواع الأنعام[٥].

وهذا المعنى مروي عن ابن عباس { [٦]، وقتادة[٧]، ومقاتل[٨].

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨١٣).

(٢) ذكره عنه السمرقندي في تفسيره (٣/ ٢٣٨).

(٣) الكشاف (٤/ ٢٠٦).

(٤) ذكره عنه النحاس في إعرابه ص(٧٩٥)، ولم أجد من وافقه في هذا المعنى، ولعله راجع إلى معنى الخلق، والله أعلم.

(٥) ذكر هذا القول جماعة من المفسرين، ولم أجد أحداً اختاره أو قدَّمه، غير أن الطبري ~ جمع في تفسيره (١١/ ١٣٢، ١٣٣) بينه وبين المعنى الأول، فقال بعد أن ذكرهما: « وهذان القولان وإن اختلفا في اللفظ من قائليهما، فقد يحتمل توجيههما إلى معنى واحد، وهو أن يكون القائل في معناه: يعيشكم فيه، أراد بقوله ذلك: يحييكم بعيشكم به، كما يحي من لم يخلق بتكوينه إياه، ونفخه الروح فيه حتى يعيش حياً» انتهى كلامه.

وكذا جمع بينهما الثعلبي، فقال في تفسيره (٥/ ٣٨٣): « يخلقكم ويعيشكم ».

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ١٣٢).

(٧) أخرجه الصنعاني في تفسيره (٢/ ١٩٠)، والطبري (١١/ ١٣٢) وذكره النحاس في معانيه.

(٨) ينظر: تفسيره (٣/ ١٧٤).

❖ **الترجيـــــح:**

الذي يظهر لي -والعلم عند الله- أن ما ذهب إليه القرطبي هو الأولى والأرجح والأقرب للصواب؛ وذلك لما يلي:

أولاً: لدلالة اللغة عليه.

ثانياً: أن هذا القول حقيقة، وقول الزجاج ومن معه على المجاز، والحقيقة أولى من المجاز.

ثالثاً: أن هذا القول تؤيده قواعد الترجيح النَّاصَّة على أن: « القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية »[١]، وأنه « يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة »[٢].

والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.

---

(١) قواعد الترجيح للحربي (٢/ ٥١١).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٣٨٧).

۞ **المسألة الثانية: في معنى (في) من قوله تعالى: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾، وفي عود الضمير.**

◊ **ترجيح القرطبي:**

رجَّح الإمام القرطبي ~ أن (في) هنا على بابها، أي: الظرفية المكانية[1]، والضمير راجع إلى الرحم، حيث يقول: « ﴿فِيهِ﴾ أي: في الرحم، وقيل في البطن، وقال الفراء وابن كيسان[2]: ﴿فِيهِ﴾ بمعنى به، وكذلك قال الزجاج: معنى ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ يكثركم به، أي: يكثركم بجعلكم أزواجاً، أي: حلائل، لأنهن سبب النسل.

وقيل: إن الهاء في ﴿فِيهِ﴾ للجعل، ودلَّ عليه ﴿جَعَلَ﴾، فكأنه قال: يخلقكم ويُكَثِّركم في الجعل » [3].

---

(١) (في) تأتي في اللغة على عشرة معان تقريباً، وأصل معانيها وأشهرها: الظرفية مكاناً أو زماناً، ويجوز أن تأتي على معنى الباء السببية، وبهذه الآية استدل أهل اللغة على مجيئها على هذا المعنى.

ينظر: في معاني (في): الاتقان (٢/ ٤١٣)، وهمع الهوامع (٢/ ٤٤٥) والكليات ص(٦٧٩).

وأنكر ابن هشام في مغني اللبيب ص(٢٢٤) على من استدل بهذه الآية على أنها تفيد الباء السببية، وبين أن هذه الآية ليست من هذا الباب خلافاً لمن زعم ذلك، بل هي للتعليل.

(٢) محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو الحسن النحوي، إمام عالم في العربية والنحو، كان يحفظ المذهبين الكوفي والبصري في النحو، توفي سنة (٢٩٩هـ) وقيل (٣٢٠هـ).

ينظر: طبقات النحويين واللغويين ص(١٥٣)، ونزهة الألباء ص(١٧٨)، ومعجم الأدباء (٥/ ٩٣-٩٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٤٩).

◊ الدراسة والمناقشة:

ذهب عامة أهل العلم[1] إلى أن (في) هنا على بابها، أي: الظرفية المكانية، إلا أنهم اختلفوا في عود الضمير على أقوال:

الأول: أنه راجع إلى الأزواج.

وإليه ذهب النحاس في إعرابه، حيث قال: « فيكون المعنى: فالله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً يخلقكم في الأزواج، وذكَّر على معنى الجمع »[2]، وبنحو هذا ما قاله الشنقيطي ~ : « والتحقيق إن شاء الله أن الضمير في قوله: ﴿فِيهِۚ﴾ راجع إلى ما ذكر من الذكور والإناث من بني آدم والأنعام في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا﴾ سواء قلنا: إن المعنى: أنه جعل للآدميين إناثاً من أنفسهم أي: من جنسهم، وجعل للأنعام أيضاً إناثاً كذلك، أو قلنا: إن المراد بالأزواج الذكور والإناث منهما معاً »[3].

الثاني: أنه راجع إلى الجعل المدلول عليه بالفعل.

وإليه ذهب بعض المفسرين، كالواحدي[4]، وابن عطية[5]، وابن جزي[6]، والشوكاني[7]، والسعدي[8].

---

(١) ومنهم النحاس ~ حيث قال في إعرابه ص(٧٩٥): « ويكون فيه على بابها، أولى من أن تجعل بمعنى به » أ.هـ.

(٢) إعراب القرآن ص(٧٩٥).

(٣) أضواء: البيان (٧/ ١٨٦).

(٤) ينظر: الوسيط (٤/ ٤٥).

(٥) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٢٨).

(٦) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٣١).

(٧) ينظر: فتح القدير (٤/ ٦٩١).

(٨) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨١٣).

الثالث: أنه راجع إلى الرحم، أو البطن، أي: يخلقكم في بطون الإناث وأرحامهم.

ومنه قول مجاهد: يخلقكم في بطون الإناث[1].

وإلى هذا القول ذهب القرطبي، ووافقه ابن قتيبة[2]. وقَدَّمه الثعلبي[3]، والبغوي[4].

وخطّأ النحاس هذا القول، بعد أن نسبه إلى ابن قتيبة، بحجة أن الرحم مؤنثة، وبأنه لم يجر لها ذكر[5].

الرابع: أنه راجع إلى التدبير، أي: يخلقكم ويُكَثِّركم في هذا التدبير الذي قدره الله تعالى من التزاوج والتكاثر.

وإليه ذهب الزمخشري[6]، والفخر الرازي[7]، والبيضاوي[8]، والنسفي[9]، والخطيب القزويني[10]، وابن هشام[11]، وابن كثير[12].

---

(١) ذكره بهذا اللفظ أبو حيان في تفسيره (٩/ ٣٢٦)، وفي تفسير مجاهد ص(٥٧٣) بلفظ: « نسلاً بعد نسل » وبهذا اللفظ أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ١٣٢) وزاد عليه: « من الناس والأنعام ».

(٢) قال في غريبه ص(٣٩١): « يخلقكم في الرحم، أو في الزوج ».

(٣) ينظر: الكشف والبيان (٥/ ٣٨٣).

(٤) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٠٨).

(٥) ينظر: معاني القرآن (٦/ ٢٩٧).

(٦) ينظر: الكشاف (٤/ ٢٠٦).

(٧) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ١٣٥).

(٨) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٦٠).

(٩) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٤٧).

(١٠) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ص(٩٢).

(١١) ينظر: مغني اللبيب ص(٩٠٢).

(١٢) قال ابن كثير في تفسيره (٧/ ١٩٤): « أي: في ذلك الخلق على هذه الصفة، لا يزال يذرؤكم فيه ذكوراً ⇐ =

◊ **الترجيـــــح:**

الذي يتبيّن لي -والعلم عند الله- أن تكون (في) هنا على بابها أولى من تأويلها؛ لأن الفعل تضمن معنى ينشئكم، وهو يتعدى بـ(في)، كما قال تعالى: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة:٦١].

وأما عود الضمير في ﴿فِيهِ﴾ فالذي يظهر لي -والله تعالى أعلم- أنه راجع إلى الأزواج، أي: إلى ما ذكر من الذكور والإناث من بني آدم والأنعام في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ (١).

قال العلامة الشنقيطي ~ : «... وقول من قال: إن الضمير في قوله: ﴿فِيهِ﴾ راجع إلى الرحم، وقول من قال: راجع إلى البطن، ومن قال: راجع إلى الجعل المفهوم من جَعَل، وقول من قال: راجع إلى التدبير، ونحو ذلك من الأقوال، خلاف الصواب، والتحقيق -إن شاء الله- هو ما ذكرنا والعلم عند الله تعالى »(٢).

وهذا القول تؤيده القاعدة الترجيحية النَّاصَّة على أن: « القول الذي تؤيده آيات

= وإناثاً خلقاً من بعدخلق، وجيلاً بعد جيل، ونسلاً بعد نسل من الناس والأنعام » أ.هـ.

(١) قال الشنقيطي في أضوائه (٧/ ١٨٧): «... فمعنى الآية الكريمة ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ أي: يخلقكم ويبثكم وينشركم ﴿فِيهِ﴾ أي: فيما ذكر من الذكور والإناث، أي: في ضمنه، عن طريق التناسل كما هو معروف. ويوضح ذلك في قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء:١] فقوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ يوضح معنى قوله: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ فإن قيل: ما وجه إفراد الضمير المجرور في قوله: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ مع أنه على ما ذكرتم عائد إلى الذكور والإناث من الآدميين والأنعام؟.

فالجواب: أن من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن، رجوع الضمير أو الإشارة بصيغة الإفراد إلى مثنى أو مجموع باعتبار ما ذكر مثلاً » أ.هـ.

(٢) أضواء البيان (٧/ ١٨٨).

قرآنية مقدم على ما عدم ذلك »[1].

ومن أن: « حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك »[2].

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.

(١) قواعد الترجيح للحربي (١/ ٣١٢).

(٢) المصدر السابق (١/ ١٧٢).

۞ **المسألة الثالثة: «الكاف» في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ هل هي أصلية أم زائدة؟**

◊ **ترجيح القرطبي:**

رجَّح الإمام القرطبي ~ أن الكاف زائدة للتوكيد، أي: ليس مثله شيء واستشهد بقول القائل:

صاليات ككما يؤثفين[1].

فأدخل على الكاف كافاً تأكيداً للتشبيه.

ثم ذكر قولاً آخر فقال ~ : «وقيل: المثل زائدة للتوكيد وهو قول ثعلب[2] ليس كهو شيء، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ [البقرة:١٣٧].

وفي حرف ابن مسعود ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ .

قال أوس بن حَجَر[3]:

---

(١) نسبه سيبويه في كتابه (١/ ٣٢)، والبغدادي في خزانته (٢/ ٣١٣) لخطام المجاشعي والصاليات: الأثافي، وهي الأحجار التي يُنصب عليها القدر. قاله البغدادي.

(٢) ذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ١٩٥).

وثعلب هو: أحمد بن يحيى بن زيد بن سيَّار، أبو العباس الشيباني، المعروف بثعلب، عالم لغوي، وأديب نحوي، قال المبرد: أعلم الكوفيين ثعلب، توفي سنة (٢٩١هـ).

ينظر: نزهة الألباء ص(١٧٣)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ١٧٤)، وبغية الوعاة (١/ ٣٩٦)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ١٠٩).

(٣) أوس بن عبد الله بن حجر الأسلمي، يكنى أبا تميم، وربما ينسب إلى جده فقيل: أوس بن حجر، أسلم بعد أن قدم النبي ﷺ المدينة، وهو من العرج، أرسل غلامه على قدميه إلى رسول الله يخبره بقدوم قريش عليه ليوم أحد.

ينظر: الإصابة (١/ ٣٠٤)، وأسد الغابة (١/ ١٧١)، والإكمال لابن ماكولا (٢/ ٣٩١).

وَقَـتْلى كَمِثْـل جُـذُوعِ النَّخِيـلْ
يَغْشاهُمُ مَطَـرٌ منهمِـر[1].

أي: كجذوع »[2].

◈ **الدراسة والمناقشة:**

اختلف المفسرون والبلاغيُّون[3] في« كاف » ﴿كَمِثْلِهِۦ﴾ على قولين:

القول الأول:

القائلون بالأصالة، واختلفوا في المعنى المراد على وجهين:

الوجه الأول: أن المراد بـ(مثله) ذاته، أي: ليس كذاته شيء، والمعنى نفي المماثلة عن ذاته تعالى مبالغة في النفي عن طريق الكناية، وقد ذكر هذا المعنى الزمخشري، حيث يقول: « قالوا: مثلك لا يبخل، فنفوا البخل عن مثله، وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية؛ لأنهم إذا نفوه عمَّن يسد مسده، وعمَّن هو على أخص أوصافه، فقد نفوه عنه»[4].

ونقل الرازي هذا المعنى عن العلماء على حد قوله، ثم عقَّب بقوله: «وعلى هذا التقدير فلم يكن هذا اللفظ ساقطاً عديم الأثر، بل كان مفيداً للمبالغة من الوجه الذي ذكرناه»[5].

---

(١) ديوان أوس بن حَجَر ص(٣٠)، وفيه: تغشَّاهم، بدل: يغشاهم ومُسبل، بدل: مطر، وكلاهما بمعنى واحد.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٥٠).

(٣) لمطالعة كلام أهل البلاغة، ينظر: زيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم للدكتورة هناء فدا، ص(١٢٠، ١٢٩، ١٤٠، ١٥٩، ١٧٢، ١٨٠، ١٩٠، ٢٢٤، ٣١٦، ٣٥٤، ٧٢٥).

(٤) الكشاف (٤/ ٢٠٦).

(٥) التفسير الكبير (٩/ ١٣٩).

واختار هذا الوجه أبو السعود والألوسي[(١)].

وذكره أبو حيان وعدَّه أغوص[(٢)]، ونقله الزركشي تضعيفا[(٣)].

الوجه الثاني: أن المراد بـ(مثله) صفته، أي: ليس كصفته صفة، فيكون المعنى: ليس مثل صفته تعالى شي من الصفات التي لغيره، فالبشر وإن وُصِفُوا بـما وصف الله به نفسه في كتابه وسنة رسوله ﷺ إلا أن تلك الصفات تختلف عن صفات مَنْ ليس كمثله شيء، وليس بين صفات الخالق العلي وصفات المخلوق إلا تشابه الأسماء.

وقد احتمل هذا المعنى أبوحيان وعدَّه محملاً سهلاً، وكذا السمين الحلبي.

وذكرهذا المعنى تضعيفا الراغب، حيث قال: «وقيل المِثْلُ ههنا هو بمعنى الصفة ومعناه: ليس كصفته صفة، تنبيهاً على أنه وإن وُصِفَ بكثير مما يُوصَفُ به البشر فليس تلك الصفات له على حسب ما يُستَعْمَلُ في البشر»[(٤)].

القول الثاني:

القائلون بالزيادة، واختلفوا في المعنى المراد على وجهين:

الوجه الأول: أن الكاف زائدة في خبر ليس، و«شيء» اسمها، والتقدير: ليس شيء مثله. وهو ما ذهب إليه الإمام القرطبي في ترجيحه، وهو المشهور عند المعربين[(٥)].

قال أبو البقاء مرجحاً لزيادة الكاف: « لو لم تكن زائدة، لأفضى ذلك إلى المحال؛ إذ يكون المعنى أن له مثلاً وليس لمثله مثل، وفي ذلك تناقض، لأنه إذا كان له مثل

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦ / ١١)، وروح المعاني (٢٥/ ٢٥– ٢٨).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٢٧).

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٢ / ١٧١).

(٤) المفردات ص (٤٦٥).

(٥) ينظر: الدر المصون (٦/ ٧٦).

فلمثله مثل وهو هو، مع أن إثبات المثل لله تعالى محال »[1].

وقال ابن قتيبة: « والكاف قد تزاد، كقوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[2]».

وإلى هذا القول ذهب الزجاج ~ ، حيث يقول: « هذه الكاف مؤكِّدة، والمعنى: ليس مثله شيء، ولا يجوز أن يقال: المعنى: مثل مثله شيء؛ لأن من قال هذا فقد أثبت المثل لله، تعالى عن ذلك علوا كبيرا »[3].

ونقل زيادتها ابن هشام والزركشي، وكذا الإمام الطبري في أحد قوليه[4].

ونسب هذا القول للأكثرين السيوطي[5].

وقد ردَّ الفخر الرازي زيادة «الكاف» بأنه ضعيف؛ لأن الأصل صون كلام الله عن اللغو، حيث قال: « فإن قالوا: إن «الكاف» زائدة، قلنا هذا الكلام معناه أن هذا الحرف من كلام الله تعالى لغو وعبث وباطل، ومعلوم أن هذا الكلام هو الباطل، ومتى قلنا: إن هذا الحرف ليس بباطل صارت الحجة التي ذكرناها في غاية القوة والكمال»[6].

---

(١) التبيان في إعراب القرآن (٢/ ١١٣١)، وذكره عنه ابن عادل الحنبلي في تفسيره (١٧/ ١٧٣)، والشوكاني في تفسيره (٤/ ٦٩٢).

وأبو البقاء هو: عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء عبد الله بن الحسين العُكْبري ثم البغدادي الأزجي الضرير النحوي الحنبلي، قرأ بالروايات على علي بن عساكر البطائحي، والعربية على ابن الخَشَّاب/ وتفقه على القاضي أبي يعلى الصغير محمد بن أبي خازم وأبي حكيم النهرواني، قال ابن النجار: قرأت عليه كثيراً من مصنفاته، وصحبته مدة طويلة، وكان ثقة متديناً، حسن الأخلاق، متواضعاً. توفي سنة (٦١٦هـ).

ينظر: وفيات الأعيان (٢/ ٤٩)، وسير أعلام النبلاء (١٦/ ١١٥)، وذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٨٦).

(٢) تأويل مشكل القرآن ص(١٥٧).

(٣) معاني القرآن (٤/ ٣٩٥).

(٤) ينظر: مغني اللبيب (١/ ١٧٩)، والبرهان(٢/ ١٧٠)، وجامع البيان (١١/ ١٣٣).

(٥) ينظر: البرهان(٢/ ٤١٥).

(٦) التفسير الكبير (١/ ١١٣).

وقال في موضع آخر: « وليس لقائل أن يقول: «الكاف» في قوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ﴾ حرف زائد لا فائدة فيه؛ لأن حمل كلام الله على اللغو والعبث وعدم الفائدة بعيد»[1].

الوجه الثاني: أن: « المثل » زائدة للتوكيد؛ وهو قول ثعلب، والمعنى: ليس كهو شيء، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ [البقرة:١٣٧].

وفي حرف ابن مسعود ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ .

قال أوس بن حَجَر:

وَقَتْلى كَمِثْلِ جُذُوعِ النَّخِيلْ يَغْشاهم مَطَر منهمِرْ.

أي: كجذوع.

وذكر هذا المعنى الطبري في أحد قوليه، واختاره البغوي، وذكره أبوالبقاء تضعيفا وعدَّه قولاً بعيداً، وردَّه ابن هشام فإنَّ زيادة الاسم لم تثبت، كما نقل هذا الوجه الألوسي ولم يختاره[2].

ووسمه أبو حيان بأنه ليس بجيد، حيث قال: «وما ذهب إليه الطبري وغيره من أنَّ مثلاً زائدة للتوكيد... ليس بجيد، لأن مثلاً اسم، والأسماء لا تزاد، بخلاف الكاف، فإنها حرف، فتصلح للزيادة»[3].

وكذا قال السمين الحلبي: «وهذا ليس بجيد؛ لأن زيادة الأسماء ليست بجائزة وأيضاً يصير التقدير: ليس كهو شيء، ودخول الكاف على الضمائر لا يجوز إلا في شعر»[4].

---

(١) التفسير الكبير (٥/ ٣١١٩).

(٢) ينظر: جامع البيان (١١/ ١٣٣)، ومعالم التنزيل(٤/ ١٠٨)، والتبيان (٢/ ١١٣١)، ومغني اللبيب (١/ ١٨٠، ١٧٩)، وروح المعاني (٢٥/ ٢٥).

(٣) البحر المحيط (٩/ ٣٢٧).

(٤) الدر المصون (٦/ ٧٧).

◊ الترجيـــــح:

الذي يتبيَّن لى –والعلم عند الله– أن القول الراجح في «كاف» ﴿كَمِثْلِهِۦ﴾ هو القول الأول، وهو أن تكون أصلية لا زائدة، والمعنى: ليس كذاته شيء، أو ليس كصفته شيء، فالله جل جلاه وتقدَّست أسمائه وصفاته ليست ذاته كذوات المخلوقين، ولا صفاته كصفاتهم، فهو ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وهذا ما قررته الآية الكريمة.

فإنَّ الآية تعني أن من كانت له تلك الصفات الحسنى، وذلك المثل الأعلى لا يمكن أن يكون له شبيه أو مثيل.

والمِثْلُ في القران يطلق ويراد به الصفة، كقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الرعد:٣٥]، أي: صفة الجنة، فالتقدير في الآية: ليس كصفته شيء، والمعنى: ليس مثل صفته تعالى شيء من الصفات التي لغيره، ويطلق ويراد به الذات، كقولك: مثلك لا يفعل هذا، أي أنت لا تفعله، فالتقدير في الآية: ليس كذاته شيء[1].

إذا تقرر هذا فإن حمل الحرف على الأصالة أولى من حمله على الزيادة، وهو محمل سهل، كما ذكر ذلك أبوحيان والسمين الحلبي.

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية النَّاصَّة على أنه: «إذا دار الكلام بين الزيادة والتأصيل فحمله على التأصيل أولى»[2].

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.



(١) ينظر: الدر المصون (٦/ ٧٧)، والإتقان في علوم القرآن(٢/ ٤١٥) فقد نقل السيوطي هذا المعنى عن الشيخ عز الدين بن عبدالسلام يرحمهما الله.

(٢) قواعد الترجيح للحربي (٢/ ٤٩٥).

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١٤﴾

۞ **مسألة: المراد بالكتاب والوارثين له، في قوله تعالى:** ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ﴾.

◊ **ترجيح القرطبي:**

رجَّح الإمام القرطبي ~ أن المراد بالكتاب هنا التوراة والإنجيل، والذين أورثوا الكتاب اليهود والنصارى، حيث يقول: « ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يريد اليهود والنصارى ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ أي: من بعد المختلفين في الحق ﴿لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ﴾ من الذي أوصى به الأنبياء، والكتاب هنا التوارة والإنجيل وقيل: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ قريش ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ من بعد اليهود والنصارى ﴿لَفِي شَكّٖ﴾ من القرآن أو من محمد وقال مجاهد: معنى ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ من قبلهم؛ يعني: من قبل مشركي مكة، وهم اليهود والنصارى » ا.هـ[1].

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٥٤).

◊ **الدراسة والمناقشة:**

وافق القرطبي في ترجيحه المروي عن السدي[1]، وقول الطبري[2]، والسمرقندي[3]، وابن أبي زمنين[4]، والثعلبي[5]، والماوردي[6]، والواحدي[7]، وابن عطية[8]، وابن الجوزي[9]، والرازي[10].

ووافقهم ابن جزي[11]، وأبو حيان[12]، والسيوطي[13]، والشوكاني[14]، والألوسي[15].

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١١/ ١٣٧).

(٢) ينظر: جامع البيان (١١/ ١٣٦).

(٣) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٢٣٩).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٣/ ٢٧٧).

(٥) ينظر: الكشف والبيان (٣/ ٣٨٤).

(٦) ينظر: النكت والعيون (٥/ ١٩٨).

(٧) ينظر: الوسيط (٤/ ٤٧).

(٨) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٣٠).

(٩) ينظر: زاد المسير (٧/ ١١٣).

(١٠) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ١٤٣).

(١١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٣٢).

(١٢) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٢٩).

(١٣) ينظر: الدر المنثور (٧/ ٢٩٣).

(١٤) ينظر: فتح القدير (٤/ ٦٩٥).

(١٥) ينظر: روح المعاني (٢٥/ ٣٢).

◊ **الترجيـــــح:**

والذي يظهر لي والعلم عند الله أن ما ذهب إليه القرطبي هو الراجح وذلك لما يلي:

أولاً: دلالة السياق.

ثانياً: إمامة القائلين به.

قال الفخر الرازي: « واختلفوا في الذين أريدوا بهذه الصفة من هم؟ فقال الأكثرون هم اليهود والنصارى، والدليل قوله تعالى في آل عمران: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران:١٩]، وقال في سورة لم يكن ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾ [البينة:٤]؛ ولأن قوله: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ لائق بأهل الكتاب، وقال آخرون: إنهم هم العرب، وهذا باطل للوجوه المذكورة؛ لأن قوله تعالى بعد هذه الآية ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ لا يليق بالعرب؛ لأن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم، هم أهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسوا الله ﷺ » (١).

وقال ابن عاشور: « وهؤلاء الذين أوتوا الكتاب هم الموجودون في وقت نزول الآية ومعنى ﴿أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ صار إليهم علم الكتاب الذي اختلف فيه سلفهم فاستعير الإرث للخليفة في علم الكتاب.

والتعريف في ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾ للجنس يشمل كتاب اليهود وكتاب النصارى.

هذا هو الوجه في تفسير هذه الآية وهو الذي يلتئم مع ما قبله ومع قوله بعده ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الشورى:١٥] (٢).

---

(١) التفسير الكبير (٩/ ١٤٣).

(٢) التحرير والتنوير (٢٥/ ٥٨، ٥٩).

ثالثاً: القاعدة الترجيحية دالّة على ذلك:

قاعدة: « إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له »[(١)].

قاعدة: « تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير »[(٢)].

قاعدة: « فهم السلف للقرآن حجة يحتكم إليه لا عليه »[(٣)].

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.

---

(١) قواعد الترجيح للحربي (١/ ١٢٥).

(٢) المصدر السابق (١/ ٢٨٨).

(٣) قواعد التفسير للسبت (١/ ٢٠٦).

قوله تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾.

مسألة: النسخ في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

◊ ترجيح القرطبي:

رجح القرطبي ~ أن الآية منسوخة، حيث يقول: « قال ابن عباس { ومجاهد: الخطاب لليهود، أي: لنا ديننا ولكم دينكم، قال: ثم نسخت بقوله تعالى:

﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [التوبة:١٢٩].

قال مجاهد: ومعنى «لا حجة بيننا وبينكم» لا خصومة بيننا وبينكم »[(١)].

◊ الدراسة والمناقشة:

وما ذهب إليه القرطبي في هذه الآية نحو المروي عن ابن عباس { ومجاهد، والسدي[(٢)].

وهو قول الواحدي[(٣)]، وابن عطية[(٤)]، وجلال الدين المحلي[(٥)]،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٥٦).

(٢) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٧٤)، والنكت والعيون (٥/ ١٩٩)، والدر المنثور (٧/ ٢٩٤).

(٣) ينظر: الوسيط (٤/ ٤٧).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٣٠).

(٥) ينظر: تفسير الجلالين (١/ ٦٤٠).

وجلال الدين المحلي هو: محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الشافعي المصري، الفقيه الأصولي النحوي، صاحب التصانيف العديدة، منها: التفسير الذي لم يكمله، كتب منه من أول الكهف إلى آخر القرآن، =

والشوكاني[1]، ورجحه أبو حيان[2]، وابن كثير[3].

وقدّمه الماوردي[4]، وابن الجوزي[5].

وهو ظاهر عبارة الطبري[6]، والسمرقندي[7]، والسعدي[8].

قال البغوي: « لا حجة بيننا وبينكم » أي لا خصومة، نسختها آية القتال فإذا لم يؤمر بالقتال وأمر بالدعوة لم يكن بينه وبين من لا يجيب خصومة »[9].

وذهب البيضاوي[10]، وأبو السعود[11]، والألوسي[12]، إلى أن الآية محكمة وليس فيهما ما يدل على متاركة الكفار رأساً حتى يصار إلى أنها منسوخة بآية السيف، بل هي محاجزة في مواقف المجاوبة لا متاركة في مواطن المحاربة.

وأكمله السيوطي على نمطه ومنواله، توفي سنة (٨٦٤هـ).

ينظر: طبقات السيوطي ص(٣٣٦-٣٣٧)، وطبقات الداوودي (٢/ ٨٤-٨٥)، والأعلام (٥/ ٣٣٣).

(١) ينظر: فتح القدير (٤/ ٦٩٥).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٣٠).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ١٩٦).

(٤) ينظر: النكت والعيون (٥/ ١٩٩).

(٥) ينظر: زاد المسير (٧/ ١١٤).

(٦) ينظر: جامع البيان (١١/ ١٣٨).

(٧) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٢٤٠).

(٨) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨١٥).

(٩) معالم التنزيل (٤/ ١٠٩).

(١٠) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٦١).

(١١) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/ ١٤).

(١٢) ينظر: روح المعاني ص(٣٤).

قال ابن الجوزي: « في الآية قولان:

أحدهما: أنها اقتضت الاقتصار على الإنذار وذلك قبل القتال ثم نزلت آية السيف فنسختها، قاله الأكثرون.

والثاني: أن معناها: إن الكلام بعد ظهور الحجج والبراهين قد سقط بيننا، فعلى هذا هي محكمة، قاله طائفة من المفسرين »[١].

وقال النحاس: « ويجوز أن يكون المعنى على ذلك القول - يعني القول بالنسخ -: لم نؤمر أن نحتج عليكم ونقاتلكم، ثم نسخ هذا، كما أن قائلاً لو قال من قبل أن تحول القبلة: لا تصلي إلى الكعبة، ثم حول الناس بعد، لجاز أن يقال: نسخ ذلك »[٢].

وقال ابن كثير: « قال السدي: وذلك قبل نزول آية السيف، وهذا متجه لأن هذه الآية مكية وآية السيف بعد الهجرة »[٣].

◊ الترجيـــــح:

إذا تقرر هذا، فإن قول من ذهب إلى أن الآية محكمة، وأنها قبل نزول آية السيف هو الراجح، وذلك لموافقته للقاعدة الترجيحة النَّاصَّة على أن «كل ما وجب امتثاله في وقت ما، لعلة تقتضي ذلك الحكم، ثم ينتقل بانتقالها إلى حكم آخر، فليس بنسخ»[٤]، ويكون ما ذهب إليه القرطبي مرجوحاً.

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.

---

(١) زاد المسير (٧/ ١١٤).

(٢) الناسخ والمنسوخ (٢/ ٦١٤، ٦١٥)، وقد احتمل كلا القولين.

(٣) تفسير القرآن العظيم (٧/ ١٩٦).

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/ ٥٤، ٥٥)، والاتقان في علوم القرآن للسيوطي (٣/ ٥٣٦)، وقواعد التفسير للسبت (٢/ ٧٤٠).

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴿١٧﴾ ﴾.

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى: المراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾.

ترجيح القرطبي:

رجح القرطبي أن المراد بالكتاب العموم، أي: عامة الكتب الإلهية، حيث يقول: « ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ يعني القرآن وسائر الكتب المنزَّلة » ا.هـ [(1)].

الدراسة والمناقشة:

ما ذهب إليه القرطبي في ترجيحه هو قول جمهور المفسرين ومنهم:

الزمخشري[(2)]، وابن عطية[(3)]، والبيضاوي[(4)]، والنسفي[(5)]، وابن جزي[(6)]، وأبو حيان[(7)]، وابن كثير[(8)]، والسيوطي[(9)]، والشوكاني[(10)]، والألوسي[(11)]، والشنقيطي[(12)].

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٥٧).

(٢) ينظر: الكشاف (٤/ ٢١١).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٣١).

(٤) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٦١).

(٥) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٥٠).

(٦) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٣٣).

(٧) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٣٠).

(٨) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ١٩٦).

(٩) ينظر: الدر المنثور (٧/ ٢٩٥).

(١٠) ينظر: فتح القدير (٤/ ٦٩٦).

(١١) ينظر: روح المعاني ص(٣٥).

(١٢) ينظر: أضواء البيان (٧/ ١٩٥).

وهو ظاهر عبارة السمرقندي[١].

وذهب بعض المفسرين كالطبري[٢]، والواحدي[٣]، والسمعاني[٤]، وابن الجوزي[٥]، والسعدي[٦]، إلى أن المراد بالكتاب: القرآن.

قال ابن عطية: « الكتاب هنا اسم جنس يعمُّ جميع الكتب المنزلة »[٧].

وقال أبو حيان: « صرح بأنه تعالى الذي أنزل الكتاب، والكتاب جنس يراد به الكتب الإلهية »[٨].

وقال ابن كثير: « يعني الكتب المنزَّلة على أنبيائه »[٩].

وقال الشنقيطي: « الكتاب اسم جنس مراد به جميع الكتب السماوية... والمفرد الذي هو اسم جنس يطلق مراداً به الجمع »[١٠].

---

(١) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٢٤٠).

(٢) ينظر: جامع البيان (١١/ ١٣٩).

(٣) ينظر: الوسيط (٤/ ٤٨).

(٤) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ٧٠).

(٥) ينظر: زاد المسير (٧/ ١١٤).

(٦) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨١٥).

(٧) المحرر الوجيز (٥/ ٣١).

(٨) البحر المحيط (٩/ ٣٣٠).

(٩) تفسير القرآن العظيم (٧/ ١٩٦).

(١٠) أضواء البيان (٧/ ١٩٥).

◊ **الترجيـــح:**

إذا تقرر هذا، فإن قول القرطبي ومن معه هو الأولى بالصواب، والقاعدة ناصَّـة على أنه«يجب حمل نصوص الوحي على العموم مالم يرد دليل على التخصيص »[1].

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.

(١) ينظر: الرسالة للشافعي ص(٢٠٧)، والإيضاح لمكي ص(١٠١)، وقواعد التفسير للسبت (٢/ ٥٩٩).

۞ **المسألة الثانية: المراد بـ(الميزان) في قوله تعالى:** ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ﴾.

◊ ترجيح القرطبي:

رجَّح الإمام القرطبي ~ أن المراد « بالميزان » أي: العدل، حيث يقول: « «والميزان » أي: العَدْل، قاله ابن عباس وأكثر المفسرين والعدل يسمى ميزاناً؛ لأن الميزان آلة الإنصاف والعدل، وقيل: الميزان ما بُيِّن في الكتب مما يجب على الإنسان أن يعمل به.

وقال قتادة: الميزان العَدْل فيما أمر به ونهى عنه وهذه الأقوال متقاربة المعنى.

وقيل: هو الجزاء على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب. وقيل: إنه الميزان نفسه الذي يوزن به، أنزله من السماء وعلَّم العباد الوزن به، لئلا يكون بينهم تظالم وتباخس » أ.هـ[(١)].

◊ الدراسة والمناقشة:

وافق القرطبي في ترجيحه المروي عن ابن عباس وقتادة ومجاهد ومقاتل[(٢)]، وقول الطبري[(٣)]، والزجاج[(٤)]، والنحاس[(٥)]، وابن أبي زمنين[(٦)]، والواحدي[(٧)]،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٥٨).

(٢) ينظر: جامع البيان (١١/ ١٣٩)، والكشف والبيان (٥/ ٣٨٥)، والوسيط (٤/ ٤٨)، والمحرر الوجيز (٥/ ٣١)، وزاد المسير (٧/ ١١٤).

(٣) ينظر: جامع البيان (١١/ ١٣٩).

(٤) ينظر: معاني القرآن (٤/ ٣٩٦).

(٥) ينظر: معاني القرآن (٦/ ٣٠٤).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٧٨).

(٧) ينظر: الوسيط (٤/ ٤٨).

والبغوي[1]، وابن عطية[2]، ووافقهم ابن جزي[3]، وابن كثير[4]، والسيوطي[5]، والقاسمي[6]، والسعدي[7]، والشنقيطي[8]، والطاهر ابن عاشور[9].

وجزم بهذا القول السمرقندي[10]، والسمعاني[11].

واختاره ونسبه لأكثر المفسرين الثعلبي[12]، والشوكاني[13].

ونسبه للجمهور ابن الجوزي[14].

وهو ظاهر عبارة أبي حيان[15].

---

(١) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٠٩).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٣١).

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٣٣).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ١٩٦).

(٥) ينظر: الدر المنثور (٧/ ٢٩٥).

(٦) ينظر: محاسن التأويل (٨/ ٣٥١٦).

(٧) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨١٦).

(٨) ينظر: أضواء البيان (٧/ ١٩٦، ١٩٧).

(٩) ينظر: التحرير والتنوير (٢٥/ ٦٨).

(١٠) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٢٤١).

(١١) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ٧٠).

(١٢) ينظر: الكشف والبيان (٥/ ٣٨٥).

(١٣) ينظر: فتح القدير (٤/ ٦٩٦).

(١٤) ينظر: زاد المسير (٧/ ١١٤).

(١٥) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٣١).

◊ **الترجيــــح:**

الذي يظهر لي – والله تعالى أعلم- أن ما ذهب إليه القرطبي هو الراجح، وذلك لما يلي:

أولاً: أنه المنقول عن ترجمان القرآن وأئمة السلف وجمهور المفسرين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- عند كلامه عن « لفظ الإنزال »: «... ومن ذلك « إنزال الميزان » ذكره مع الكتاب في موضعين وجمهور المفسرين على أن المراد به العدل، وعن مجاهد ~ هو ما يوزن به، ولا منافاة بين القولين، وكذلك العدل، وما يعرف به العدل »[1].

وقال العلامة الشنقيطي ~ : « الذي يظهر لي والله تعالى أعلم: أن الميزان في سورة الشورى وسورة الحديد هو العدل والإنصاف، كما قاله غير واحد من المفسرين.

وأن الميزان في سورة الرحمن هو الميزان المعروف، أعني آلة الوزن التي يوزن بها بعض المبيعات.

ومما يدل على ذلك أنه في سورة الشورى وسورة الحديد عبر بإنزال الميزان لا بوضعه، وقال في سورة الشورى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ وقال في الحديد: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ [الحديد:٢٥].

وأما في سورة الرحمن فقد عبر بالوضع لا الإنزال، قال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾﴾ ثم أتبع ذلك بما يدل على أن المراد به آلة الوزن المعروفة، وذلك في قوله: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾؛ لأن الميزان الذي نهوا عن إخساره هو أخو المكيال، كما قال تعالى: ﴿أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ ﴾ [الإسراء][2].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٤٩).

(٢) أضواء البيان (٧/ ١٩٦، ١٩٧).

ثانياً: القواعد الترجيحية دالَّة على ذلك.

قاعدة: « تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير » [1].

قاعدة: « فهم السلف للقرآن حجة يحتكم إليه لا عليه »[2].

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.

---

(١) قواعد الترجيح للحربي (١/ ٢٨٨).

(٢) قواعد التفسير للسبت (١/ ٢٠٦).

قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

۞ مسألة: في دعوى النسخ في الآية، وبيان معناها.

◊ ترجيح القرطبي:

ذكر الإمام القرطبي ~ قول من قال بالنسخ في الآية ثم قال: « والصواب أن هذا ليس بنسخ؛ لأن هذا خبر، والأشياء كلها بإرادة الله ﷻ إلى أن قال: وقد ذكرنا في «هود » أن هذا من باب المطلق والمقيد، وأن النسخ لا يدخل في الأخبار » ا.هـ [(١)].

◊ الدراسة والترجيح:

يخبرنا الله -جل وعلا- في هذه الآية عن فريقين: فريق يريد بحرثه[(٢)] الآخرة، وفريق يريد بحرثه الدنيا، فالفريق الأول قال الله فيهم: ﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦۖ﴾ ، أي: نزد له في عمله الحسن، فنجعل له الواحدة عشراً، إلى ما شاء ربنا سبحانه من الزيادة وقد اتفق أهل التفسير على أن هذا الجزء من الآية محكم[(٣)].

وذكروا قولين[(٤)] في المراد من الزيادة في الحرث:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٦١-٤٦٣).

(٢) الحرث هو العمل والكسب، ويسمى الرجل حارثاً، أي: عاملاً ومنه قول عبد الله بن عمر { : (احرث لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً) ذكره بهذا اللفظ: النحاس في معانيه (٦/ ٣٠٥)، والقرطبي في جامعه (١٨/ ٤٦١)، وابن الأثير في النهاية (١/ ٣٥٢)، والمشهور عنه جاء بلفظ: (اعمل لدنياك)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٩، ح٤٥٢١)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً بلفظ: (فاعمل عمل امرئ يظن أن لن يموت أبداً، واحذر حذراً يخشى أن يموت غداً).

(٣) المراد بذلك: قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦۖ ﴾ .

(٤) ينظر: تفسير الفخر الرازي (٩/ ١٤٦-١٤٧)، وابن عادل (١٧/ ١٨٣)، وابن عاشور ص(٧٥).

القول الأول:

نزد له في توفيقه وإعانته وتسهيل سبيل الخيرات والطاعات عليه، كقوله تعالى: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [فاطر:٣٠].

القول الثاني:

الزيادة في مضاعفة الأجر والثواب.

والفريق الثاني- أي: الذي يريد بعمله الدنيا فقط- قال الله فيهم: ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾، أي: نؤته نصيبه من الدنيا، وما قسمنا له فيها وليس له في الآخرة من أجر وثواب.

وهذا الجزء من الآية اختلف فيه أهل التفسير على قولين:

أحدهما: أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء:١٨]، واحتُجَّ لهذا القول بما رُوىَ عن ابن عباس { أنه قال في هذه الآية: من كان من الفجار يريد بعمله الحسن الدنيا نؤته منها، ونسخ ذلك في سورة سبحان[1] وبنحوه

---

(١) أثر ابن عباس أخرجه النحاس في ناسخه من طريق جويبر، عن الضحاك عن ابن عباس به، وإسناده ضعيف لعلتين:

الأولى: في إسناده جويبر، وهو ابن سعيد البلخي: جويبر بن سعيد الأزدي، أبو القاسم البلخي، عداده في الكوفيين، ويقال: اسمه جابر، وجُويبر لقب، روى عنه: أنس ابن مالك، والضحاك بن مزاحم وغيرهما، وعنه: ابن المبارك، والثوري، ويزيد بن هارون وغيرهم، ضعيف جداً، قال الدوري وغيره عن ابن معين: ليس بشيء. زاد الدوري ضعيف، وقال النسائي: ليس بثقة. وقال ابن عدي: والضعف على حديثه ورواياته بيّن، مات بعد الأربعين.

ينظر: التقريب ص(١٧٦)، والتهذيب (١/ ٣٢٠)، والجرح والتعديل (٢/ ٥٤٠)، وضعفاء العقيلي (١/ ٢٠٥).

العلة الثانية: أن ا لضحاك بن مزاحم لم يسمع من ابن عباس شيئاً، كما قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في العجاب في بيان الأسباب(١/ ٢١١).

رُوي عن مقاتل.[1]

الثاني: أن الآيتين محكمتان[2] متفقتان في المعنى؛ لأنه لم يقل في هذه الآية: نؤته مراده، فعلم أنه إنما يؤتيه الله ما أراد، وهذا موافق لقوله: « لمن نريد »، ويحقق هذا أن لفظ الآيتين لفظ الخبر ومعناهما معنى الخبر، وذلك لا يدخله النسخ، وهذا هو اختيار القرطبي.

ووافق في اختياره هذا المروي عن قتادة[3]، والسدي[4]، وطاووس[5]، وقول الطبري[6]، والزجاج[7]، والنحاس[8]، والسمرقندي[9]، وابن أبي زمنين[10]، والماوردي[11] والواحدي[12]، والسمعاني[13]، والبغوي[14]، والزمخشري[15]،

---

(١) ذكره عنه ابن الجوزي في الزاد (٧ / ١١٥) وفي نواسخ القرآن ص(٢٢٠).

(٢) عزا ابن الجوزي في نواسخ القرآن ص(١١٠) القول بالإحكام للجمهور.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١٤٠)، وزاد السيوطي في الدر (٧/ ٢٩٦) نسبته إلى : عبد بن حميد.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ١٤٠).

(٥) ذكره النحاس في إعرابه (١/ ٧٩٨).

(٦) ينظر: جامع البيان (١١/ ١٤٠).

(٧) ينظر: معاني القرآن (٤/ ٣٩٧).

(٨) ينظر: معاني القرآن (٦/ ٣٠٥، ٣٠٦)، وإعراب القرآن (١/ ٧٩٨)، والناسخ والمنسوخ (٢/ ٦١٦، ٦١٧).

(٩) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٣٤١).

(١٠) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٧٨).

(١١) ينظر: النكت والعيون (٥/ ٢٠١).

(١٢) ينظر: الوسيط (٤/ ٤٩).

(١٣) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ٧١-٧٢).

(١٤) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١١٠).

(١٥) ينظر: الكشاف (٤/ ٢١٢).

وابن عطية[١]، وابن الجوزي[٢]، والرازي[٣]، ووافقهم البيضاوي[٤]، والنسفي[٥]، والخازن[٦]، وابن جزي[٧]، وأبو حيان[٨]، وابن كثير[٩]، والسيوطي[١٠]، والشوكاني[١١]، والألوسي[١٢]، والقاسمي[١٣]، والسعدي[١٤]، والشنقيطي[١٥]، وابن عاشور[١٦].

وهذا الاختيار هو الصحيح إن شاء الله تعالى بدلالة ما يلي:

أولاً: أن الآية خبر، والخبر لا يدخله ناسخ ولا منسوخ.

ثانياً: لا يلجأ إلى القول بالنسخ في آيات القرآن إلا إذا تعذَّر الجمع بين الآيتين وهذا لا يتأتَّى هنا؛ لأن الجمع بينهما ممكن، وقد ذكر أهل العلم عدة أوجه في الجمع بين الآيتين:

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٣٢).

(٢) ينظر: زاد المسير (٧/ ١١٥).

(٣) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ١٤٥-١٤٧).

(٤) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٦١-٣٦٢).

(٥) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٥١).

(٦) ينظر: لباب التأويل (٤/ ٩٧).

(٧) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٣٤).

(٨) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٣١).

(٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ١٩٨).

(١٠) ينظر: الدر المنثور (٧/ ٢٩٦).

(١١) ينظر: فتح القدير (٤/ ٦٩٨).

(١٢) ينظر: روح المعاني (١/ ٣٧).

(١٣) ينظر: محاسن التأويل (٨/ ٣٥١٦).

(١٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (١/ ٨١٦).

(١٥) ينظر: أضواء البيان (٣/ ١٨-٥٨٢).

(١٦) ينظر: التحرير والتنوير (١/ ٧٣-٧٦).

الوجه الأول: أن الآية هنا مطلقة أو عامة، وقيدت أو خصصت بآية الإسراء[(1)].

الوجه الثاني: أن الآيتين متفقتان في المعنى؛ لأن الله لم يقل في هذه الآية: نؤته مراده، فعلم أنه إنما يؤتيه الله ما أراد هو ﷻ، وهو موافق لقوله: « لمن نريد »[(2)].

الوجه الثالث: أن ذكر الإرادة والمشيئة في آية الإسراء للدلالة على أن كل شيء واقع تحت مشيئته وإرادته ﷻ كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الكهف:٢٣-٢٤]، وكما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[التكوير]، وغيرها من الآيات[(3)].

ثالثاً: دلَّت عدة نصوص من الكتاب والسنة على هذا المعنى: فمن القرآن: قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَاۚ﴾[آل عمران:١٤٥] .

وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾[هود].

ومن السنة: ما روى عن أبي هريرة ﷺ قال: تلا رسول الله ﷺ: (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه...) ثم قال رسول الله ﷺ: (يقول الله ﷻ: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غني وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك)[(4)].

---

(١) ينظر: الناسخ لابن العربي (٢/ ٣٥٥)، والمصفى لابن الجوزي ص(٥١)، والناسخ للكرمي ص(١٨٣).

(٢) قاله ابن الجوزي في الزاد (٧/ ١١٥).

(٣) يقول الزركشي في البرهان (٢/ ١٢): «... وقوله: « من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها » فإنه لو قيل: نحن نرى من يطلب الدنيا طلباً حثيثاً ولا يحصل له منها شيء، قلنا: قال الله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ وخلق ما يريد بالمشيئة والإرادة، فحمل المطلق على المقيد. وينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٣١)، وأضواء البيان (٣/ ٥٨٤-٥٨٥).

(٤) بهذا اللفظ أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٨١، ح٣٦٥٧)، وأخرجه دون ذكر الآية الترمذي في سننه ⇐ =

رابعاً: القول المنسوب لابن عباس { في أن الآية منسوخة لا يصح عنه كما تقدم بيانه ولو صح فإنه يُؤوَّل بأن يكون معناه هذه على نسخة هذه[1].

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.

= (كتاب صفة القيامة ٤/ ٦٤٢، ح٢٤٦٦)، وابن ماجه في سننه (كتاب الزهد، باب الهم في الدنيا ٢/ ١٣٧٦، ح٤١٠٧)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٥٨)، وصحح إسناده الحاكم، والألباني في صحيح الترمذي (٢/ ٣٠٠)، وحسنه الترمذي.

(١) كما قال النحاس في ناسخه (٢/ ٦١٧).

قوله تعالى: ﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ﴾.

۞ **مسألة: المراد بـ «الظالمين» في قوله تعالى:** ﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ ﴾.

◊ ترجيح القرطبي:

رجَّح الإمام القرطبي ~ أن المراد « بالظالمين » الكافرين، حيث يقول: «والظالمون هاهنا الكافرون، بدليل التقسيم بين المؤمن والكافر » ا.هـ [١].

◊ الدراسة والمناقشة:

وافق القرطبي في ترجيحه قول الطبري[٢]، والسمرقندي[٣]، وابن أبي زمنين[٤]، والبغوي[٥]، وابن الجوزي[٦].

ووافقهم النسفي[٧]، والخازن[٨]، وأبو حيان[٩].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٦٤).

(٢) ينظر: جامع البيان (١١/ ١٤١).

(٣) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٢٤٢).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٧٨، ٢٧٩).

(٥) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١١١).

(٦) ينظر: زاد المسير (٧/ ١١٦).

(٧) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٥٢).

(٨) ينظر: لباب التأويل (٤/ ٩٧).

(٩) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٣٣).

وهو ظاهر عبارة الزجاج[١]، والواحدي[٢].

وذهب السعدي إلى أن الظالمين في الآية هم الظالمون لأنفسهم بالكفر والمعاصي[٣].

◊ **الترجيح:**

الذي يظهر لي - والله تعالى أعلم- أن ما ذهب إليه القرطبي هو الراجح، وذلك لما يلي:

أولاً: إمامة القائلين به.

ثانياً: أن دلالة السياق تؤيده.

ثالثاً: القواعد الترجيحية دالّة عليه.

قاعدة « تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ »[٤].

قاعدة: « القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه »[٥].

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.

---

(١) ينظر: معاني القرآن (٤/ ٣٩٨).

(٢) ينظر: الوسيط (٤/ ٤٩).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨١٧).

(٤) ينظر: قواعد الترجيح للحربي (١/ ٢٨٨).

(٥) ينظر: المصدر السابق (١/ ٢٩٩).

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾.

في الآية مسألتان:

۞ المسألة الأولى: في دعوى النسخ في الآية، وبيان المراد بالمودة في القربى.

◊ ترجيح القرطبي:

ذكر الإمام القرطبي ~ قول من قال بالنسخ في الآية، ثم أعقبه بذكر قول من قال أن الآية محكمة، فقال ~ : « قال النحاس: ومذهب عكرمة ليست بمنسوخة، قال: كانوا يصلون أرحامهم فلما بعث النبي ﷺ قطعوه فقال: قل لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودني وتحفظوني لقرابتي، ولا تكذبونني.

قلت: وهذا هو معنى قول ابن عباس في البخاري والشعبي عنه بعينه؛وعليه لا نسخ» أ.هـ[1]

◊ الدراسة والمناقشة:

يخاطب الله ﷻ في هذه الآية الكريمة رسوله محمداً ﷺ فيقول له: قل يا محمد للذين يمارونك في الساعة لا أسألكم على تبليغ الرسالة أجراً ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾

وقد اختلف أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ بين الإحكام والنسخ، والقائلون بالنسخ اختلفوا في الناسخ، والقائلون بالإحكام اختلفوا في معنى الآية بناءً على اختلافهم في ﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾ في الآية، وذلك على ثلاثة أقوال:

الأول: أنها بمعنى القرابة، وتكون ﴿فِى﴾ للسببية [2]، أي: من أجل القربى،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٦٨).

(٢) ينظر: تفسير الألوسي ص(٤٠)، وابن عاشور ص (٨٢).

والمعنى: إلا أن توادوني في قرابتي التي بيني وبينكم ، فتكفوا عني أذاكم، وتمنعوني من أذى الناس، كما تمنعون كلَّ من بينكم وبينه مثل قرابتي منكم.

واستُدل لهذا القول بما أخرجه البخاري في صحيحه: « عن ابن عباس } أنه سُئل عن قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد ﷺ ، فقال ابن عباس: عجلت، إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة ».[(١)]

وهذا المعنى مروي عن مجاهد[(٢)] ، وعكرمة[(٣)] ، وقتادة[(٤)]، والسدي[(٥)]، وأبي مالك[(٦)] ، وعبد الرحمن بن زيد، والضحاك، وعطاء بن دينار[(٧)]..و غيرهم.

واختاره جمهور المفسرين.[(٨)]

---

(١) سبق تخريجه أول المسألة.

(٢) أخرجه الطبري: (١١/ ١٤٣)، وذكره عنه النحاس في معانيه(٦/ ٣٠٨)، وعزاه السيوطي في الدر(٧/ ٢٩٨) إلى : عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) أخرجه الطبري(١١/ ٦٤٢ - ١٤٣) من طريقين عن عكرمة.

(٤) أخرجه الصنعاني (٢/ ١٩١)، والطبري (١١/ ١٤٣) ، وذكره النحاس في معانيه (٦/ ٣٠٨).

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ١٤٣).

(٦) ينظر: المرجع السابق.

(٧) أخرج الآثار عنهم الطبري في تفسيره (١١/ ١٤٣).

وعطاء بن دينار هو: عطاء بن دينار الهذلي، مولاهم، المصري، من رجال الحديثن له كتاب في التفسير يرويه عن سعيد بن جبير، توفي سنة (١٢٦هـ).

ينظر: الأعلام (٤/ ٢٣٥).

(٨) نسبه السمعاني إلى عامة المفسرين (٥/ ٧٣)، وعزاه ابن الجوزي في الزاد إلى الأكثرين (٧/ ١١٧).

وممن قال به : الفراء (٣/ ٢٣)، والطبري (١١/ ١٤٢) ، والزجاج (٤/ ٣٩٨)، والواحدي في الوجيز (٢/ ٩٦٤) ، والسمعاني (٥/ ٧٣) ، والبغوي (٤/ ١١١)، وابن العربي في الناسخ (٢/ ١٢٧) ، وابن الجوزي في الزاد (٧/ ١١٧)، والسخاوي في جمال القراء (٢/ ٨٢٠- ٨٢١)، وابن حجر في الفتح =

الثاني: أن القربى بمعنى: القربة، يقال: قُرْبَة وقُرْبى بمعنى؛كالزُّلفة والزُّلفى.

والمعنى: إلا أن يتودّدوا إلى الله ﷻ ويتقربوا إليه بطاعته.

نقل هذا القول القرطبي عن الحسن وقتادة، وبنحوه رُويَ عن ابن عباس[1] ومجاهد.[2]

واختار هذا القول النحاس مستدلاً بحديث ابن عباس { ، أن رسول الله ﷺ قال: « قل لا أسألكم على ما أنبئكم من البيان والهدى أجراً إلا أن تودوا الله، وتتقربوا إليه بطاعته».[3]

ولم يوافق النحاس في اختياره هذا أحدٌ من أهل التفسير، إلا أن ابن أبي زمنين لم يذكر في تفسيره إلا قول الحسن المتقدم[4]، واحتمله السعدي.[5]

=

(٨/ ٧٢٥) ، والسمين الحلبي في تفسيره (٦/ ٨٠)، وابن تيمية في منهاج السنة النبوية (٧/ ٩٥ - ١٠٠)، وابن القيم في البدائع (٣/ ٢٩)، وابن كثير (٧/ ٢٠٠)، والمحلي في الجلالين(١/ ٦٤٢) ، والشوكاني (٤/ ٥٣٢)، والقاسمي (٨/ ٣٥١٧)، والشنقيطي (٧/ ٢٠٢ - ٢٠٤).

(١) ذكره عنه البغوي في تفسيره (٤/ ١١١).

(٢) ذكره عنه السمرقندي في تفسيره (٣/ ٢٤٢).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١٤٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٧٥)، والنحاس في ناسخه (٢/ ٦٢٠)، وفي معانيه (٦/ ٣٠٧)، والثعلبي في تفسيره (٥/ ٣٨٧)، والقرطبي في جامعه (١٨/ ٢٦٧)، كلهم من طرق عن قزعة بن سويد البصري، عن أبي نجيح، عن مجاهد ، عن ابن عباس به.

وإسناده ضعيف؛ لضعف قزعة بن سويد، ومدار الحديث عليه، وقزعة هذا ضعفه البخاري، وابن معين، وأبو داود، والعنبري، والنسائي، وعن أحمد قال : هو شبه المتروك وفي رواية عن ابن معين قال عنه: ثقة، وقال أبو حاتم : كان كثير الخطأ، فاحش الوهم، فلما كثر ذلك في روايته سقط الاحتجاج بأخباره.

ينظر: ضعفاء البخاري: ص(٩٦)، وضعفاء العقيلي: (٣/ ٤٨٧)، والكامل في الضعفاء (٦/ ٥٠)، والمجروحين (٢/ ١١٦)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٢٧).

(٤) ينظر: تفسيره (٢/ ٢٧٩).

(٥) ينظر: تفسيره ص(٨١٧).

الثالث: أنها بمعنى أهل بيت النبي ﷺ وقرابته، والمعنى: إلا أن تودوا قرابتي أهل بيتي، ولا تؤذوهم، وتحفظوني فيهم، فتكون « في » للظرفية المجازية.[1]

رُويَ عن سعيد بن جبير أنه قال: هي قربى رسول الله ﷺ[2]، وعن أبي إسحاق[3] قال: سألت عمرو بن شعيب[4] عن الآية فقال بنحو قول ابن جبير[5] واختاره الزمخشري[6]، والنسفي[7]، وقدَّمه الفخر الرازي.[8]

واحتمله البيضاوي، وأبو السعود إضافة إلى القول السابق.[9]

واستدلوا بما روي عن ابن عباس { قال: « لما أنزل الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين نودَّهم ، قال: «علي،

---

(١) قاله الألوسي ص(٤١- ٤٢) ، وينظر: الفخر الرازي (٩/ ١٤٩).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) هو: عمرو بن عبيد الهمداني، أبو إسحاق السبيعي، شيخ الكوفة وعالمها ومحدثها، ثقة عابد مكثر، توفي سنة (١٢٧هـ).

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد(٦/ ٣١٣-٣١٥)، وتاريخ البخاري(٦/ ٣١٧)، والسير(٥/ ٣٩٢-٤٠١).

(٤) هو: ابن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي، ذكر البخاري أن أحمد وعلياً والحميدي وإسحاق كانوا يحتجون بحديثه، ووثقه أبو حاتم، إلا أنهم أنكروا عليه كثرة روايته عن أبيه عن جده؛ لأنه قيل أنه سمع أحاديث يسيرة ، وأخذ صحيفة كانت عنده فرواها.

ينظر: معرفة الثقات (٢/ ١٧٧)، والجرح والتعديل (٦/ ٢٣٨).

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ١٤٤)، وذكره عنه ابن كثير (٧/ ٢٠٠).

(٦) ينظر: الكشاف (٤/ ٢١٥).

(٧) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٥٣).

(٨) ينظر: تفسيره (٩/ ١٤٨).

(٩) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٦٢)، وإرشاد العقل السليم (٦/ ١٦).

وفاطمة[١]، وولداهما »[٢].

---

(١) فاطمة بنت رسول الله ﷺ الهاشمية، من نابهات قريش، وإحدى الفصيحات العاقلات، زوج علي بن أبي طالب، وأم الحسن والحسين، وأول من جُعل لها النعش في الإسلام، توفيت سنة(١١هـ).

ينظر: معرفة الصحابة (٦/ ٣١٨٧)، والاستيعاب (٤/ ٤٤٧)، وأسد الغابة (٧/ ٢٣٨)، وحلية الأولياء (٢/ ٤٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٢٧٦)، والطبراني في الكبير (٣/ ٤٧ ، ح٢٦٤١ و ١١/ ٤٤٤، ح ١٢٢٥٩)، والثعلبي في تفسيره (٥/ ٣٨٨)، وذكره النحاس في ناسخه ومنسوخه (٢/ ٦١٩) ، ومعانيه (٦/ ٣٠٩)، من طريق عن حسين الأشقر، عن قيس عن الأعمش عند سعيد بن جبير عنه به. والحديث إسناده ضعيف، لعلتين :

العلة الأولى :

حسين بن حسن الأشقر، ضعيف في الحديث، وهو مع ضعفه من غلاة الشيعة، قال الجوزجاني : غالٍ شتَّام للخيرة، وكذبه الهذلي وقال البخاري : فيه نظر، وفي التقريب : صدوق يهم، ويغلو في التشيع ، وقال أبو زرعة : هو شيخ منكر الحديث.

ينظر: تاريخ البخاري (٢/ ٣٨٥) ، وضعفاء العقيلي (١/ ٢٤٩)، والجرح والتعديل (٣/ ٤٩)، والكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث (١/ ٩٨).

العلة الثانية :

قيس بن الربيع الأسدي، وعليه مدار الحديث، مختلف فيه؛ ضعفه وكيع وابن حنبل والذهبي، وليّنه ابن حنبل، وقال ابن معين ليس بشيء ، وقال النسائي : متروك، وذكره أبو حاتم في ثقاته وقال: كان معروفاً بالحديث، صدوقاً ، ويقال: إن ابنه أفسد عليه كتبه بأخرة، فترك الناس حديثه، وقواه ابن عدي، وقال : لا بأس به، عامة رواياته مستقيمة، توفي سنة(١٨٧هـ).

ينظر: ضعفاء العقيلي (٣/ ٤٦٩ -٤٧١)، ومعرفة الثقات (٢/ ٢٢٠)، وتذكرة الحفاظ (١/ ٢٢٦، ٢٢٧).

لذا ضعف الحديث جماعة منهم : ابن أبي حاتم في تفسيره، وابن حجر في الفتح (٨/ ٧٢٤ - ٧٢٥)، قال : « وإسناده ضعيف، وهو ساقط لمخالفة الحديث الصحيح » وقال أيضاً : « إسناده واهٍ فيه ضعيف، ورافضي » ، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٠٠) قال: « وأخرج ابن المنذر ، وابن أبي حاتم، والطبراني ، وابن مردويه بسند ضعيف من طريق سعيد بن جبير » فذكره، وابن كثير في تفسيره (٧/ ٢٠١)، قال بعد ذكره =

ويحتج لهذا القول أيضاً بما رُويَ عن ابن عباس { في سبب نزول الآية ، أنه قال: سبب نزولها قول العباس[1] أو ابنه للأنصار: لنا الفضل عليكم.[2]

وهذا القول ضعيف لا يصح ؛ لأن الآية مكية باتفاق ، وعلي بن أبي طالب ﷺ لم يكن بعد قد تزوج بفاطمة < ، ولا ولد له أولاد، فكيف يفسر النبي ﷺ هذه الآية

= للحديث « وهذا إسناد ضعيف»، وابن تيمية في المنهاج (٤/ ٥٦٣) قال: « وهذا كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث » ، وقال في موضع آخر في المنهاج (٧/ ٩٩) : « وهذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث ، وهم المرجوع إليهم في هذا ».

(١) العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الفضل، عم رسول الله ﷺ من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام، توفي سنة(٣٢هـ).

ينظر: طبقات ابن سعد (٤/ ٥-٣٣)، ونكت الهميان ص(١٧٥)، وأسد الغابة (٣/ ١٦٣)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٧٨).

(٢) أخرج الطبري وغيره عن ابن عباس { قال : قالت الأنصار : فعلنا وفعلنا، وكأنهم فخروا ، فقال ابن عباس ، أو العباس - شك عبد السلام وهو أحد الرواة - لنا الفضل عليكم ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتاهم في مجالسهم فقال: « يا معشر الأنصار ! ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي » قالوا : بلى يا رسول الله، قال: « ألم تكونوا ضلالاً فهداكم الله بي؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « أفلا تجيبوني » قالوا : ما نقول يا رسول الله ؟ قال : « ألا تقولون : ألم يخرجك قومك فآويناك، أو لم يكذبوك فصدقناك، أولم يخذلوك فنصرناك ؟ » قال : فما زال يقول حتى جثوا على الركب، وقالوا : أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله، قال : فنزلت الآية.

أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ١٤٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٧٧)، وإسناده ضعيف؛ لضعف يزيد بن أبي زياد، وهو الهاشمي مولاهم، الكوفي ، ضعيف، رديء الحفظ، ومع ضعفه كبر فتغير وصار يتلقن، وكان من أئمة الشيعة الكبار، توفي سنة (١٣٦هـ).

ينظر: تهذيب الكمال (٢٠/ ٣١٤)، والكاشف (٢/ ٤٨٢)، والتقريب ص(١٠٧٥).

وتعقب الحافظ ابن كثير هذا الأثر فقال: « وذكر نزول الآية في المدينة فيه نظر؛ لأن السورة مكية، وليس يظهر بين هذه الآية وسياق القصة مناسبة » انتهى.

بوجوب مودة قرابة لا تعرف ولم تُخْلَق بعد[(١)]، لذا قال السمعاني: « وهذا أغرب الأقاويل وأضعفها»[(٢)].

هذه الأقوال الثلاثة التي سبق ذكرها مبنية على قول الجمهور القائلين بأن الآية محكمة.[(٣)]

أما القائلون بالنسخ فقد اختلفوا في الناسخ، فقيل الناسخ لها قوله ﷻ: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾[سبأ:٤٧].[(٤)]

ويكون معنى الآية: أنهم سُئلوا أن يودوه بقرابته، ثم رده الله إليه ما كان عليه الأنبياء، كما قال نوح وهود -عليهما السلام-: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ الآية.

رُويَ عن ابن عباس { أنه قال: « ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ قل لا أسألكم على الإيمان جُعْلاً إلا أن تودوني لقرابتي ، وتصدقوني ، وتمنعوا مني، ففعل ذلك الأنصار رحمهم الله ، ومنعوا منه منعهم عن أنفسهم وأولادهم، ثم نسختها ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ »[(٥)].

---

(١) ينظر: المنهاج لابن تيمية(٧/ ١٠٠)، وابن كثير(٧/ ٢٠١)، والقاسمي (٨/ ٣٥١٨).

(٢) ينظر: تفسير السمعاني (٥/ ٧٤).

(٣) ذكر هذه الأقوال دون ترجيح أحدها: الجصاص في أحكامه (٥/ ٢٦٢ - ٢٦٣) ، وابن عطية (٥/ ٣٣-٣٤)، مع ترجيحه للإحكام، وابن عادل الحنبلي (١٧/ ١٨٨- ١٩٢)، وابن جزي (٤/ ٣٥) ذكر الأقوال ولم يتعرض للقول بالنسخ.

(٤) وبهذا المعنى وردت آيات أخرى في القرآن، منها قوله تعالى : ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠] وقوله ﷻ : ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص:٨٦] .

ينظر: فهم القرآن للمحاسبي ص(٤٧٥) ، والناسخ للمقري (١٥٥ - ١٥٦) ، وناسخ القرآن لابن البازري ص(٤٨)، وناسخ ابن حزم (١/ ٥٤)، والناسخ للكرمي (١/ ١٨٣).

(٥) أخرجه النحاس في ناسخه (٢/ ٦١٨) من طريق : جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس ، وتقدم بيان =

وبنحوه قال الضحاك [1]، ومقاتل. [2]

وردَّ أهل العلم هذا القول وضعَّفوه، فقال السمعاني: « وهذا القول غير مرضي عند أهل المعاني؛ لأن قوله: ﴿إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ ليس باستثناء صحيح حتى يكون مخالفاً لقوله: ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾، بل هو استثناء منقطع [3] ومعناه: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ أي: مالاً، وتمَّ الكلام ». [4]

◊ الترجيـــــح:

بعد الذي تقدم ذكره يتبين لي – والله أعلم – أن الراجح في المسألة ما ذهب إليه جمهور المفسرين من أن الآية محكمة غير منسوخة، وأن معناها: إلا أن تودوني بسبب قرابتي منكم، فهو ما صح عن حبر الأمة وترجمان القرآن من طرق عديدة.

وهذا ما رجحه القرطبي ~ موافقاً جمهور المفسرين، ويؤيد هذا القاعدة الترجيحيه التي تنص على أن « تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير ». [5]

أما القول بأن الآية خاصَّة في قرابة النبي ﷺ وآل بيته فهو « تلفيق معنىً عن فهمٍ

ضعف هذا الإسناد من جهتين :

الأولى : ضعف جويبر بن سعيد البلخي، والثانية: الانقطاع بين الضحاك وابن عباس.

(١) ذكره النحاس في معانيه(٦/ ٣٠٨) ، والبغوي في تفسيره (٤/ ١١١).

(٢) ذكره عنه السمر قندي (٣/ ٢٤٢) ، وابن الجوزي في نواسخه ص(٢٢٠).

(٣) الاستثناء المنقطع: هو ما كان المستثنى فيه مغايراً للمستثنى منه في الجنس.

ينظر: شرح ابن عقيل (١/ ٥٤٤)، ومعجم المصطلحات النحوية ص(٣٨).

(٤) ينظر: تفسيره (٥/ ٧٣ – ٧٤) ، قال ابن الجوزي في نواسخه ص(٤٥٢) : « هذا هو الصحيح ، ولا يتوجه على هذا نسخ أصلاً » ، وممن ضعف القول بالنسخ أيضاً : البغوي (٤/ ١١١)، وابن عطية(٥/ ٣٤)، والشنقيطي (٧/ ٢٠٤).

(٥) ينظر: قواعد الترجيح للحربي (١/ ٢٨٨).

غير منظور فيه إلى الأسلوب العربي، ولا تصح روايته عمن يعتد بفهمه ».[1]

وردُّ هذا القولِ لا يعني إنكار مشروعية محبة آل بيت النبي ﷺ، وإكرام حقهم، إلا أن ذلك حاصل من أدلة أخرى لا هذا الدليل[2] .

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.

(١) قاله ابن عاشور ص(٨٣).

(٢) ينظر: المنهاج لابن تيمية (٤/ ٥٦١)و (٧/ ١٠٥)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٢٠١)، والتحرير والتنوير ص(٨٣).

۞ المسألة الثانية: المراد بالحسنة في الآية.

◊ ترجيح القرطبي:

رجَّح الإمام القرطبي ~ أن المراد بالحسنة: المودة لآل محمد ﷺ، حيث يقول: «... وقال ابن عباس: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ قال: المودة لآل محمد ﷺ » ا.هـ [1].

◊ الدراسة والمناقشة:

ما ذهب إليه القرطبي في ترجيحه هذا هو المروي عن ابن عباس { [2]، والسدي[3]، حيث أنهم قالوا: أن المراد بالحسنة: أي المودة في آل رسول الله ﷺ.

وذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد بالحسنة العموم، ومنهم: الطبري[4]، والسمعاني[5]، والبغوي[6]، وابن الجوزي[7]، والبيضاوي[8]، والنسفي[9]، وابن كثير[10]، وأبو السعود[11]، والشوكاني[12]، والألوسي[13]، والشنقيطي[14].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٧٠).

(٢) ذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٠٠) عن ابن أبي حاتم، ولم أجده في تفسيره.

(٣) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ٢٥٣)، وأبو السعود (٦/ ١٦).

(٤) ينظر: جامع البيان (١١/ ١٤٥).

(٥) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ٧٤).

(٦) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١١٢).

(٧) ينظر: زاد المسير (٧/ ١١٧).

(٨) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٦٢).

(٩) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٥٣).

(١٠) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٠٤).

(١١) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/ ١٦).

(١٢) ينظر: فتح القدير (٤/ ٧٠٠).

(١٣) ينظر: روح المعاني (٢٥/ ٤٥).

(١٤) ينظر: أضواء البيان (٧/ ٢٠٥).

وهو ظاهر عبارة الماوردي[١]، وابن عطية[٢]، وابن جزي[٣].

قال النسفي: « والظاهر العموم في أي حسنة كانت إلا أنها تتناول المودة تناولاً أوليّاً لذكرها عقيب المودة في القربى »[٤].

وقال أبو حيان: « والظاهر عموم الحسنة عموم البدل فيندرج فيها المودة في القربى وغيرها »[٥].

وقال أبو السعود: « أي يكتسب أي حسنة كانت، فتتناول مودة ذي القربى تناولاً أولياً »[٦].

وقال الشوكاني: « والحمل على العموم أولى، ويدخل تحته المودة في القربى دخولاً أولياً »[٧].

---

(١) ينظر: النكت والعيون (٥/ ٢٠٢).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٣٤).

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٣٥).

(٤) مدارك التنزيل (٣/ ٢٥٣).

(٥) البحر المحيط (٩/ ٣٣٥).

(٦) إرشاد العقل السليم (٦/ ١٦).

(٧) فتح القدير (٤/ ٧٠٠).

◊ **الترجيـــــح:**

الذي يظهر لي -والعلم عند الله -أن حمل اللفظة على العموم هو الأولى بالقبول، وهو قول الجمهور من المفسرين، وعليه القاعدة الترجيحية النَّاصَّة على أنه: « يجب حمل نصوص الوحي على العموم مالم يرد » (١).

ويدخل في الحسنة هنا دخولاً أولياً حب آل الرسول ﷺ فهو من أعظم الحسنات والقربات.

قال الفخر الرازي: « والظاهر العموم في أي حسنة كانت، إلا أنها لما ذكرت عقيب ذكر المودة في القربى دل ذلك على أن المقصود التأكيد في تلك المودة » (٢).

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.

---

(١) قواعد الترجيح للحربي (٢/ ٥٢٧).

(٢) التفسير الكبير (٩/ ١٥١).

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾.

۞ مسألة: في موضع ﴿ٱلَّذِينَ﴾ من الإعراب، ومعنى الآية.

◊ ترجيح القرطبي:

قال الإمام القرطبي ~ : « ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في موضع نصب؛ أي: ويستجيبُ اللهُ الذين آمنوا، أي: يقبل عبادة من أخلص له بقلبه وأطاع ببدنه، وقيل: يعطيهم مسألتهم إذا دعوه، وقيل: ويجيب دعاء المؤمنين بعضهم لبعض؛ يقال: أجاب واستجاب بمعنىً، وقال ابن عباس: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يُشفعهم في إخوانهم، ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۚ﴾ قال: يشفعهم في إخوان إخوانهم » أ.هـ[1].

◊ الدراسة والمناقشة:

اختلف أهل التفسير في معنى الآية، وذلك بناء على اختلافهم في موضع ﴿ٱلَّذِينَ﴾ من الإعراب، وقد ذكر القرطبي قولي أهل العلم في المسألة مقدماً ومرجحاً القول الأول، والقولان هما:

القول الأول:

المستجيب: الله تبارك وتعالى، يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات، إذا دعوه، فـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ على هذا القول: في محل نصب مفعول به للضمير العائد على الله جل وعلا، أي: ويجيب الله الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله به، وانتهوا عما نهاهم عنه، وهذا هو اختيار القرطبي موافقاً في اختياره هذا المروي عن ابن

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٧٣).

عباس { [1]، والسدي [2]، وقول الطبري[3]، والزجاج[4]، والنحاس[5]، والسمرقندي[6]، والثعلبي [7] ، والواحدي[8]، والسمعاني[9]، والبغوي[10]، والزمخشري[11]، وابن عطية[12]، وابن الجوزي[13]، والرازي[14]، ووافقهم النسفي[15]، وابن جزي[16]، وابن كثير[17]، والشوكاني[18] ، والألوسي[19]، والقاسمي[20]، واستدلوا بدليلين:

---

(١) ذكره ابن عطية في تفسيره (٥/ ٣٥).

(٢) ذكره الحافظ ابن كثير (٧/ ٢٠٥).

(٣) ينظر: جامع البيان (١١/ ١٤٧).

(٤) ينظر: معانيه (٤/ ٣٩٩).

(٥) ينظر: إعرابه ص(٧٩٩).

(٦) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٢٤٣).

(٧) ينظر: الكشف والبيان (٥/ ٣٩٤).

(٨) ينظر: الوسيط (٤/ ٥٤).

(٩) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ٧٦).

(١٠) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١١٣).

(١١) ينظر: الكشاف (٥/ ٢١٦ ، ٢١٧).

(١٢) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٣٥، ٣٦).

(١٣) ينظر: زاد المسير (٨/ ١١٨).

(١٤) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ١٥٣).

(١٥) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٥٤).

(١٦) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٣٦).

(١٧) ينظر: تفسير القرآن الكريم (٧/ ٢٠٥).

(١٨) ينظر: فتح ا لقدير (٤/ ٧٠٠).

(١٩) ينظر: روح المعاني ص(٥٠).

(٢٠) ينظر: محاسن التأويل (٨/ ٣٥٢٢).

الأول: دلالة السياق، وذلك أن الفعل الذي قبله والذي بعده لله ﷻ[1].

الثاني: فهم السلف ﭫ، فقد رُويَ عن معاذ بن جبل[2] ﭬ أنه خطب يوماً فقال: أنتم المؤمنون ، وأنتم أهل الجنة، والله إني لأرجو أن من تصيبون من فارس[3] والروم[4] يدخلون الجنة، ذلك أن أحدهم إذا عمل لأحدكم العمل قال: أحسنت رحمك الله، أحسنت غفر الله لك، ثم قرأ الآية[5].

ووجه الدلالة من الأثر: أن معاذاً ﭬ استشهد بهذه الآية على إيمان من أصابهم

---

(١) فالفعل الذي قبله : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ والذي بعده : ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾.

قاله النحاس في إعرابه ص(٨٠٠)، والثعلبي في تفسيره (٥/ ٣٩٤)، والفخر الرازي (٩/ ١٥٣)، وابن كثير (٧/ ٢٠٦).

(٢) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري، أبو عبد الرحمن، صحابي جليل، أعلم الأمة بالحلال والحرام، وأحد من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ، توفي سنة(١٨هـ).

ينظر: مشاهير علماء الأمصار ص(٥٠)، ومعرفة الصحابة (٥/ ٢٤٣)، والاستيعاب (٣/ ٤٥٩).

(٣) فارس: ولاية واسعة وإقليم فسيح، أول حدودها من جهة العراق أرّجان، ومن جهة كرمان السّيَرجان، ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف، ومن جهة السند مكران، وهي من أمهات المدن المشهورة، وقصبتها الآن شيراز، سميت بفارس بن علّم بن سام بن نوح ﭺ.

ينظر: معجم البلدان (٤/ ٢٢٦).

(٤) الرُّوم: جبل معروف في بلاد واسعة تضاف إليهم فيقال بلاد الروم، واختلفوا في أصل نسبهم فقال قوم: إنهم من ولد روم بن سماحيق بن هرينان بن علقان بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم ﭺ، وقال آخرون: إنهم من ولد روميل بن الأصفر بن اليغز بن العيص بن إسحاق، وحدود الروم فمشارقهم وشمالهم الترك وجنوبهم الشام والإسكندرية ومغاربهم البحر والأندلس.

ينظر: معجم البلدان (٣/ ٩٧).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ١٤٧)، والحاكم في المستدرك وصححه (٢/ ٢٤٨٢، ح ٣٦٦١) ، ومسدد كما في المطالب العالية (٤/ ١٥٢،ح ٣٧١٨)، وزاد السيوطي عزوه في الدر (٧/ ٣٠٣)، إلى : ابن المنذر ، وابن أبي حاتم.

المسلمون من فارس والروم، وذلك أن المؤمنين كانوا إذا عمل أحد الفرس أو الروم لديهم يدعون لهم بالمغفرة والرحمة، فالله جل وعلا سيستجيب لهم لأنهم مؤمنون كما قال في الآية الكريمة.

القول الثاني:

أن ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في محل رفع فاعل، والمعنى: ويجيب الذين آمنوا ربهم فيما دعاهم إليه.

وإليه ذهب جماعة من المفسرين، ومنهم: ابن أبي زمنين[1]، وأبو حيان[2]، والخازن[3]، والسعدي[4].

واستُدل له بما ورد في كتاب الله من نصوص توافق هذا المعنى، ومن ذلك:

قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال:٢٤] [5].

وقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنعام:٣٦] [6].

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٧٩).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٣٧).

(٣) ينظر: لباب التأويل (٤/ ١٠٠).

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨١٨).

(٥) استشهد بهذه الآية أبو حيان في تفسيره (٩/ ٣٣٧).

(٦) ذكر الآية ابن كثير في تفسيره (٧/ ٢٠٦).

◊ **الترجيـــــح:**

يظهر لي -والله أعلم- أن الراجح في المسألة ما ذهب إليه القرطبي ومن وافقه من عامة المفسرين، ومما يؤيد ذلك زيادة على ما تقدم ذكره:

أولا: إمامة القائلين به، ويكفي في ذلك أنه فهم ابن عباس { حبر الأمة، ومعاذ بن جبل رضي الله عنه[1].

ثانياً: دلالة القرآن على هذا المعنى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾[آل عمران:١٩٥] [2].

إلا أن هذا لا يمنع - والله أعلم - من جواز القول الثاني أيضاً، بدلالة النصوص القرآنية التي أفادت استجابة المؤمنين لربهم سبحانه وتعالى، لذا فقد جوّز بعض أهل التفسير كلا القولين[3].

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.

---

(١) ينظر: تفسير ابن جزي (٤/ ٣٦)، فقد استدل بهذا على ترجيحه.

(٢) وممن استدل بهذا: الفراء في معانيه (٣/ ٢٤).

(٣) منهم: الفراء في معانيه (٣/ ٢٤)، والنحاس في معانيه (٦/ ٣١٢، ٣١٣)، والسمين في الدر (٦/ ٨١)، والبيضاوي (٢/ ٣٦٣)، وأبو السعود (٦/ ١٨)، وابن عاشور ص(٩١).

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ ﴾.

۞ مسألة: من المخاطب في الآية؟

◈ ترجيح القرطبي:

رجَّح الإمام القرطبي ~ أن الخطاب للمؤمنين، حيث يقول: « قال علماؤنا: وهذا في حق المؤمنين، فأما الكافر فعقوبته مؤخرة إلى الآخرة.

وقيل: هذا خطاب للكفار، وكان إذا أصابهم شرٌّ قالوا: هذا بشؤم محمد، فرد عليهم وقال: بل ذلك بشؤم كفركم. والأول أكثر وأظهر وأشهر » ا.هـ [(١)].

◈ الدراسة والمناقشة:

وافق القرطبي في ترجيحه المروي عن ابن عباس[(٢)]، وقتادة[(٣)]، وقول الطبري[(٤)]، وابن أبي حاتم[(٥)]، والنحاس[(٦)]، والسمرقندي[(٧)]، وابن أبي زمنين[(٨)]، والواحدي[(٩)]، والبغوي[(١٠)]، وابن عطية[(١١)]، وابن الجوزي[(١٢)]،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٨٠).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ١٥١).

(٣) المصدر السابق (١١/ ١٥٠).

(٤) ينظر: جامع البيان (١١/ ١٥٠).

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم (١٠/ ٣٢٧٨، ٣٢٧٩).

(٦) ينظر: معاني القرآن (٦/ ٣١٧).

(٧) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٢٤٤).

(٨) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٨٠).

(٩) ينظر: الوسيط (٤/ ٥٤، ٥٥).

(١٠) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١١٤).

(١١) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٣٧).

(١٢) ينظر: زاد المسير (٧/ ١١٩).

ووافقهم ابن كثير[١]، والسيوطي[٢]، والقاسمي[٣].

ورجح الطاهر ابن عاشور أن الخطاب في هذه الآية للمشركين، حيث يقول: « والخطاب للمشركين ابتداء لأنهم المقصود من سياق الآيات كلها وهم أولى بهذه الموعظة لأنهم كانوا غير مؤمنين بوعيد الآخرة ويشمل المؤمنين بطريق القياس وبما دلَّ على شمول هذا الحكم لهم من الأخبار الصحيحة ومن آيات أخرى »[٤].

وذهب ابن جزي[٥]، والشوكاني[٦] إلى أن اللفظ عام، فالخطاب للمؤمنين والمشركين.

◊ الترجيـــــح:

الذي يظهر لي - والعلم عند الله - أن ما ذهب إليه القرطبي ومن معه هو الراجح، وذلك لما يلي:

أولاً: إمامة القائلين به، ومنهم ترجمان القرآن وحبر الأمة.

ثانياً: القاعدة الترجيحية دالة عليه، وهي: « تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم »[٧].

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٠٧-٢٠٩).

(٢) ينظر: الدر لمنثور (٧/ ٣٠٦، ٣٠٧).

(٣) ينظر: محاسن التأويل (٨/ ٣٥٢٤).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٢٥/ ٩٩).

(٥) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٣٧).

(٦) ينظر فتح القدير (٧/ ٧٠٥).

(٧) قواعد الترجيح للحربي(١/ ٢٧١).

قوله تعالى: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

۞ مسألة: لمن الخطاب في الآية؟

◊ ترجيح القرطبي:

ذكر القرطبي ~ قولاً واحداً في أن الآية خاصة وليست عامة، حيث يقول عند تفسيره للآية: «... والخطاب للمشركين» ا.هـ [1].

◊ الدراسة والمناقشة:

ذهب القرطبي إلى أن الخطاب للمشركين، أي أن الآية خاصة وليست لعموم الناس، وهذا القول مخالف لقول جمهور المفسرين[2] على أن الآية لعموم الناس، قال الإمام الطبري ~ : « فما أعطيتم أيها الناس من شيء من رياش[3] الدنيا من المال والبنين فمتاع الحياة الدنيا »[4].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٨٤).

(٢) ومنهم: الطبري في جامعه (١١/ ١٥٤)، والسمرقندي (٣/ ٢٤٦)، والواحدي (٤/ ٥٧)، والسمعاني (٥/ ٨٠)، والبغوي (٤/ ١١٥)، والزمخشري (٤/ ٢٢٢)، وابن الجوزي (٧/ ١٢٠)، والبيضاوي (٢/ ٣٦٤، ٣٦٥)، والنسفي (٣/ ٢٥٧)، وأبي حيان (٩/ ٣٤٢)، وابن كثير (٧/ ٢١٠)، والمحلي (١/ ٦٤٤)، وأبي السعود (٦/ ٢٠، ٢١)، والشوكاني (٤/ ٧٠٧)، والألوسي ص(٦٢)، والسعدي ص(٨٢٠).

(٣) قال القتيبي: الرِّيش والرِّياش وهما ما ظهر من اللباس، وقيل: الرِّياش هو الأثاث من المتاع ما كان من لباس أو حشو على فراش أو دثار والرِّيش المتاع والأموال، والرِّياش: الخِصب والمعاش والمال والأثاث واللباس الحسن الفاخر.
ينظر: لسان العرب (٦/ ٣٠٩)، النهاية في غريب الحديث (٢/ ٢٨٨).

(٤) ينظر: جامع البيان (١١/ ١٥٤).

وقال البغوي: « فيه بيان أن المؤمن والكافر يستويان في أن الدنيا متاع لهم يتمتعان بها فإذا صارا إلى الآخرة كان ما عند الله خير للمؤمن »[1].

وقال جلال الدين المحلي: « فما أوتيتم خطاب للمؤمنين وغيرهم »[2].

وقال الألوسي: « والظاهر أن الخطاب للناس مطلقاً »[3].

◈ الترجيـــــح:

إذا تقرر هذا فإن قول جمهور المفسرين هو الأولى بالصواب، لأن العموم في اللفظة هو الأولى ، وعليه القاعدة الترجيحية من أنه « يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد دليل على التخصيص »[4]، ويكون ما ذهب إليه القرطبي مرجوحاً.

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.



---

(١) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١١٥).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين (١/ ٦٤٤).

(٣) ينظر: روح المعاني ص(٦٤٠).

(٤) ينظر : الرسالة للشافعي ص(٢٠٧)، والإيضاح لمكي ص(١٠١)، وقواعد التفسير للحربي (٢/ ٥٢٧).

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

۞ مسألة: في دعوى النسخ في الآية، وهل هي عامة أم مخصوصة؟

◊ ترجيح القرطبي:

ذهب القرطبي ~ إلى أن الآية محكمة غير منسوخة، وأنها عامة في رد كل بغي وظلم وعدوان، فقال ~ بعد أن ذكر قول ابن العربي: «...قلت: هذا حسن...». ثم ذكر قول ابن حجر، وعقب عليه بقوله: «وهو راجع إلى العموم على ما ذكرناه» ا.هـ [1].

◊ الدراسة والمناقشة:

هذه الآية وردت ضمن آيات بيَّن الله تعالى فيها بعض أوصاف المؤمنين، وقد ذكر منها:

اجتنابهم الكبائر، والاستغفار إن وقعوا في معصية، واستجابتهم لربهم، وإقامتهم للصلاة، والتشاور فيما بينهم، وإنفاقهم في وجوه الخير.

وفي هذه الآية: يذكر الله جل وعلا صفة أخرى من صفاتهم وهي: أنهم إذا بغى[2] عليهم باغٍ، واعتدى عليهم فإنهم ينتصرون ممن بغى عليهم.

وقد اختلف أهل التفسير في حكم هذه الآية بين العموم والخصوص، والإحكام والنسخ، وفي المراد مَنِ الباغي الذي حمد الله تعالى المنتصر منه بعد بغيه عليه، على أقوال يمكن حصرها فيما يلي:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٨٩، ٤٩٠).

(٢) البغي: يطلق على الجور والظلم والتطاول، يقال: ما أخذ أحدهما من صاحبه بغير وجه حق فهو بغي. ويطلق أيضا على الطلب، تقول: بغيت الشيء أبغيه بغاء وابتغيته: طلبته.
ينظر: العين (٨/ ٤٥٣)، والمحكم (٦/ ٢٧)، ولسان العرب (١٤/ ٧٥-٧٧)، والمصباح المنير (١/ ٥٧).

القول الأول:

ما ذهب إليه القرطبي ~ إلى أن الآية عامة في كل من انتصر ممن بغى عليه، سواء كان الباغي مسلماً أم مشركاً، وعليه فإن الآية محكمة غير منسوخة.

وهو معنى ما روى أسباط[(١)] عن السدي[(٢)]، ورُوِيَ عن إبراهيم النخعي[(٣)] أنه قال: كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم للفساق، فيجترئوا عليهم[(٤)].

ووافق القرطبي في القول والإحكام جمهور المفسرين[(٥)]، مستدلين بأن الآية

---

(١) أسباط بن نصر الهمداني، أبو يوسف، ضعفه أبو نعيم، وقال: أحاديثه عامية سقط مقلوبة الأسانيد، وكذا ضعفه ابن حنبل، وذكره ابن حبان في ثقاته، وقال ابن حجر: صدوق كثير الخطأ، يغرب، وهو من رجال مسلم.

ينظر: الجرح والتعديل(٢/ ٣٣٢)، وتهذيب الكمال (٢/ ٣٥٧-٣٥٩)، والتقريب ص(٩٨).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ١٥٥)، والنحاس في ناسخه (٢/ ٦٢٢).

(٣) إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي، أبوعمران الكوفي، إمام حافظ، فقيه محدث، توفي سنة(١٩٦هـ).

ينظر: تاريخ البخاري(١/ ٣٣٣)، والحلية(٢/ ٣٥٧-٣٥٩)، وطبقات الحفاظ(ص٢٥).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٢٧٩)، وذكره البخاري في صحيحه معلقاً (كتاب المظالم والغصب) باب الانتصار من الظالم (٢/ ٨٦٣)، وذكر معناه الفراء في معانيه (٣/ ٢٥)، والزجاج (٤/ ٤٠١) ولم ينسباه لأحد.

(٥) ذهب عامة أهل التفسير إلى أن الآية محكمة غير منسوخة، وأنها عامة في رد كل بغي وظلم وعدوان، وقد نسب هذا القول إلى الأكثرين الكرمي في ناسخه ص(١٨٤).

وممن فسّر الآية بالأحكام والعموم: الفراء (٣/ ٢٥)، والطبري (١١/ ١٥٥)، والزجاج (٤/ ٤٠١)، والسمرقندي (٣/ ٣٤٧)، والثعلبي (٥/ ٤٠٠)، والواحدي (٤/ ٥٨)، والسمعاني (٥/ ٨٢)، والزمخشري (٤/ ٢٢٢)، وابن العربي في أحكامه (٤/ ٩٢، ٩٣)، وفي الناسخ والمنسوخ (٢/ ٣٥٦، ٣٥٧)، وابن تيمية في الفتاوى (١٥/ ١٧٤)، وابن الجوزي في نواسخ القرآن ص(٤٥٣)، والبيضاوي (٢/ ٣٦٥)، والنسفي (٣/ ٢٥٨)، وأبو حيان (٩/ ٣٤٤)، وابن كثير (٧/ ٢١١)، والثعالبي (٣/ ١٣٤)، وأبو السعود (٦/ ٢١)، والشوكاني (٤/ ٧، ٨)، والسعدي ص(٨٢).

عامة غير مخصوصة، فالأولى بقاء الأمر على عمومه[1].

وقد أورد البعض إشكالين في الآية:

الإشكال الأول: يفهم من هذا المعنى أن الانتصار للنفس محمود، فهل هو كذلك؟

ويجاب عنه بأن يقال: إن في إقامة الظالم على سبيل الحق، وعقوبته بما هو له أهل، دون إسراف أو مجاوزة في الحد الذي أمر الله به، لاشك أن في ذلك أعظم المدح؛ لأنه ضد العجز الذي نهي عنه، وفيه طاعة الله تعالى، وكل مطيع محمود[2].

الإشكال الثاني: كيف يجمع بين هذه الآية التي ظاهرها الثناء على من انتصر، وبين الآيات الكثيرة[3] التي وردت في أجر من عفا وأصلح؟

وقد أجاب أهل العلم على هذا الإشكال بجوابين:

أحدهما: أن البغي إما أن يكون ممن أعلن فجوره، وطغت أذيته للصغير والكبير، وإما أن يكون ممن وقع في زلة وفلتة، وأقر بذنبه وبغيه.

فالأول الانتصار في حقه أولى، والثاني العفو في حقه أفضل، وبهذا يتم الجمع بين الآيات في الباب[4].

---

(١) قاله النحاس في ناسخه (٢/ ٦٢٢)، وينظر: تفسير الطبري (١١/ ١٥٥).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١١/ ١٥٥)، ومعاني الزجاج (٤/ ٤٠١)، وأحكام الجصاص (٥/ ٢٦٣)، وأحكام الكيا الهراسي (٤/ ٣٦٦)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (١٦/ ٣٧)، وتسهيل ابن جزي (٤/ ٤٠).

(٣) منها قوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى].

وقوله: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وقوله ﷻ: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور] وغيرها من الآيات.

(٤) ينظر: أحكام ابن العربي (٤/ ٩٢، ٩٣) وتفسير ابن عادل (١٧/ ٢١١)، وتفسير أبي السعود (٦/ ٢١)، والألوسي (٢٥/ ٦٤، ٦٥).

وثانيهما: أن الانتصار يكون بإظهار القدرة على الانتقام، ثم يقع العفو بعد ذلك، فيكون أتمّ وأكمل، ومنه قول النخعي في هذه الآية: كانوا يكرهون أن يستذلوا، فإذا قدروا عفواً، وقال مجاهد: كانوا يكرهون للمؤمن أن يذل نفسه فتجترئ عليه الفساق، فالمؤمن إذا بغي عليه يظهر القدرة على الانتقام، ثم يعفو بعد ذلك[1].

القول الثاني:

ما ذهب إليه جماعة من العلماء من أن الآية خاصة في بغي المشرك على المؤمن فقط، بمعنى: أن الله تعالى أباح للمؤمن الانتصار من الكافر الذي ظلمه دون تعدٍ، وإن عفا وأصلح فله الأجر، ثم نسخ جميع ذلك بجهاد الكفار وقتالهم.

وقد نقله النحاس عن ابن زيد[2]، وبمعناه قال ابن عباس[3]، وعطاء[4].

ويظهر من تفسير ابن أبي زمنين للآية اختياره لهذا القول[5]، وفسّر ابن عطية الآية على أنها خاصة في المؤمنين لكن على وجه الإحكام، ثم قال: « وهذا القول أنزه وأقرب إلى الله تعالى»[6]، محتجاً بحديث النبي ﷺ: «أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن

---

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (١/ ٣٥١).

(٢) روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: « وذلك أن المشركين بغوا على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه، وآذوهم، وأخرجوهم من مكة، فأذن الله لهم بالخروج، ومكن لهم في الأرض، ونصرهم على من بغى عليهم ». ذكره القرطبي في تفسيره (١٨/ ٤٨٩)، ثم قال: « وذلك قوله في سورة الحج: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ وينظر: تفسير أبي حيان (٩/ ٣٤٤).

(٣) أخرج ابن جرير في تفسيره (١١١٥٦)، بسنده عن ابن زيد قال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ من المشركين، ﴿فَمَنْ عَفَا﴾ ليس أمركم أن تعفوا عنهم لأنه أحبهم، ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ ثم نسخ هذا كله، وأمره بالجهاد.

(٤) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ١١٥)، والخازن (٤/ ١٠٢).

(٥) ينظر: تفسيره (٢/ ٢٨١)، فلم يفسر الآية إلا بهذا المعنى.

(٦) المحرر الوجيز (٥/ ٤٠).

من خانك»[1].

القول الثالث:

أن هذه الآية خاصة في المسلمين، وقد أثبتت الانتصار بعد البغي، ثم نسخ هذا الحكم بالآية اللاحقة وهي قوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ قاله ابن حزم[2]، وابن البارزي[3].

---

(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه أبو داود في سننه كتاب البيوع، باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده (٣/ ٢٩٠) (ح٣٥٣٥) والترمذي في سننه كتاب البيوع (٣/ ٥٦٤)، (ح١٢٦٤) وحسّنه، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٦٧٥): « حسن صحيح ».

والحديث وإن كان صحيحاً إلا أنه لا يُحتج به في هذا الباب؛ لأن الحديث إنما ورد في شأن خاص، وهو: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يسأله: هل يزني بحرمة من زنا بحرمته، فقال له النبي ﷺ ذلك، يريد به الزنا. ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٤٠).

قال الترمذي بعد روايته للحديث: « وقد ذهب بعض أهل العلم إلى هذا الحديث، وقالوا: إن كان للرجل على آخر شيء فذهب به فوقع له عنده شيء ليس له أن يحبس عنه بقدر ما ذهب له عليه، ورخص فيه بعض أهل العلم من التابعين، وهو قول الثوري، وقال: إن كان له عليه دراهم فوقع له عنده دنانير، ليس له أن يحبس بمكان دراهمه إلا أن يقع عنده له دراهم، فله حينئذ أن يحبس من دراهمه بقدر ماله عليه» انتهى.

وينظر: التمهيد لابن عبد البر (٢٠/ ١٥٩، ١٦٠).

(٢) ينظر: الناسخ والمنسوخ (٢/ ٦٢٢).

وابن حزم هو: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، أبو محمد الأندلسي الظاهري، كان إليه المنتهى في الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب، وكان ضليعاً في اللغة والأدب، توفي سنة (٤٥٦هـ).

ينظر: معجم الأدباء (٣/ ٥٤٦-٥٤٨)، والعبر (٣/ ٢٤١)، والبلغة (١٤٦، ١٤٧).

(٣) ينظر: الناسخ والمنسوخ (٢/ ٦٢٢).

وابن البارزي هو: هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم الجهني، أبو القاسم الشافعي، انتهت إليه رئاسة المذهب الشافعي، كان صاحب تصانيف، مع عبادة وتواضع ولطف، واختلاف، ورسوخ في العلم، =

وذكره ابن الجوزي[1]، ورده بأن « التحقيق أنها محكمة لأن الانتصار مباح والتصبر والغفران فضيلة » وهو كما قال، كما تقدم بيانه.

◊ الترجيح:

الصحيح من أقوال أهل العلم في المسألة - والله أعلم- ما ذهب إليه القرطبي وجمهور أهل العلم.

أما دعوى النسخ في الآية فغير صحيح، لأن النسخ لا يثبت إلا بخبر يقطع العذر، أو حجة يجب التسليم لها، فالنسخ لا يثبت مع الاحتمال إلا بثبوت التصريح بنسخها، أو انتفاء حكمها من كل وجه، وامتناع الجمع بينها وبين ناسخها[2].

وأما العموم فيدل عليه عدة أدلة منها:

١-أن الله تعالى قال بعد هذه الآية بعدة آيات تأكيداً لهذا الحكم العام: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾[3].

٢-سبب نزول الآية: فقد ذكر بعض علماء التفسير أن الآية نزلت في الصديق ﷺ، عندما سبّه رجل من الأنصار، فردّ عليه، فنزلت الآية[4].

٣-قصة عائشة مع زينب بنت جحش -رضي الله عن الجميع-، عندما سبتها

= توفي سنة (٧٨٣هـ).

ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢/ ٣٩٨، ٣٩٩)، ومعجم المحدثين للذهبي (١/ ٢٩١، ٢٩٢)، والدرر الكامنة (٦/ ١٦٧- ١٦٩).

(١) في كتابه: المصفي ص(٥١)، وينظر: نواسخ القرآن له ص(٤٥٢)، والناسخ والمنسوخ للكرمي ص(١٨٤).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح للحربي (١/ ٧٢).

(٣) أفادت الآية أن كل من انتصر ممن ظلمه لا سبيل عليه ولا حرج.

(٤) ذكره الفراء في معانيه (٣/ ٢٥)، والزجاج أيضاً في معانيه (٤/ ٤٠١).

زينب فردت عليها عائشة فأفحمتها[1]، فلم تُنه عن ذلك.

دلّ الأثران الأخيران على جواز الانتصار من الباغي، أو الظالم وإن كان مسلماً، إلا أن العفو عند المقدرة أعظم أجراً، وأرفع قدراً، كما قال تعالى في الآية اللاحقة: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ .

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.

---

(١) أخرج القصة أبو داود في سننه كتاب الأدب، باب في الانتصار (٤/ ٢٧٤) (ح٤٨٩٨) الطبري في تفسيره (١١/ ١٥٦) بلفظ مطوّل.

والإسناد حسّنه الحافظ ابن حجر في الفتح (٥/ ٩٩)، وضعفه ابن كثير في تفسيره (٧/ ٢١١) بعلي بن زيد بن جدعان، قال: يأتي في رواياته بالمنكرات غالباً.

قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾.

۞ مسألة: هل السيئة الثانية حقيقة أم مجازاً؟

◊ ترجيح القرطبي:

رجَّح الإمام القرطبي ~ أن السيئة الثانية سيئة في اللفظ دون المعنى، حيث يقول: « وسمي الجزاء سيئة، لأنه في مقابلتها، فالأول ساء هذا في مال أو بدن، وهذا الإقتصاص يسوءه بمثل ذلك أيضاً » ا.هـ [1].

◊ الدراسة والمناقشة:

اختلف المفسرون في السيئة الثانية المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ على قولين:

القول الأول:

أن الأولى سيئة حقيقة في اللفظ والمعنى، والثانية سيئة في اللفظ، وليست في المعنى سيئة، ولا الذي عملها مسيء.

وذكروا في سبب تسميتها سيئة أقوال:

١-لأنها مجازاة لسوء، فإنما يجازى السوء بمثله، والمجازاة به غير سيئة توجب ذنباً، قاله: « الزجاج »[2].

٢-سُميت سيئة لازدواج الكلام[3]، ليُعلم أنها جزاءٌ على الأولى، قاله:

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٩١).

(٢) معاني القرآن (٤/ ٤٠١).

(٣) المزاوجة والإزدواج بمعنى، وازدوج الكلام وتزاوج أشبه بعضه بعضاً في السجع، أو الوزن، أو كان =

« النحاس والسمعاني »[(١)].

٣-أنه لما قابل بها السيئة أجرى عليها اسمها، قاله: « الجصاص »[(٢)].

٤-سميت بذلك على طريق المشاكلة[(٣)] لتشابهما في الصورة، ذكره: « الشوكاني والألوسي، والشنقيطي »[(٤)].

قال ابن عطية: « وقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾ قال الزجاج: سمي العقوبة باسم الذنب. قال: وهذا إذا أخذنا السيئة في حق الله تعالى بمعنى المعصية، وذلك أن المجازاة من الله تعالى ليست سيئة إلا بأن سميت باسم موجبتها »[(٥)].

= لإحدى القضيتين تعلق الأخرى.

ينظر: لسان العرب (٢/ ٢٩١)، تاج العروس للزبيدي (٦/ ٢٤)، التعاريف للمناوي (١/ ٥٣).

(١) معاني القرآن (٦/ ٣٢٢)، تفسير القرآن (٥/ ٨٢).

(٢) أحكام القرآن (١/ ٣١).

والجصاص هو: أحمد بن علي الجصاص، أبو بكر الرازي، الإمام الفقيه الحنفي الزاهد، صاحب أحكام القرآن، وكان إمام الحنفية في وقته، توفي سنة (٣٧٠هـ).

ينظر: طبقات المفسرين للدنه وي ص(٨٤)، والأعلام (١/ ١٧١).

(٣) المشاكلة : لغة: المماثلة... اصطلاحاً: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً، فالأول كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ إذ الجزاء على السيئة ليس بسيئة في الحقيقة لكنه سمي سيئة للمشاكلة اللفظية.

ينظر: علوم البلاغة لأحمد مصطفى المراغي ص(٣٠١، ٣٠٢)، البلاغة فنونها وأفانينها لفضل حسين عباس ص(٢٩٤).

(٤) فتح القدير (٤/ ٧٠٨)، روح المعاني (٢٥/ ٦٦)، أضواء البيان (٣/ ٤٦٤).

(٥) المحرر الوجيز (٥/ ٤٠).

القول الثاني:

كلتا الفعلتين الأولى وجزاؤها سيئة؛ لأنها تسوء من تنزل به، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾[النساء:٧٨] ، يريد ما يسوءهم من المصائب والبلايا، والمعنى: أنه يجب إذا قوبلت الإساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة، وهو قول: « الزمخشري » ووافقه الرازي على ذلك(١).

قال ابن عطية: « وأما إن أخذنا السيئة بمعنى المعصية في حق البشر، أي يسوء هذا هذا ويسوء الآخر، فلسنا نحتاج إلى أن نقول سمى العقوبة باسم الذنب، بل الفعل الأول والآخر سيئة » (٢).

◊ **الترجيـــــح:**

يظهر لي – والله تعالى أعلم- أن قول القرطبي ومن وافقه من المفسرين هو الراجح، وذلك لما يلي:

١-أن هذا القول هو الأشهر.

٢-أن هذا القول قال به أكثر المفسرين، وهو قول أهل اللغة وعلماء البلاغة(٣).

قال الطبري ~ : « ومعلوم أن الأولى من صاحبها سيئة إذ كانت من لله تبارك وتعالى معصية، وأن الأخرى عَدْلٌ، لأنها من الله جزاء للعاصي على المعصية، فهما – وإن اتفق لفظاهما- مختلفتا المعنى، وكذلك قوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:١٩٤] فالعدوان الأول ظلمٌ، والثاني جزاءٌ لا ظلمٌ، بل هو عدلٌ؛ لأنه عقوبة للظالم على ظلمه، وإن وافق لفظه لفظ الأول، وإلى مثل هذا المعنى وجَّهوا كلَّ ما في القرآن

---

(١) الكشاف (٤/ ٢٢٢، ٢٢٣)، التفسير الكبير (٩/ ١٦١).

(٢) المحرر الوجيز (٥/ ٤٠).

(٣) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني (٥/ ٢٨)، علوم البلاغة للمراغي ص(٣٠٢)، البلاغة فنونها وأفانينها لفضل حسين ص(٢٩٤).

من نظائر ذلك مما هو خبرٌ عن مكر الله جلَّ وعزَّ بقومٍ، وما أشبه ذلك »[١].

قال الشنقيطي: « من أساليب اللغة العربية المشاكلة بين الألفاظ فيؤدي لفظ بغير معناه الموضوع له مشاكلة للفظ آخر مقترن به الكلام »[٢].

٣-أن هذا القول تؤيده القاعدة الترجيحية النَّاصَّة على أنه: « يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر » [٣].

أما بالنسبة للأنواع المذكورة في سبب تسمية الثانية بالسيئة فإن فيها من التقارب، وهذه الأنواع هي من أنواع علم البديع[٤]، ولكل منها مدلوله، وعليه فإن وقوع التسمية إما للمجازاة أو الازدواج أو للمشاكلة اللفظية وهذا باب واسع في العربية كثير في القرآن.

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.

---

(١) جامع البيان (١/ ١٦٦).

(٢) أضواء البيان (٣/ ٤٦٤).

(٣) قواعد الترجيح للحربي (٢/ ٣٦٩).

(٤) علم البديع هو: علم تعرف به الوجوه والمزايا التي تكسب الكلام حسناً وقبولاً... ينظر: علوم البلاغة للمراغي ص(٣٩٥).

قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾﴾.

۞ مسألة: المراد بأهليهم في الآية.

◊ ترجيح القرطبي:

رجَّح الإمام القرطبي ~ أن المراد بأهليهم أي: الذين كانوا أهليهم في الدنيا، حيث يقول: « أي: يقول المؤمنون في الجنة لما عاينوا ما حلَّ بالكفار: إن الخسران في الحقيقة ما صار إليه هؤلاء، فإنهم خسروا أنفسهم لأنهم في المخلّد، وخسروا أهليهم لأن الأهل إن كانوا في النار فلا انتفاع بهم، وإن كانوا في الجنة فقد حيل بينه وبينهم، وقيل: خسران الأهل أنهم لو آمنوا لكان لهم أهل في الجنة من الحور العين » ا.هـ [(١)].

◊ الدراسة والمناقشة:

ما ذهب إليه القرطبي في ترجيحه هذا، هو قول البغوي[(٢)]، وأبو حيان[(٣)]، وابن كثير[(٤)]، والسعدي[(٥)].

وقدَّم هذا القول الشوكاني[(٦)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٩٨-٤٩٩).

(٢) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١١٦).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٤٧).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢١٥).

(٥) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨٢١).

(٦) ينظر: فتح القدير (٤/ ٧١١).

وهو ظاهر عبارة السمرقندي[1]، والفخر الرازي[2]، والبيضاوي[3]، وأبي السعود[4]، والألوسي[5].

ورُوي عن قتادة[6]، والسدي[7]، أن المراد: أهليهم في الجنة من الحور العين.

وذهب إلى هذا القول، الطبري[8]، والسمعاني[9]، وجلال الدين المحلي[10].

(١) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٢٤٨).

(٢) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ١٦٥).

(٣) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٦٦).

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/ ٢٢).

(٥) ينظر: روح المعاني (٢٥/ ٧٠).

(٦) ذكره النحاس في معانيه (٦/ ٣٢٤).

(٧) أخرجه الطبري في جامعه (١١/ ١٦٠).

(٨) ينظر: جامع البيان (١١/ ١٦٠).

(٩) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ٨٤).

(١٠) ينظر: تفسير الجلالين (١/ ٦٤٥).

◊ **الترجيـــــح:**

الذي يظهر لي -والله أعلم- أن حمل اللفظة على العموم هو الأولى، وأن كلا القولين محتمل، ولا تعارض بينهما، فإن من أدخل النار فقد خسر أهله الذين كانوا معه في الدنيا، وخسر أهله الذين في الجنة، وخسر نفسه قبل هذا كله، وذلك الخسران المبين، نعوذ بالله من ذلك الخسران.

ويؤيد هذا القاعدة الترجيحية النَّاصَّة على أنه: « يجب حمل نصوص الوحي على العموم مالم يرد نص بالتخصيص »[1].

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.

(١) قواعد الترجيح للحربي (٢/ ٥٢٧).

قوله تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾.

۞ **مسألة: المراد باليوم في قوله تعالى:** ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ﴾.

◊ ترجيح القرطبي:

رجح القرطبي أن المراد باليوم أي يوم القيامة، حيث يقول: « يريد يوم القيامة » ا.هـ[1].

◊ الدراسة والمناقشة:

وافق القرطبي في اختياره هذا المروي عن مقاتل[2]، وقول الطبري[3]، وابن أبي زمنين[4]، والبغوي[5]، وابن عطية[6]، وابن الجوزي[7]، ووافقهم النسفي[8]، والنيسابوري[9]، وابن كثير[10]، والسعدي[11].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٥٠٠).

(٢) ينظر: تفسير مقاتل (٣/ ١٨٢).

(٣) ينظر: جامع البيان (١١/ ١٦٠).

(٤) ينظر: تفسيره (٢/ ٢٨٢).

(٥) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١١٧).

(٦) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٤٢).

(٧) ينظر: زاد المسير (٧/ ١٢٤).

(٨) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٦٠).

(٩) ينظر: غرائب القرآن (٦/ ٨٠).

(١٠) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢١٥).

(١١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨٢٢).

وهو ظاهر عبارة السمرقندي[١]، والزمخشري[٢]، وأبي السعود[٣].

واستدل له ابن كثير[٤]، وقدَّمه الشوكاني[٥].

ورجحه أبو حيان[٦]، والألوسي[٧].

وذهب الفخر الرازي إلى أن المراد به يوم ورود الموت، وذكر ذلك بصيغة التمريض[٨].

◈ الترجيـــح:

يظهر لي والله أعلم أن قول القرطبي ومن معه هو الأولى بالصواب، لأنه المتبادر من لفظ الآية، وتؤيده القاعدة الترجيحة النَّاصَّة على أن « القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه »[٩].

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.



---

(١) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٢٤٩).

(٢) ينظر: الكشاف (٤/ ٢٢٥).

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/ ٢٢).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢١٥)، حيث قال يرحمه الله : « لما ذكر تعالى ما يكون في يوم القيامة من الأهوال والأمور العظام الهائلة، حذَّر منه وأمر بالاستعداد له..، ثم استدل على معنى الآية بقوله تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾ [القيامة: ١٠-١٢].

(٥) ينظر: فتح القدير (٤/ ٧١٢).

(٦) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٤٧).

(٧) ينظر: روح المعاني ص(٧١).

(٨) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ١٦٥).

(٩) قواعد الترجيح للحربي (١/ ٢٩٩).

قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ ﴾.

۞ مسألة: المراد بالإنسان في الآية.

◊ ترجيح القرطبي:

رجَّح الإمام القرطبي ~ أن المراد بالإنسان، أي: الكافر، حيث يقول: «﴿ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ الكافر » ا.هـ [1].

◊ الدراسة والمناقشة:

وافق القرطبي في قوله هذا قول مقاتل[2]، وابن أبي زمنين[3]، وابن الجوزي[4].

وذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد بالإنسان أي: جنس الإنسان، فاللفظة عامَّة تعم الكافر وغيره، وممن ذهب إلى العموم:

السمرقندي[5]، وابن عطية[6]، والبيضاوي[7]، وأبو حيان[8]، وأبو السعود[9]،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٥٠٠).

(٢) ينظر: تفسيره (٣/ ١٨٢).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٨٢).

(٤) ينظر: زاد المسير (٧/ ١٢٤).

(٥) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٢٤٩).

(٦) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٤٢).

(٧) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٦٦).

(٨) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٤٧).

(٩) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/ ٢٢).

والشوكاني[1].

وهو ظاهر عبارة الطبري[2]، والسمعاني[3]، والفخر الرازي[4]، والنسفي[5]، وابن كثير[6]، والقاسمي[7]، والسعدي[8].

واستدل لهذا القول الزمخشري[9]، والألوسي[10].

◊ الترجيـــــح:

الـذي يظهـر لي -والعلـم عنـد الله- أن القـول بـالعموم هـو الـراجح، ويؤيـده القاعدة الترجيحية النَّاصَّة على « أن الأصل في نصوص الوحي أن تحمل على العموم مالم يرد دليل تخصيص »[11].

قال أبو حيان: « والإنسان: يراد به الجنس، ولذلك جاء ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ﴾ وجاء جواب الشرط ﴿فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ ولم يأت فإنه ولا فإنهم، ليدل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم:٣٤]،

---

(١) ينظر: فتح القدير (٤/ ٧١٢).

(٢) ينظر: جامع البيان (١١/ ١٦١).

(٣) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ٨٥).

(٤) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ١٦٦).

(٥) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٦١).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢١٦).

(٧) ينظر: محاسن التأويل (٨/ ٣٥٢٧).

(٨) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨٢٢).

(٩) ينظر: الكشاف (٤/ ٢٢٥).

(١٠) ينظر: روح المعاني (٢٥/ ٧١، ٧٢).

(١١) ينظر: قواعد الترجيح للحربي (٢/ ٥٢٧)، الرسالة للشافعي ص(٢٠٧).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ [العاديات:٦] »[1].

ويعضد هذا القول القاعة الترجيحية النَّاصَّة على « أن القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عُدم ذلك »[2].

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.

(١) البحر المحيط (٩/ ٣٤٧).

(٢) قواعد الترجيح للحربي (١/ ٣١٢).

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ .

في الآية مسألتان:

۞ المسألة الأولى:

ما المراد بقوله تعالى: ﴿رُوحًا﴾؟

◊ ترجيح القرطبي:

ذكر القرطبي في بيان المراد بقوله تعالى: ﴿رُوحًا﴾ ستة أقوال، ثم رجح القول الأخير؛ وذلك بالتعليل له وذكر ما يؤيده حيث يقول ~ : «﴿رُوحًا﴾ أي: نبوة، قاله ابن عباس، الحسن وقتادة: رحمة من عندنا، السدي: وحياً، الكلبي: كتاباً، الربيع: هو جبريل، الضحاك: هو القرآن وهو قول مالك بن دينار[1] وسمَّاه روحاً لأن فيه حياة من موت الجهل.

وجعله من أمره بمعنى: أنزله كما شاء على من يشاء من النَّظم المعجز والتأليف المعجب» أ.هـ[2].

---

(١) مالك بن دينار السامي الناجي مولاهم، أبو يحيى، الزاهد الواعظ أحد الأعلام، وثقه النسائي، وكان أبوه من سبي سجستان وقيل من كابل، توفي سنة (١٢٧هـ) وقيل (١٣٠هـ).

ينظر: تهذيب التهذيب (١٠/ ١٣)، ولسان الميزان (٣/ ٢٣٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٥٠٩).

◊ **الدراسة والمناقشة:**

وافق القرطبي في قوله هذا ابن عباس[(١)]، والضحاك[(٢)]، وابن أبي حاتم[(٣)]، وابن أبي زمنين[(٤)]، والواحدي[(٥)]، والسمعاني[(٦)]، والرازي[(٧)].

ووافقهم في هذا القول ابن جزي[(٨)]، وابن القيم[(٩)]، وابن كثير[(١٠)]، والثعالبي[(١١)]، والسيوطي[(١٢)]، وأبو السعود[(١٣)]، والشوكاني[(١٤)]، والمراغي[(١٥)]، والسعدي[(١٦)]، والشنقيطي[(١٧)].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٢٨٠)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٢٦)، وعزاه السيوطي في الدر (٧/ ٣١٥) إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، ونقل النحاس في معانيه (٦/ ٣٢٨) عن ابن عباس ﴿رُوحًا﴾ النبوة، وينظر: لباب التأويل للخازن (٤/ ١٠٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (٩/ ٣٥١).

(٢) ينظر: تفسير الضحاك (٢/ ٧٤٢).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم (١٠/ ٣٢٨٠).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٨٣).

(٥) ينظر: الوسيط (٤/ ٦١).

(٦) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ٨٨).

(٧) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ١٧٢).

(٨) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٤٢).

(٩) ينظر: بدائع التفسير (٢/ ٤٣٤).

(١٠) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢١٧).

(١١) ينظر: الجواهر الحسان (٣/ ١٣٨).

(١٢) ينظر: الدر المنثور (٧/ ٣١٥).

(١٣) ينظر: تفسيره (٦/ ٢٤).

(١٤) ينظر: فتح القدير (٤/ ٧١٣).

(١٥) ينظر: تفسيره ص(٦٥).

(١٦) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨٢٢).

(١٧) ينظر: أضواء البيان (٧/ ٢١٥).

وهو ظاهر عبارة الزمخشري[١]، والبيضاوي[٢]، والنسفي[٣]، والقاسمي[٤].

وقدَّمه ابن الجوزي[٥].

وذكره بصيغة التمريض السمرقندي[٦]، والخازن[٧].

وذكر جميع الأقوال الثعلبي[٨]، وأبو حيان[٩]، وابن عادل[١٠].

قال السمعاني ~ : « الروح هاهنا هو القرآن سمَّاه روحاً؛ لأنه تحيا به القلوب كالروح تحيا به النفوس، وقيل: إنه النبوة، والأول أشهر »[١١].

وقال العلاَّمة الشنقيطي: « الضمير في قوله: ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾.

راجع إلى القرآن العظيم المذكور في قوله: ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾»[١٢].

---

(١) ينظر: الكشاف (٤/ ٢٢٧).

(٢) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٦٧).

(٣) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٦٢).

(٤) ينظر: محاسن التأويل (٨/ ٣٥٢٩).

(٥) ينظر: زاد المسير (٧/ ١٢٦).

(٦) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٢٥٠).

(٧) ينظر: لباب التأويل (٤/ ١٠٤).

(٨) ينظر: الكشف والبيان (٥/ ٤٠٤).

(٩) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٥١).

(١٠) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (١٧/ ٢٢٣).

(١١) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ٨٨).

(١٢) أضواء البيان (٧/ ٢١٥).

◊ **الترجيـــــح:**

الذي يظهر رجحانه هو أن المراد من قوله تعالى: ﴿رُوحًا﴾ القرآن وهو ما رجحه القرطبي موافقاً في ذلك جمهور المفسرين، ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحة النَّاصَّة على أن « القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه »[1].

ولا يعني هذا بُعد الأقوال الأخرى أو طرحها، فهي تدخل في هذا المعنى ضمناً، فالقرآن الكريم وحيٌ من الله أُوحي به إلى نبيه محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام وهو الكتاب الذي فيه النبوة والرحمة والنور والهداية.

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.

(١) ينظر: قواعد الترجيح للحربي (١/ ٢٩٩).

۞ **المسألة الثانية:**

في ضمير ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ علام يعود؟

◊ **ترجيح القرطبي:**

رجح القرطبي ~ عـود الـضمير إلى « الإيـمان » وإلى «القـرآن» حيـث يقـول: «﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ﴾ قال ابن عباس والضحاك: يعنـي: الإيـمان. الـسدي: القـرآن. وقيـل: الوحي؛ أي: جعلنا هذا الوحي.. ووحد الكنايـة[1] لأن الفعـل في كثـرة أسـمائه بمنزلـة الفعل في الاسم الواحد؛ ألا ترى أنك تقول: إقبالك وإدبارك يعجبني؛ فتوحـد، وهـما اثنان »أ.هـ[2].

◊ **الدراسة والمناقشة:**

ذكر الله جل وعلا الكتاب والإيمان، ثم قال: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا﴾ وحَّـد الـضمير بعد أن ذكر شيئين، وقـد اختلـف أهـل التفسير في هـذا الـضمير، هـل يعـود لواحـد أم للأمرين معاً؟ قولان:

القول الأول:

الضمير مفرد، ويعود إلى مفرد. وهذا قول جمهور أهل العلـم، إلا أنهـم اختلفـوا في الأمر الذي يعود عليه الضمير المفرد على قولين:

الأول: يعود الضمير على الكتـاب، أي القـرآن المـذكور في قولـه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ

---

(١) الكناية: لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ، كقولك: « فلان طويل النجاد »، أي: طويل القامة، « وفلانة نؤوم الضّحى »، أي: مرفهة مخدومة، ولا يمتنع أن يراد مع ذلك طول النجاد، والنوم في الضحى من غير تأويل.

ينظر: الإيضاح للقزويني ص(٢٨٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٥١٥).

﴿إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ ، وهو مروي عن السدي[1]، ومقاتل[2]، وذهب إليه الفراء[3]، والطبري[4]، والزجاج[5]، وابن أبي زمنين[6]، والواحدي[7]، وابن عطية[8]، والرازي[9]، والنسفي[10]، وابن جزي[11]، والسمين الحلبي[12]، وابن كثير[13]، والثعالبي[14]، وأبو السعود[15]، والشوكاني[16]، والألوسي[17]، والقاسمي[18]، والسعدي[19]، والشنقيطي[20].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ١٦٣)، وذكره البغوي (٤/ ١١٨).

(٢) ينظر: تفسير مقاتل (٣/ ١٨٣).

(٣) ينظر: معاني القرآن (٣/ ٢٧).

(٤) ينظر: جامع البيان (١١/ ١٦٣).

(٥) ينظر: معاني القرآن (٤/ ٤٠٤).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٨٣).

(٧) ينظر: الوسيط (٤/ ٦٢).

(٨) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٤٤).

(٩) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ١٧٣).

(١٠) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٦٣).

(١١) ينظر: التسهيل لعلوم لتنزيل (٤/ ٤٣).

(١٢) ينظر: الدر المصون (٦/ ٨٩).

(١٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢١٧).

(١٤) ينظر: الجواهر الحسان (٣/ ١٣٨).

(١٥) تفسير أبي السعود (٦/ ٢٤).

(١٦) فتح القدير (٤/ ٧١٤).

(١٧) روح المعاني ص (٨٠).

(١٨) محاسن التأويل (٨/ ٣٥٢٩).

(١٩) تيسير الكريم الرحمن ص(٨٢٣).

(٢٠) أضواء البيان (٧/ ٢١٥).

وقالوا إن الآية القصد منها الخبر عن الكتاب، والإيمان معطوف عليه[1].

الثاني: يعود على الإيمان، وقد نقله بعض المفسرين عن ابن عباس { والضحاك[2].

ذهب إلى هذا القول السمرقندي[3]، وأبو حيان[4]، ورُجِّح بالأقرب[5].

وهو ظاهر عبارة ابن الجوزي[6]، والعز بن عبد السلام [7]، والبيضاوي[8] والنيسابوري[9]، وقدَّمه القرطبي [10].

القول الثاني:

أن الضمير وإن كان مفرداً إلا أنه يعود على الكتاب والإيمان معاً، قال الفراء: « وجاز أن يقول: جعلناه لاثنين؛ لأن الفعل في كثرة أسمائه يضبطه الفعل، ألا ترى أنك تقول: إقبالك وإدبارك يعجبني، وهما اثنان، فهذا من ذلك » [11].

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ١٦٣)، وإعراب النحاس ص(٨٠٧)، وتفسير السمرقندي (٣/ ٢٥٠).

(٢) ينظر: تفسير البغوي (٤/ ١١٨)، والخازن (٤/ ١٠٤).

(٣) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٢٥٠).

(٤) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٥٢).

(٥) أي: كونه الأقرب إلى الضمير تفسير الألوسي ص(٨٠).

(٦) ينظر: زاد المسير (٧/ ١٢٦).

(٧) ينظر: تفسير العز (٣/ ١٤٨).

(٨) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٦٧).

(٩) ينظر: غرائب القرآن (٦/ ٨٢).

(١٠) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٥١٥).

(١١) معاني القرآن (٣/ ٢٧).

◊ الترجيـــــح:

الكتاب والإيمان كلاهما وُصِفا بالنور والهداية في القرآن الكريم.

فمما ورد في وصف الكتاب بالنور: قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ﴾ [المائدة:١٥-١٦]، وقوله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء]... وغيرها من الآيات.

وقال الله تعالى في وصف الإيمان بالنور: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧]، وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب:٤٣].

إذا تقرر هذا فيصبح عود الضير على الإيمان أو الكتاب، إلا أن الأولى - والله أعلم- عود الضمير على الروح، الذي هو القرآن، لأنه هو المقصود بالخبر، بمعنى: أن الله تعالى يبين لنبيه الكريم ﷺ أنه لم يكن يدري ما الكتاب ولا الإيمان، لولا الوحي الذي أنزله الله إليه، وهو القرآن، الذي جعله نوراً يهدي به من يشاء من عباده.

يقول العلامة الشنقيطي: « الضمير في قوله: ﴿جَعَلْنَـٰهُ﴾ راجع إلى القرآن العظيم المذكور في قوله: ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ »(1).

ويقول الإمام ابن القيم: « وقد اختُلف في الضمير في قوله ﷻ: ﴿وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا﴾ فقيل: يعود على الكتاب. وقيل: على الإيمان، والصحيح أنه يعود على الروح في قوله: ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ »(2).

وهذا لا ينفي دخول الإيمان، لأن الكتاب دليل على الإيمان، ولولا الكتاب لما

---

(١) أضواء البيان (٧/ ٢١٥).

(٢) بدائع التفسير (٢/ ٤٣٤).

وجد إيمان[1].

وإن قيل: هل يصح ذكر شيئين ثم يوحد الضمير ويعود إلى أحدهما؟

فالجواب: نعم وقد نص أهل العلم على ذلك، فقالوا: قد يذكر شيئان، ويعود الضمير على أحدهما، اكتفاءً بذكره عن الآخر، مع كون الجميع مقصوداً[2].

وقد ورد مثل ذلك في القرآن كثيراً، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة:١١]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة:٦٢]، وقوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة:٤٥]... وغيرها من الآيات.

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.

(١) ينظر: تفسير الطبري (١١/ ١٦٣)، والسمرقندي (٣/ ٢٥٠).

(٢) ينظر: البرهان للزركشي (٣/ ١٢٦) و (٤/ ٢٨-٣٠)، والإتقان للسيوطي (١/ ٥٤٩)، والكليات ص(٣٨٦)، وقواعد التفسير للسبت (١/ ٤٠٦-٤٠٩).

ترجيحات الإمام القرطبي الواردة في:

سورة الزخرف

سورة الزخرف(١)

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ⁽٩⁾﴾.

۞ مسألة: من المسؤول والمجيب في الآية؟

◊ ترجيح القرطبي:

رجَّح الإمام القرطبي ~ أن المسؤول في الآية المشركين، وحكى الله جوابهم في قوله: ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ حيث يقول: « قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾

---

(١) السورة مكية وعدد آياتها تسع وثمانون، ونزلت بعد سورة فصلت وقبل سورة الدخان.

اسمها التوقيفي: سورة الزخرف

اشتهرت تسمية هذه السورة بسورة الزخرف، وسميت بها في المصاحف والتفاسير.

وبهذا الاسم ترجم له الترمذي في كتاب التفسير من جامعه.

اسمها الاجتهادي: سورة حم الزخرف

سميت هذه السورة بإضافة كلمة حم إلى الزخرف، وقد سمَّاها بذلك ابن عباس { في قوله: « نزلت بمكة سورة (حم الزخرف) ».

وبهذا الاسم ترجم لها البخاري في كتاب التفسير من صحيحه، وعنون لها الواحدي في وسيطه.

وجه التسمية:

سبب تسمية السورة بسورة الزخرف لأن كلمة ﴿وَزُخْرُفًا﴾ وقعت فيها في قوله تعالى: ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ⁽٣٤⁾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ⁽٣٥⁾﴾، ولم تنفرد هذه السورة بهذا اللفظ إنما ورد أيضا في ثلاث سور وهي:

سورة الأنعام ويونس والإسراء ؛ ولكن هذه التسمية تميزت عن باقي السور بأنها اشتملت على وصف لبعض نعيم الدنيا الفاني وهو (الزخرف) ومقارنته بنعيم الآخرة الخالد؛ ولذلك كان أولى بأن تسمى بهذا الاسم.

ينظر: التحرير والتنوير (٢٥/ ١٥٧)، وأسماء سور القرآن ص(٣٤٠، ٣٤١).

يعني: المشركين ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ فأقرُّوا له بالخلق والإيجاد، ثم عبدوا معه غيره جهلاً منهم » ا.هـ [(١)].

◊ **الدراسة والمناقشة:**

وافق القرطبي في ترجيحه هذا قول الطبري[(٢)]، والسمعاني[(٣)]، والبغوي[(٤)].

ووافقهم البيضاوي[(٥)]، وأبو حيان[(٦)]، وابن كثير[(٧)].

وهو ظاهر عبارة ابن الجوزي[(٨)]، والفخر الرازي[(٩)]، والنسفي[(١٠)]، والشوكاني[(١١)]، والسعدي[(١٢)].

قال الطبري « يقول تعالى ذكره ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين من قومك من خلق السموات والسبع والأرضين ليقولن خلقهن العزيز في سلطانه وانتقامه من أعدائه، العليم بهن وما فيهن من الأشياء لا يخفى عليه شيء » [(١٣)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٩).

(٢) ينظر: جامع البيان (١١/ ١٦٩).

(٣) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ٩٢).

(٤) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٢٠).

(٥) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٦٩).

(٦) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٦٠).

(٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢١٩).

(٨) ينظر: زاد المسير (٧/ ١٢٨).

(٩) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ١٧٧).

(١٠) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٦٥).

(١١) ينظر: فتح القدير (٤/ ٧١٦).

(١٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨٢٤).

(١٣) جامع البيان (١١/ ١٦٩).

وقال أبو حيان: « والظاهر أن ﴿خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٩﴾ نفس المحكي من كلامهم، ولا يدل كونهم ذكروا في مكان خلقهن الله، أن لا يقولوا، في سؤال أخره خلقهن العزيز العليم » [1].

وذهب الزمخشري[2]، وابن عطية[3]، وابن جزي[4]، والمحلي[5]، والطاهر بن عاشور[6]، إلى أن قوله تعالى: ﴿خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٩﴾ من كلام الله تعالى.

وهو ظاهر عبارة أبي السعود، حيث يقول: « أي: ليُسنِدُنَّ خلقها إلى من هذا شأنه في الحقيقة وفي نفس الأمر لا أنهم يعبرون عنه بهذا العنوان وسلوك هذه الطريقة للإشعار بأن اتصافه تعالى بما سرد من جلائل الصفات والأفعال وبما يستلزمه ذلك من البعث والجزاء أمر لا ريب فيه، وأن الحجة قائمة عليهم شاؤا أو أبوا وقد جوز أن يكون ذلك عين عبارتهم قوله تعالى »[7].

---

(١) البحر المحيط (٩/ ٣٦٠).

(٢) ينظر: الكشاف (٤/ ٢٣١، ٢٣٢).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٤٦).

(٤) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٤٥).

(٥) ينظر: تفسير الجلالين (١/ ٦٤٨).

(٦) ينظر: التحرير والتنوير (٢٥/ ١٦٨).

(٧) إرشاد العقل السليم (٦/ ٢٧).

◊ **الترجيـــــح:**

الذي يتبيَّن لي -والعلم عند الله- أن الراجح قول القرطبي وجمهور المفسرين معه، وذلك؛ لأنه الأظهر من حيث اللفظ[1]، ولموافقته للقاعدة الترجيحية النَّاصَّة على أنه « لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه » [2].

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.

---

(١) ينظر: روح المعاني للألوسي (٢٥/ ٨٩).

(٢) قواعد الترجيح للحربي (١/ ١٣٧).

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

في الآية مسألتان:

۞ المسألة الأولى: المراد بالأزواج في الآية.

◊ ترجيح القرطبي:

رجَّح الإمام القرطبي ~ أن المراد بالأزواج العموم، حيث يقول: «﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ ﴾ أي: والله الذي خلق الأزواج، قال سعيد بن جبير: أي: الأصناف كلها، وقال الحسن: الشتاء والصيف، والليل والنهار، والسماوات والأرض، والشمس والقمر، والجنة والنار، وقيل: أزواج الحيوان من ذكر وأنثى، قاله ابن عيسى، وقيل: أراد أزواج النبات، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ [ق:٧]، و ﴿ مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [الشعراء:٧]، وقيل: ما يتقلب فيه الإنسان من خير وشر، وإيمان وكفر، ونفع وضر، وفقر وغنى، وصحة وسقم.

قلت: وهذا القول يعمُّ الأقوال كلها ويجمعها بعمومه » أ.هـ[(١)].

◊ الدراسة والمناقشة:

اختلف المفسرون في المراد بالأزواج على أقوال:

القول الأول:

الأصناف كلها، وهذا القول مروي عن مقاتل[(٢)]، وعن سعيد بن جبير[(٣)]،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١١).

(٢) ينظر: تفسيره (٣/ ١٨٦).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٥/ ٢١٧).

وبنحوه مروي عن ابن عباس { [1]، حيث قال: « الأزواج: الضروب والأنواع كالحلو، والحامض، والأبيض، والأسود، والذكر والأنثى » واختار هذا القول جمع من المفسرين كالزجاج[2]، والنحاس[3]، والسمرقندي[4]، والثعلبي[5]، والسمعاني[6]، والبغوي[7]، وابن عطية[8]، والرازي[9]، وأبي حيان[10]، وابن كثير[11]، والشوكاني[12]، والألوسي[13]، والسعدي[14]، والشنقيطي[15].

القول الثاني:

أزواج الحيوان من ذكر وأنثى، قاله ابن عيسى[16].

---

(١) ذكره عنه في تفسيره الفخر الرازي (٩/ ١٧٨)، والألوسي (٢٥/ ٩٠).

(٢) ينظر: معاني القرآن (٤/ ٤٠٦).

(٣) ينظر: معاني القرآن (٦/ ٣٣٨).

(٤) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٢٥٢).

(٥) ينظر: الكشف والبيان (٥/ ٤٠٧).

(٦) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ٩٢، ٩٣).

(٧) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٢٠).

(٨) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٤٧).

(٩) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ١٧٨).

(١٠) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٦١).

(١١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٢٠).

(١٢) ينظر: فتح القدير (٤/ ٧١٧).

(١٣) ينظر: روح المعاني (٢٥/ ٩٠).

(١٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨٢٤).

(١٥) ينظر: أضواء البيان (٧/ ٢٢٦).

(١٦) ينظر: النكت والعيون (٥/ ٢١٧).

القول الثالث:

أن الأزواج الشتاء والصيف، والليل والنهار، والسموات والأرض، والشمس والقمر، والجنة والنار، قاله الحسن[(١)].

القول الرابع:

أن الأزواج ما يتقلَّب فيه الناس من خير وشر، وإيمان وكفر، وغنى وفقر، وصحة وسقم[(٢)].

وهذا القول هو اختيار القرطبي حيث أنه يعمُّ الأقوال كلَّها ويجمعها بعمومه وممن اختار العموم الواحدي[(٣)]، والعز بن عبد السلام[(٤)]، وابن جزي[(٥)].

---

(١) ينظر: النكت والعيون (٥/ ٢١٧).

(٢) ينظر: المصدر السابق.

(٣) ينظر: الوسيط (٤/ ٦٥).

(٤) ينظر: تفسيره (٢/ ١٨٧).

(٥) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٤٥).

◊ **الترجيـــــح:**

إذا تقرَّر هذا فإن القول بالعموم هو الأولى، وهو ما ذهب إليه القرطبي والجمهور معه، يقول محمد علي الصابوني في تحقيقه للمعاني، بعد أن ذكر قولي سعيد بن جبير والحسن قال: « والأولى أن يقال: خلق جميع الأصناف من الإنسان، والحيوان والنبات، وغير ذلك، فإنه عام يشمل الجميع » (١).

وقال الألوسي: « أي أصناف المخلوقات، فالزوج هنا بمعنى الصنف لا بمعناه المشهور » (٢).

وقال الشنقيطي: « الأزواج الأصناف، والزوج تطلقه العرب على الصنف، وقد بيّن تعالى أن الأزواج المذكورة هنا تشمل أصناف النبات وبني آدم ومالا يعلمه إلا الله » (٣).

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية النَّاصَّة على أنه: « يجب حمل نصوص الوحي على العموم مالم يرد نص بالتخصيص » (٤).

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.

---

(١) معاني القرآن للنحاس (٦/ ٣٣٨)، حاشية (٦).

(٢) روح المعاني (٢٥/ ٩٠).

(٣) أضواء البيان (٧/ ٢٢٦).

(٤) قواعد الترجيح للحربي (٢/ ٥٢٧).

۞ **المسألة الثانية: المراد بالأنعام في قوله تعالى:** ﴿ وَالَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

◊ ترجيح القرطبي:

رجَّح الإمام القرطبي ~ أن المراد بالأنعام الإبل خاصَّة، حيث يقول: «قال سعيد بن جبير: الأنعام هنا الإبل والبقر.

وقال أبو معاذ: الإبل وحدها، وهو الصحيح؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: (بينما رجلٌ راكبٌ بقرةً إذ قالت له: لمْ أُخلَق لهذا، إنما خُلقتُ للحرث).

فقال النبي ﷺ: (آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر) وما هما في القوم » ا.هـ [1].

◊ الدراسة والمناقشة:

وافق القرطبي في ترجيحه هذا قول السمرقندي[2]، والسمعاني[3]، وابن العربي[4]، ووافقهم أبو حيان[5]، والشوكاني[6]، والشنقيطي[7]، وابن عاشور[8]. وهو ظاهر عبارة ابن كثير[9].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٢).

(٢) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٢٥٢).

(٣) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ٩٣).

(٤) ينظر: أحكام القرآن (٤/ ١٠٠).

(٥) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٦١).

(٦) ينظر: فتح القدير (٤/ ٧١٧).

(٧) ينظر: أضواء البيان (٥/ ٨٦٣، ٨٦٤).

(٨) ينظر: التحرير والتنوير (٢٥/ ١٧٢).

(٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٢٠).

يقول السمعاني: « واختلف القول في الأنعام، فذهب مقاتل إلى أنها الإبل والبقر، والقول الثاني: أنها الإبل خاصَّة، وهو الأولى »(1).

وقال ابن العربي: « يعني بذلك الإبل دون البقر؛ لأن البقر لم تخلق لتركب، والدليل عليه الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: (بينما رجل راكب بقرة إذ قالت له: إني لم أُخْلَق لهذا، وإنما خلقت للحرث، فقال رسول الله ﷺ: آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر، وما هما في القوم) »(2).

ويقول الشوكاني: « والمراد بالأنعام هنا: الإبل خاصة، وقيل الإبل والبقر والأول أولى »(3).

ويقول الشنقيطي: « قوله تعالى: ﴿وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ﴾ [المؤمنون:٢٢]، الضمير في قوله: ﴿وَعَلَيۡهَا﴾ راجع إلى الأنعام المذكورة في قوله: ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾ [المؤمنون:٢١]، وقد بيَّن تعالى في هذه الآية: أنه يحمل خلقه على الأنعام، والمراد بها هنا الإبل؛ لأن الحمل عليها هو الأغلب، وما ذكره تعالى في هذه الآية الكريمة من الامتنان على خلقه بما يسَّر لهم من الركوب والحمل على الأنعام والسفن، جاء موضحاً في آيات أُخر...، ثم ساق عدد من الآيات منها آية الزخرف التي معنا ثم قال: وقرن الأنعام بالفلك في الآيات المذكورة؛ لأن الإبل سفائن البَرِّ، كما قال ذو الرُّمَّة(4):

---

(١) تفسير القرآن (٥/ ٩٣).

(٢) أحكام القرآن (٤/ ١٠٠).

(٣) فتح القدير (٤/ ٧١٧).

(٤) ينظر: ديوان (١/ ٢٣٩)، خزانة الأدب (٣/ ٣٨٨).

وذو الرمة: هو غيلان بن عقبة العدوي، أبو الحارث، الشاعر، من فحول الطبقة الثانية في عصره، أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، توفي سنة (١١٧هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٧)، الأعلام (٥/ ١٢٤).

ألا خُيِّلَتْ منِّي وقد نام صُحْبَتِي

فما نفر التَّهْوِيمَ[1] إلا سَلاَمُهَا طَرُوقاً

وجُلَبُ[2] الرَّحْلِ مَشْدُودةٌ بها

سَفِينَةُ بَرٍّ تَحْتَ خَدِّي زِمَامُهَا

فتَراهُ سَمَّى ناقتَه سفينةُ بَرٍ وجُلَبُ الرحَلِ بالضَّمِّ والكسر عيدانه أو الرحل بما فيه »[3].

وذهب الإمامان الطبري[4]، والنحاس[5]، إلى أن المراد بالأنعام البهائم التي تصلح للركوب، كالإبل والخيل والبغال والحمير.

وهو ظاهر عبارة القاسمي[6]، والسعدي[7].

وروي عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ قال: «يعني الإبل والخيل والبغال والحمير»[8].

---

(١) التهويم: هوّم الرجل: إذا هزّ رأسه من النعاس وهو النوم القليل.
ينظر: المخصص (١/ ٤٩٣)، تهذيب اللغة (٦/ ٢٤٥).

(٢) جُلب: بكسر الجيم وضمها: عيدانه وخشبه.
ينظر: المحكم (٧/ ٤٣٩)؛ لسان العرب (١/ ٢٦٨).

(٣) أضواء البيان (٥/ ٨٦٣، ٨٦٤).

(٤) ينظر: جامع الطبري (١١/ ١٧٠).

(٥) ينظر: معاني القرآن (٦/ ٣٣٩).

(٦) ينظر: محاسن التأويل (٨/ ٣٥٣١).

(٧) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨٢٤).

(٨) ينظر: تفسيره ص(٥٧٩).

◊ **الترجيـــح:**

الـذي يظهـر لي -والعلـم عنـد الله- أنَّ المـراد بالأنعـام هنـا الإبـل مـن بـين سائر الأنعام، فالأنعام كما بين القرآن هي الأزواج الثمانية المذكورة في سورة الأنعام، قال العلامة الشنقيطي ~ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥﴾ [النحل:٥]: « وقد قدمنا في «آل عمران» أن القرآن بين أن الأنعام هي الأزواج الثمانية التي هي الذكر والأنثى من: الإبل، والبقر والضأن، والمعز »[1].

فالحديث الصحيح أخرج البقر من الركوب ومن باب أولى أن تُخْرِجَ بقية الأصناف الثمانية، وعلى هذا يكون قول القرطبي والجمهور معه هو الراجح.

والله أعلى وأعلم وأحكم.

(١) أضواء البيان (٧/ ٢٦٢).

قوله تعالى: ﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

في الآية مسألتان:

۞ المسألة الأولى: في بيان تذكير الهاء وتوحيدها في قوله: ﴿ظُهُورِهِۦ﴾ .

◊ ترجيح القرطبي:

قال القرطبي ~ : « ذكَّر الكناية؛ لأنه ردَّه إلى ما في قوله: ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾؛ قاله أبو عبيد[١]، وقال الفرَّاء: أضاف الظهور إلى واحدٍ؛ لأن المراد به الجنس، فصار الواحدُ في معنى الجمع بمنزلة الجيش والجند، فلذلك ذكَّر وجمع الظهور، أي: على ظهور هذا الجنس » ا.هـ[٢].

◊ الدراسة والمناقشة:

الضمير المفرد في الآية عائد على الأنعام والفلك، وهما جمع، فالأصل أن يكون الضمير جمعاً ومؤنثاً، كونه عائد إلى جمع، وقد اختلف أهل العلم في توجيه هذا الإشكال على قولين:

القول الأول:

أن الضمير وُحِّدَ وذُكِّر كونه عائداً على لفظ ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾، أي: لتستووا على ظهور ما تركبونه من الأنعام والفلك، قاله أبو عبيدة[٣]، وعزاه الطبري لبعض نحويي البصرة[٤].

(١) في زاد المسير (٧/ ١٢٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١١).

(٣) ينظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٠٢).

(٤) ينظر: جامع البيان (١١/ ١٧٠).

⇦=

وهو اختيار القرطبي موافقاً في ذلك قول النحاس[1]، وابن أبي زمنين[2]، والثعلبي[3]، والسمعاني[4]، والبغوي[5]، وابن عطية[6]، وابن الجوزي[7]، ووافقهم البيضاوي[8]، والنسفي[9]، وأبو حيان[10]، والسمين الحلبي[11]، والثعالبي[12]، وابن جزي[13]، وجلال الدين المحلي[14]، وأبو السعود[15]، والشنقيطي[16]، وابن عاشور[17].

= والبصرة العظمى بالعراق وسميت بالبصرة لأن فيها حجارة سوداء صلبة.

ينظر: معجم البلدان (١/ ٤٣٠).

(١) ينظر: إعراب القرآن ص(٨٠٩).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٨٥).

(٣) ينظر: الكشف والبيان (٥/ ٤٠٧).

(٤) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ٩٣).

(٥) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ٢٣٢).

(٦) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٤٨).

(٧) ينظر: زاد المسير (٧/ ١٢٩).

(٨) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٦٩).

(٩) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٦٦).

(١٠) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٦١).

(١١) ينظر: الدر المصون (٦/ ٩٣).

(١٢) ينظر: الجواهر الحسان (٣/ ١٤٣).

(١٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٤٦).

(١٤) ينظر: تفسير الجلالين ص (٦٤٨).

(١٥) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/ ٢٨).

(١٦) ينظر: أضواء البيان (٧/ ٢٢٦).

(١٧) ينظر: التحرير والتنوير ص(١٧٤).

القول الثاني:

أن الضمير عائد على الفلك والأنعام، وذُكِّر الضمير لأن المراد به الجنس، أي: جنس الفلك والأنعام، والمعنى، لتستووا على ظهور هذا الجنس.

ذكره الطبري، وعزاه إلى بعض نحويي الكوفة[1]، والسمرقندي[2] وابن كثير[3].

قال الفراء في معانيه: «يقول القائل: كيف قال: ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ فأضاف الظهور إلى واحد ؟

يقال له: إن ذلك الواحد في معنى جمع بمنزلة الجند والجيش والجميع، فإن قال: فهلّا قلت: لتستووا على ظهره، فجعلت الظهر واحداً إذا أضفته إلى واحد ؟

قلت: إن الواحد فيه معنى الجمع، فرددت الظهور إلى المعنى، ولم تقل: ظهره، فيكون كالواحد الذي معناه ولفظه واحد، فكذلك تقول: قد كثرت نساء الجند، وقلت: ورفع الجند أعينه ولا تقل: عينه، وكذلك كل ما أضفت إليه من الأسماء الموضوعة، فأخرجها على الجمع، فإذا أضفت إليه اسماً في معنى فعل جاز جمعه وتوحيده، مثل قولك: رفع الجند صوته، وأصواته أجود، وجاز هذا لأن الفعل لا صورة له في الاثنين إلا كصورته في الواحد »[4].

---

(١) الكوفة: بلد معروف مشهور بأرض بابل من سواد العراق.
ينظر: معجم البلدان (٤/ ٥٥٧-٥٦١).

(٢) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٢٥٣).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٢٠).

(٤) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٨).

◊ **الترجيـــــح:**

كلا القولين صحيح لغة ومعنى، إلا أن الأظهر -والله أعلم- عود الضمير إلى لفظ « ما » كونه مفرداً ومذكراً، فيتطابق الضمير مع المكنّى عنه.

قال أبو جعفر ~ بعد أن ذكر قول الفراء: « وأولى من هذا أن يكون يعود على لفظ « ما »؛ لأن لفظها مذكَّر موحَّد » (١).

ثم إن الأصل في الضمائر عودها إلى أقرب مذكور (٢).

أما وجه تذكير الضمير فلأن المكنَّى عنه جمع، والجمع تأنيثه ليس حقيقياً، يجوز تذكير ضميره وتأنيثه، كما يقال: عندي من النساء من يوافقك (٣).

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.

(١) إعراب القرآن للنحاس ص(٨٠٩).

(٢) تقدم ذكر هذه القاعدة.

(٣) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ١٧٩)، واللباب لابن عادل (١٧/ ٢٣٦).

۞ **المسألة الثانية: معنى مقرنين في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾.**

◊ **ترجيح القرطبي:**

رجَّح الإمام القرطبي ~ أن المراد بمقرنين أي: مطيقين، حيث يقول: ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ أي: مطيقين؛ في قول ابن عباس والكلبي.

وقال الأخفش وأبو عبيدة: ﴿مُقْرِنِينَ﴾ ضابطين.

وقيل: مماثلين في الأيد والقوَّة » ا.هـ [(1)].

◊ **الدراسة والمناقشة:**

وافق القرطبي في ترجيحه هنا المروي عن ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد[(2)]، ومقاتل[(3)]، وقول الفراء[(4)]، والطبري[(5)]، وابن أبي حاتم[(6)]، والنحاس[(7)]، وابن أبي زمنين[(8)]، والواحدي[(9)]، والسمعاني[(10)]، والبغوي[(11)]، والزمخشري[(12)]،

---

(1) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٢، ١٣).

(2) أخرجه الطبري في جامعه (١١/ ١٧١، ١٧٢)، وابن كثير في تفسيره (٧/ ٢٢٠).

(3) ينظر: تفسيره (٣/ ١٨٧).

(4) ينظر: معاني القرآن (٣/ ٢٨).

(5) ينظر: جامع البيان (١١/ ١٧١).

(6) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٢٠).

(7) ينظر: معاني القرآن (٦/ ٣٤١).

(8) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٨٦).

(9) ينظر: الوسيط (٤/ ٦٥).

(10) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ٩٣).

(11) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٢١).

(12) ينظر: الكشاف (٤/ ٢٣٣).

وابن الجوزي[١].

ووافقهم البيضاوي[٢]، والنسفي[٣]، وابن جزي[٤]، وأبو حيان[٥]، وابن كثير[٦]، وابن عادل[٧]، والسيوطي[٨]، وأبو السعود[٩]، والشوكاني[١٠]، والألوسي[١١]، والقاسمي[١٢]، والسعدي[١٣]، والشنقيطي[١٤].

قال ابن العربي ~ : « أي: مطيقين، تقول: قَرَنْت كذا وكذا إذا ربطته به، وجَعَلْته قَرِينَهُ، وأقْرَنْت كذا بكذا إذا أطقته وحَكمْته، كأنه جعله في قَرَن وهو الحبل، فأوثقه به وشده فيه » [١٥].

وقال ابن قتيبة ~ : « أي: مطيقين، يقال: أنا مُقْرِن لك، أي: مطيق لك»[١٦].

---

(١) ينظر: زاد المسير (٧/ ١٢٩).
(٢) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٦٩).
(٣) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٦٦).
(٤) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٤٦).
(٥) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٦٢).
(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٢٠).
(٧) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (١٧/ ٢٣٧).
(٨) ينظر: الدر المنثور (٧/ ٣١٩).
(٩) ينظر: تفسيره (٦/ ٢٨).
(١٠) ينظر: فتح القدير (٤/ ٧١٧).
(١١) ينظر: روح المعاني (٢٥/ ٩٢).
(١٢) ينظر: محاسن التأويل (٨/ ٣٥٣١).
(١٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨٢٤).
(١٤) ينظر: أضواء البيان (٧/ ٢٢٧).
(١٥) أحكام القرآن (٤/ ١٠١).
(١٦) تفسير غريب القرآن ص(٣٩٥).

◊ **الترجيـــح:**

إذا تقرر هذا، فإن الذي يظهر لي -والله أعلم- أن قول القرطبي والجمهور معه هو الراجح، لإمامة القائلين به، ولدلالة المعنى عليه، ولأنه المعروف من كلام العرب، قال السعدي ~ : « أي: لولا تسخيره لنا ما سخر من الفلك والأنعام، ما كنا مطيقين لذلك وقادرين عليه، ولكن من لطفه وكرمه تعالى، سخرها وذلَّلها ويسَّر أسبابها» [(١)].

وقال الشنقيطي ~ : « والعرب تقول: أَقْرَنَ الرَّجُلُ للأمر وأَقْرَنَه إذا كان مطيقاً له كُفُؤاً للقيام به، من قولهم: أَقْرَنْتُ الدابة للدابة، بمعنى أنك إذا قَرَنْتَهُمَا في حَبْلٍ قَدَرْتَ على مقاوَمَتِها ولم تكن أَضْعَفَ منها فَتَجُرَّهَا » [(٢)].

ويؤيد رجحان هذا القول موافقته لقواعد الترجيح النَّاصَّة على أنَّ « تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير » [(٣)]، وأنه « يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب » [(٤)].

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.



---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص(٨٢٤).

(٢) أضواء البيان (٧/ ٢٢٧).

(٣) ينظر: قواعد الترجيح للحربي (١/ ٢٢٨).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٣٦٩).

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ١٥ ﴾.

۞ مسألة: المراد بالجزء في الآية.

◊ ترجيح القرطبي:

قال القرطبي ~ في معنى المراد بالجزء: « أي عدلاً؛ عن قتادة، يعني: ما عُبِد من دون الله ﷻ، الزجاج والمبرد: الجزء هاهنا البنات » ا.هـ[(١)].

◊ الدراسة والمناقشة:

الجزء في اللغة يطلق على: البعض، وقد يرد أيضاً في اللسان العربي على عدة معانٍ، منها: القسمة، والنصيب، والقطعة من الشيء[(٢)].

وبناء عليه فقد اختلف أهل العلم في المراد بالجزء في الآية على أقوال:

القول الأول:

الجزء هو: العِدْل، أي: الند والمثيل والشبيه، والمعنى: أنهم جعلوا لله نداً وشبيهاً ومثيلاً له سبحانه. قاله قتادة[(٣)].

وقدَّم هذا القول القرطبي، وذكره جماعة من المفسرين[(٤)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٦).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة ص(١٩٧، ١٩٨)، والمحكم (٧/ ٤٧٩)، ولسان العرب (١/ ٤٥)، والقاموس ص(٤٥)، والمختار ص(٤٣)، وتاج العروس (١/ ١٧١، ١٧٢).

(٣) أخرجه الصنعاني (٢/ ١٩٥)، والطبري (١١/ ١٧٢)، وزاد السيوطي في الدر (٧/ ٣٢٠) نسبته إلى: عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤) ينظر: الطبري (١١/ ١٧٢)، وابن عطية (٥/ ٤٩).

والعِدْل-بالكسر، أو الفتح- هو الند والمثيل والشبيه، يقال: عندي عدل غلامك أو شاتك، والمعنى: مثله وشبيه، ومنه قولهم: العديل، وهو الذي يعادلك في الفوز والقدر، أي: يشبهك، ويكون نداً لك.

=⇦

القول الثاني:

المراد بالجزء: النصيب، والمعنى: أنهم أثبتوا لله تعالى شريكاً في ملكه وحكمه ﷻ عما يقولون علواً كبيراً.

واختار هذا القول النحاس، ونقله عن ابن عباس، ومجاهد وعطاء، والربيع بن أنس، والضحاك [(١)].

ووافقه في اختياره ابن الهائم المصري [(٢)].

واستشهد ابن كثير لهذا القول بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١٣٦] [(٣)].

وتعقبه الشنقيطي بقوله: «الذي يظهر أن قول ابن كثير هذا ~ غير صواب في الآية؛ لأن المجعول لله في آية الأنعام هو النصيب مما ذرأ من الحرث والأنعام، والمجعول له في آية الزخرف هذه جزء من عباده، لا مما ذرأ من الحرث والأنعام، وبين

= ينظر: النهاية (٣/ ١٩٠، ١٩١)، ولسان العرب (١١/ ٤٣٢، ٤٣٣)، ومختار الصحاح ص(١٧٦).

(١) ينظر: إعراب النحاس ص(٨٠٩)، وتفسير أبي حيان (٩/ ٣٦٢)، والشوكاني (٤/ ٧١٨).

(٢) ينظر: التبيان في تفسير غريب القرآن ص(٣٧٢).

أحمد بن محمد بن عماد بن علي القرافي المصري، أبو العباس المعروف بابن الهائم المصري، كان إماماً عالماً في الفقه والعربية والفرائض، ألف تآليف عديدة مفيدة، توفي سنة (٨١٥هـ).

ينظر: طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٨٢-٨٤)، والبدر الطالع (١/ ١١٠)، وشذرات الذهب (٧/ ١٠٩)، والضوء اللامع (١/ ٣٦١).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٢٢).

ووجه الدلالة من الآية واضح، وذلك أن الله -جل وعلا- أخبر في هذه الآية أن المشركين جعلوا لله نصيباً مما أخرج الأرض من الزرع والنبات.

الأمرين فرق واضح كما ترى »[1].

القول الثالث:

أن الجزء هنا: بمعنى الولد، وخص البنات منهم لله سبحانه، أي: أنهم جعلوا لله البنات، وقالوا: الملائكة بنات الله[2].

وهذا القول مروي عن مجاهد[3]، والسدي[4]، وهو اختيار كثير من المفسرين[5].

---

(١) أضواء البيان (٧/ ٢٢٩).

(٢) كما حكى الله تعالى عنهم عقب هذه الآية بعدة آيات فقال: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ وقال تعالى أيضاً: ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ﴾ [الإسراء: ٤٠]، وقال سبحانه: ﴿ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴾ [الصافات: ١٥٠].

(٣) تفسير مجاهد ص(٥٨٠)، وأخرجه الطبري (١١/ ١٧٢) بلفظ: « ولداً وبنات من الملائكة » وذكره السيوطي (٧/ ٣٢٠) وعزاه أيضاً إلى: عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ١٧٢).

(٥) عزاه ابن كثير إلى كثير من المتأولين، وممن ذهب إليه:

الزجاج (٤/ ٤٠٦)، وابن أبي زمنين (٢/ ٢٨٦)، والواحدي (٤/ ٦٦)، والزمخشري (٤/ ٢٣٤)، وابن الجوزي في الزاد (٧/ ١٢٩، ١٣٠)، وفي النزهة ص(٢٢٨)، والفخر ذكر أنه هو المشهور (٩/ ١٨١)، والبيضاوي (٢/ ٣٧٠)، والنسفي (٣/ ٢٦٧)، والخازن (٤/ ١٠٦)، وابن القيم في إعلام الموقعين (١/ ١١٢)، والثعالبي (٣/ ١٤٤)، وابن جزي (٤/ ٤٦)، وابن عادل (١٧/ ٢٤١)، والمحلي في الجلالين ص(٦٤٨)، وأبو السعود (٦/ ٢٨)، والشوكاني (٤/ ٧١٨)، والشنقيطي (٧/ ٢٣١)، والسعدي ص(٨٢٤).

✧ **الترجيـــــح:**

بعد ذكر الأقوال الثلاثة في المراد بـالجزء في الآيـة الكريمـة أنبئك بـالراجح منهـا على ما يظهر لي والعلم عند الله:

فأما القول الأول فهو بعيد عن المراد، بـل تعقبـه العلامـة الـشنقيطي ~ وردَّه بقولـه: « وأن قـول قتـادة ومـن وافقـه: إن المـراد بـالجزء: العِـدل والنظـير، الـذي هـو الشريك، غير صـواب أيضاً؛ لأن إطـلاق الجـزء عـلى النظـير لـيس بمعـروف في كـلام العرب »[(١)].

أما القول الثاني وهو ما ذهب إليه النحـاس فهـو لا يتنـاقض مـع القـول الثالـث وهو ما قاله جمهور المفسرين، وذلك أن المراد: أنهم جعلوا لله نصيباً بادعـائهم الملائكـة بنات الله[(٢)].

وهذا هو الظاهر في تفسير الآية -والله أعلم-، وذلك لما يلي:

أولاً: أن إطـلاق الجـزء عـلى الـنصيب، والولـد معـروف في لغـة العـرب؛ فولـد الرجل جزء منه وبعض منه[(٣)]، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: « فاطمة بضعة مني »[(٤)].

---

(١) أضواء البيان (٧/ ٢٢٩).

(٢) وهذا ما يفهم من كلام النحاس في معانيه حيث قال: « لأنهـم جعلـوا الملائكـة بنـات الله »، وبهـذا الجمـع فسر جماعة من المفسرين الآية، منهم: الطبري (١١/ ١٧٢) حيث قال: « وجعـل هـؤلاء المشركون لله مـن خلقه نصيباً، وذلك قولهم للملائكة: هـم بنـات الله »، والـسمرقندي (٣/ ٢٥٤)، والـسمعاني (٥/ ٩٤)، والبغوي (٤/ ١٢١)، وابن تيمية في الفتاوى (١٧/ ٢٧١)، وابن كثير (٧/ ٢٢٢)، وابن منظور في اللسان (١/ ٤٥).

(٣) ينظر: الفخر الرازي (٩/ ١٨١).

(٤) متفق عليه من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب فضائل الـصحابة، بـاب مناقب قرابة رسول الله ﷺ، ٣/ ١٣٦١، ح ٣٥١٠)، ومسلم في صحيحه (كتاب فـضائل الـصحابة، بـاب فضائل فاطمة بنت النبي عليه الصلاة والسلام، ٤/ ١٩٠٢، ح ٢٤٤٩).

ثانياً: دلالة السياق، وذلك أن الله ﷻ ثناؤه وتقدست أسماؤه أعقب ذلك بقوله: ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾﴾ توبيخاً لهم على قولهم ذلك « فكان معلوماً أن توبيخه إياهم بذلك إنما هو عمَّا أخبر عنهم من قيلهم ما قالوا في إضافة البنات إلى الله ﷻ»[1].

إذا تقرر هذا فإن القول الأول والثاني هو الأولى، وذلك لما تقرر، ولموافقته للقاعدة الترجيحية النَّاصَّة على أنه « يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر »[2].

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ١٧٢)، وينظر: التفسير الكبير (٩/ ١٨١)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٢٢٢)، وتفسير الثعالبي (٣/ ١٤٤).

(٢) قواعد الترجيح للحربي (٢/ ٣٦٩).

قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾ .

۞ مسألة: المراد بـ(من ينشأ في الحلية).

◊ ترجيح القرطبي:

رجح القرطبي ~ أن المراد بمن ينشأ في الحلية أي: الجواري والنساء حيث يقول: « أي في الزينة، قال ابن عباس وغيره: هنَّ الجواري زيُّهن غير زيِّ الرجال، قال مجاهد: رُخِّص للنساء في الذهب والحرير، وقرأ هذه الآية، وقيل: المنشَّأ في الحلية أصنامهم التي صاغوها من ذهب وفضةٍ وحلُّوها، قاله ابن زيد والضحاك » ا.هـ[1].

◊ الدراسة والمناقشة:

وافق القرطبي في ترجيحه هذا، ابن عباس { ومجاهد، والحسن البصري، وقتادة[2]، ورجحه الطبري[3]، وهو قول جمهور المفسرين ومنهم: السمعاني[4]، والبغوي[5]، والزمخشري[6]، وابن عطية[7]، وابن الجوزي[8]، والفخر الرازي[9]،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢٠).

(٢) ينظر: تفسير مجاهد ص(٥٨٠)، وجامع البيان (١١/ ١٧٣، ١٧٤).

(٣) ينظر: جامع البيان (١١/ ١٧٤).

(٤) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ٩٥).

(٥) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٢١).

(٦) ينظر: الكشاف (٤/ ٢٣٧).

(٧) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٤٩).

(٨) ينظر: زاد المسير (٧/ ١٣٠).

(٩) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ١٨٣).

والبيضاوي[١]، والنسفي[٢]، وابن جزي[٣]، وأبو حيان[٤]، وابن كثير[٥]، والسيوطي[٦]، والشوكاني[٧]، والألوسي[٨]، والسعدي[٩]، وابن عاشور[١٠]، وهو ظاهر عبارة أبي السعود[١١].

واستدل العلامة الشنقيطي ~ لهذا القول، بقوله: «... لأن الله أنكر عليهم في هذه الآية الكريمة: أنهم نسبوا له ما لا يليق به من الولد، ومع ذلك نسبوا له أخس الولدين وأنقصهما وأضعفهما؛ ولذلك ينشأ في الحلية، أي: الزينة من أنواع الحلي والحلل؛ ليجبر نقصه الخلقي الطبيعي بالتجميل بالحلي والحلل وهو الأنثي، بخلاف الرجل، فإن كمال ذكورته وقوتها وجمالها يكفيه عن الحلي، كما قال الشاعر:

وما الحلي إلا زينة من نقيصة يتمم من حسن إذا الحسن قصرا
وأما إذا كان الجمال موفراً كحسنك لم يحتج إلى أن يزورا»[١٢].

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٧٠).

(٢) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٦٨).

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٤٧).

(٤) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٦٣).

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٢٣).

(٦) ينظر: تفسير الجلالين (١/ ٦٤٩).

(٧) ينظر: فتح القدير (٤/ ٧١٩).

(٨) ينظر: روح المعاني ص(٩٥).

(٩) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨٢٥).

(١٠) ينظر: التحرير والتنوير ص(١٨١).

(١١) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/ ٢٩).

(١٢) أضواء البيان (٣/ ٤٩٨).

القائل هو: ابن الرومي، لكن جاء في الأبيات: وما الحلي إلا حيلة لنقيصه.

ينظر: التمثيل والمحاضرة (١/ ٦٢)، ونُقلت الأبيات نفسها عن ابن الجوزي.

ينظر: نفح الطيب (٥/ ٦٥).

وقال ابن الجوزي في معنى الآية: « قال المفسرون: والمراد بذلك البنات، وقال بعضهم: الأصنام »[(١)].

وذهب ابن زيد، والضحاك إلى أن المراد بالآية الأصنام [(٢)].

ولكن هذا القول يستبعده سياق الآيات، كما قال أبو حيان: «... ويبعد هذا القول قوله ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ » [(٣)].

(١) ينظر: زاد المسير (٧/ ١٣٠).

(٢) ينظر: تفسير الضحاك (٢/ ٧٤٣)، وجامع البيان (١١/ ١٧٤)، وفتح القدير (٤/ ٧١٩).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٦٣).

◊ **الترجيـــــح:**

الذي يظهر لي -والعلم عند الله- أن قول القرطبي والجمهور معه هو الصواب، وذلك لإمامة القائلين به، ولدلالة السياق عليه، حيث يقول الإمام الطبري ~ : «وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بذلك الجواري والنساء؛ لأن ذلك عقيب خبر الله عن إضافة المشركين إليه ما يكرهونه لأنفسهم من البنات... فاتباع ذلك من كلام ما كان له نظيراً له أشبه وأولى من اتباعه ما لم يجر له ذكر»(1).

وقال أبو حيان ~ : « والظاهر أنه أراد بمن يُنشأ في الحلية: النساء، وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي: ويدل عليه قوله: ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ أي لا يظهر حجة »(2).

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية النَّاصَّة على:

« أن القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه » (3).

وأن « تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ » (4).

والله تعالى أعلم.



---

(1) ينظر: جامع البيان (11/ 174).

(2) ينظر: البحر المحيط (9/ 363).

(3) ينظر: قواعد الترجيح للحربي (1/ 299).

(4) ينظر: المصدر السابق (1/ 288).

قوله تعالى: ﴿قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٢٤﴾.

۞ **مسألة: عود ضمير «قال» في الآية.**

◊ **ترجيح القرطبي:**

رجح القرطبي ~ عود الضمير في « قال » إلى الرسول ﷺ؛ إذ يقول: « أي: قُلْ يا محمد لقومك: أوليس قد جئتكم من عند الله بأهدى، يريد: بأرشد ﴿مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ يعني: بكلِّ ما أرسل به الرسل، فالخطابُ للنبي ﷺ، ولفظه لفظ الجمع؛ لأن تكذيبه تكذيب لمن سواه... وقراءة العامة: « قل أولو جئتكم »، وقرأ ابن عامر وحفص « قال أولو »، على الخبر عن النذير أنه قال لهم هذه المقالة، وقرأ أبو جعفر: « قل أولو جئناكم » بنون وألف، على أن المخاطبة من رسول الله ﷺ عن جميع الرسل» ا.هـ [1].

◊ **الدراسة والمناقشة:**

وافق القرطبي في ترجيحه هذا المروي عن مقاتل[2]، وقول الطبري[3]، والزجاج[4]، وابن الجوزي[5]، والفخر الرازي[6].

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢٥، ٢٦).

(٢) ينظر: زاد المسير (٧/ ١٣٢).

(٣) ينظر: جامع البيان (١١/ ١٧٨).

(٤) ينظر: معاني القرآن (٤/ ٤٠٨).

(٥) ينظر: زاد المسير (٧/ ١٣٢).

(٦) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ١٨٧).

ووافقهم البيضاوي[١]، وابن جزي[٢]، وأبو حيان[٣]، وابن كثير[٤]، والشوكاني[٥]، وهو ظاهر عبارة السمعاني[٦]، والبغوي[٧]، والزمخشري[٨]، وابن عطيه[٩]، والنسفي[١٠]، والمحلي[١١]، وابن عاشور[١٢].

قال ابن جزي: « قُرِيء: «قال» والفاعل ضمير على النذير المتقدم، وقراءة «قل» بالأمر فهو خطاب للنبي ﷺ، وقيل: هو للنذير، والأول أظهر »[١٣].

وقال أبو حيان ~ : «والظاهر أن الضمير في «قال» أو في «قل» للرسول ﷺ»[١٤].

ورجّح الألوسي بأن ذلك حكاية لما جرى بين المنذرين وبين أممهم، وعلى ذلك يعود الضمير لجميع الرسل[١٥]، وذهب إلى حمل الآية على ذلك أبو السعود[١٦]،

(١) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٧١).

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٤٨).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٦٧).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٢٤).

(٥) ينظر: فتح القدير (٤/ ٧٢١).

(٦) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ٩٨).

(٧) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٢٣).

(٨) ينظر: الكشاف (٤/ ٢٣٩).

(٩) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٥١).

(١٠) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٧٠).

(١١) ينظر: تفسير الجلالين (١/ ٦٤٩).

(١٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢٥/ ١٨٩).

(١٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٤٨).

(١٤) البحر المحيط (٩/ ٣٦٧).

(١٥) ينظر: روح المعاني (٢٥/ ١٠١، ١٠٢).

(١٦) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/ ٣٠).

والسعدي[1].

قال أبو السعود: « أي: قال كل نذير من أولئك المنذرين... وقريء «قل» على أنه أمر ماض أوحي حينئذ إلى كل نذير لا على أنه خطاب للرسول ﷺ »[2].

قال العلامة الشنقيطي ~ : « قرأ الجمهور بصيغة الأمر، وقرأ ابن عامر وحفص بصيغة الفعل الماضي؛ فعلى قراءة الجمهور يكون المعنى: قل لهم يا محمد أتقتدون بآبائكم في الكفر والضلال، وعلى قراءة ابن عامروحفص، فالمعنى: (قال) هو، أي: رسول الله ﷺ »[3].

◊ الترجيـــح:

الذي يظهر لي -والعلم عند الله- أن قول القرطبي والجمهور معه هو الأولى بالصواب، وذلك لإمامة القائلين به ولموافقته للقاعدة الترجيحية النَّاصَّة على أن:

« إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره »[4].

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨٢٥).

(٢) إرشاد العقل السليم (٦/ ٣٠).

(٣) ينظر: أضواء البيان (٧/ ٢٤٣، ٢٤٤).

(٤) قواعد الترجيح للحربي (٢/ ٦٠٣).

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾.

۞ مسألة: نوع الاستثناء في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

◊ ترجيح القرطبي:

رجَّح الإمام القرطبي ~ أن الاستثناء في الآية متصلاً، حيث يقول: « ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ استثناء متصل، لأنهم عبدوا الله مع آلهتهم، قال قتادة: كانوا يقولون: الله ربنا مع عبادة الأوثان، ويجوز أن يكون منقطعاً، أي: لكن الذي فطرني فهو يهدين، قال ذلك ثقة بالله، وتنبيهاً لقومه أن الهداية من ربه » ا.هـ [1].

◊ الدراسة والمناقشة:

وافق القرطبي في ترجيحه هذا المروي عن قتادة[2]، والسدي[3]، وقول الطبري[4]، وابن عطية[5]، وابن الجوزي[6]، والفخر الرازي[7]، والألوسي[8]، والمراغي[9]، والسعدي[10]، والشنقيطي[11].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢٧).

(٢) أخرجه الطبري في جامعه (١١/ ١٧٩).

(٣) المصدر السابق.

(٤) ينظر: جامع البيان (١١/ ١٧٨).

(٥) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٥٢).

(٦) ينظر: زاد المسير (٦/ ٤٣).

(٧) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ١٨٨).

(٨) ينظر: روح المعاني (٢٥/ ١٠٢).

(٩) ينظر: تفسيره (٢٥/ ٨٤).

(١٠) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨٢٥، ٨٢٦).

(١١) ينظر: أضواء البيان (٧/ ٢٤٥).

وذهب الزمخشري[(١)]، والعز بن عبد السلام[(٢)]، والبيضاوي[(٣)]، والنسفي[(٤)]، وابن جزي[(٥)]، وأبو حيان[(٦)]، وأبو السعود[(٧)]، والشوكاني[(٨)] إلى أن الاستثناء في الآية استثناءً منقطعاً.

وهو ظاهر عبارة السمعاني[(٩)]، والبغوي[(١٠)]، والمحلي[(١١)].

قال النسفي: « الاستثناء في الآية منقطع، كأنه قال: لكن الذي فطرني فإنه سيهدين، أي: يثبتني على الهداية »[(١٢)].

وقال أبو حيان: « والظاهر أن قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ استثناء منقطع إذ كانوا لا يعبدون الله مع أصنامهم »[(١٣)].

وقد جوَّز القولين النحاس في معانيه، حيث قال: « يجوز أن يكون استثناء من الأول، ويجوز أن يكون ﴿إِلَّا﴾ بمعنى «لكن» »[(١٤)].

---

(١) ينظر: الكشاف (٤/ ٢٣٩).

(٢) ينظر: تفسيره (٢/ ١٨٨).

(٣) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٧١).

(٤) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٧٠).

(٥) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٤٩).

(٦) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٦٧).

(٧) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/ ٣٢).

(٨) ينظر: فتح القدير (٤/ ٧٢٣).

(٩) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ٩٨).

(١٠) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٢٣).

(١١) ينظر: تفسير الجلالين (١/ ٦٥٠).

(١٢) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٧٠).

(١٣) البحر المحيط (٩/ ٣٦٧).

(١٤) معاني القرآن (٦/ ٣٤٩).

وكذلك الرازي في تفسيره، حيث قال: «... ثم استثنى خالقه من البراءة فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ والمعنى: أنا أتبرأ مما تعبدون إلا من الله ﷻ، ويجوز أن يكون « إلا » بمعنى « لكن » فيكون المعنى: لكن الذي فطرني فإنه سيهدين، أي: سيرشدني لدينه ويوافقني لطاعته »(1).

وقيد ابن جزي نوع الاستثناء في الآية بعقيدة قوم إبراهيم عليه السلام حيث قال: « ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ يحتمل أن يكون استثناء منقطعاً وذلك إن كانوا لا يعبدون الله، أو يكون متصلاً إن كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غير »(2).

◊ الترجيـــــح:

الذي يظهر لي -والعلم عند الله- أن قول القرطبي ومن معه هو الراجح، وذلك لإمامة القائلين به، ولأن قوم إبراهيم عليه السلام كانوا يشركون مع الله عبادة الكواكب والأصنام ولذلك كان إمام الموحدين نبي الله إبراهيم عليه السلام يخاطب قومه بما حكاه القرآن عنه في قوله تعالى: ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:٧٨]، إلى قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨١-٨٢].

ومن المعلوم أن المراد بالظلم هنا الشرك كما ثبت عن النبي ﷺ في صحيح البخاري(3) وغيره، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقد بينه قوله تعالى: ﴿إِنَّ

---

(1) التفسير الكبير (٩/ ١٨٨).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٤٩).

(3) ينظر: (٦/ ١٤٣)، ح(٤٧٧٦)، كتاب: بدء الوحي، باب: « لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم » والحديث أخرجه أيضاً مسلم في صحيحه (١/ ٨٠)، ح(٣٤٢)، كتاب: الإيمان، باب: صدق الإيمان وإخلاصه، ونصه: « حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على أصحاب ⇐

ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان:١٣].

قال الطاهر بن عاشور: « والاستثناء في قوله ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ استثناء من «ما تعبدون»، و«ما» مصولة أي من الذين تعبدونهم فإن قوم إبراهيم كانوا مشركين مثل مشركي العرب »[1].

وهذا القول تعضده القاعدة الترجيحية النَّاصَّة على أن « القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عُدم ذلك »[2]، ومن أنَّ: « تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم »[3].

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.

رسول الله ﷺ وقالوا أينا لم يلبس إيمانه بظلم، فقال رسول الله ﷺ إنه ليس بذلك ألا تسمع قول لقمان لابنه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ .

(١) التحرير والتنوير (٢٥/ ١٩٢).

(٢) قواعد الترجيح للحربي (١/ ٣١٢).

(٣) المصدر السابق (١/ ٢٧١).

قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)﴾ .

۞ مسألة: معنى ﴿سُخْرِيًّا﴾ في الآية[(١)].

◊ ترجيح القرطبي:

رجَّح الإمام القرطبي ~ أن معنى ﴿سُخْرِيًّا﴾ أي: من التسخير والاستخدام والاستعباد، حيث يقول: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ قال السدي وابن زيد: خَوَلا[(٢)] وخُدَّاماً، يُسخر الأغنياء الفقراء، فيكون بعضهم سبباً لمعاش بعض، وقال قتادة والضحاك: يعني ليملك بعضهم بعضاً.

وقيل: هو من السُخريَّة التي بمعنى الاستهزاء، أي: ليستهزئ الغنيّ بالفقر » ا.هـ [(٣)].

◊ الدراسة والمناقشة:

وافق القرطبي في ترجيحه هذا، المروي عن الضحاك[(٤)]، وقتادة[(٥)]، والسدي[(٦)]،

---

(١) سُخرياً: بكسر السين، أي: تَسْخَرون منهم، وبضمها أي: تُسخرّونَهُمْ من السُّخْرَة، سِخْرِيّاً: بالكسر ويضمُّ: كلَّفَهُ مالا يُريد وقَهَره. وهو سُخْرةٌ لي وسُخْرِيٌّ وسِخْرِيٌّ.

ينظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص(٣٠٠)، والقاموس المحيط (١/ ٥١٨).

والمراد من الآية أن يكون كلُّ واحدٍ مسخَّراً للآخر، يخدم بعضهم بعضاً، ليستقيم أمر المعاش، ولو كان الناس كلهم أغنياء أو فقراء لتعطلت مصالح العباد، فسبحان المدبِّر الحكيم الخبير.

(٢) خَوَلا: أي خَدَماً، قال في المصباح ص(٧٠): والخَوَلُ مثل الخَدَم والحشم وزناً ومعنى.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٣٧).

(٤) ينظر: تفسيره (٢/ ٧٤٤، ٧٤٥)، وجامع البيان للطبري (١١/ ١٨٣).

(٥) أخرجه الطبري في جامعه (١١/ ١٨٣).

(٦) المصدر السابق.

وابـن زيـد[١]، وقـول الطـبري[٢]، والنحـاس[٣]، والـسمعاني[٤]، والبغـوي[٥]، والزمخشري[٦]، وابن عطية[٧]، وابن الجوزي[٨]، والفخر الـرازي[٩]، والبيـضاوي[١٠]، والنسفي[١١]، وابـن جـزي[١٢]، وأبـو حيـان[١٣]، وابـن كثـير[١٤]، والمحـلي[١٥]، وأبـو الـسعود[١٦]، والـشوكاني[١٧]، والألـوسي[١٨]، والمراغـي[١٩]، والـسعدي[٢٠]،

---

(١) أخرجه الطبري في جامعه (١١/ ١٨٣).

(٢) ينظر: جامع البيان (١١/ ١٨٣).

(٣) ينظر: معاني القرآن (٦/ ٣٥٢).

(٤) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ١٠٠).

(٥) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٢٤).

(٦) ينظر: الكشاف (٤/ ٢٤٢).

(٧) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٥٣).

(٨) ينظر: زاد المسير (٧/ ١٣٤).

(٩) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ١٨٩).

(١٠) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٧٢).

(١١) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٧١).

(١٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٥٠).

(١٣) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٧٠).

(١٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٢٦).

(١٥) ينظر: تفسير الجلالين (١/ ٦٥٠).

(١٦) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/ ٣٣).

(١٧) ينظر: فتح القدير (٤/ ٧٢٤).

(١٨) ينظر: روح المعاني (٢٥/ ١٠٥).

(١٩) ينظر: تفسيره (٢٥/ ٨٥، ٨٦).

(٢٠) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨٢٦).

والشنقيطي[١]، والطاهر بن عاشور[٢].

قال أبو حيان: « سخرياً أي: من التسخير بمعنى: الاستعباد والاستخدام، ليرتفق بعضهم ببعض ويصلوا إلى منافعهم... ويبعد أن يكون سخرياً هنا من الهزء »[٣].

قال ابن كثير: « معناه ليسخر بعضهم بعضاً في الأعمال لاحتياج هذا إلى هذا، قاله السدي، وقال قتادة والضحاك: ليملك بعضهم بعضاً، وهو راجع إلى الأول »[٤].

وقيل: ﴿سُخْرِيًّا﴾ بمعنى: الاستهزاء، أي ليستهزئ الغني بالفقير[٥].

قال ابن عطية: « ولا مدخل لمعنى الهزء في هذه الآية »[٦].

---

(١) ينظر: أضواء البيان (٧/ ٢٥٩، ٢٦٠).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢٥/ ٢٠١).

(٣) البحر المحيط (٩/ ٣٧٠).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٢٦).

(٥) لم أقف على قول من أقوال أهل التفسير يرجحه أو يجزم به أو يقدمه وإنما ذُكِرَ عند بعضهم تضعيفاً.

(٦) المحرر الوجيز (٥/ ٥٣).

◊ الترجيـــــح:

الذي يتبيَّن لي -والعلم عند الله- أن قول القرطبي والجمهور معه هو الراجح؛ وذلك لإمامة القائلين به، ولدلالة السياق عليه، قال الشوكاني: « وقيل: هو من السخرية التي بمعنى الاستهزاء، وهذا وإن كان مطابقاً للمعنى اللغوي، لكنه بعيد من معنى القرآن ومناف لما هو مقصود السياق » [1].

وقال الشنقيطي: « التحقيق -إن شاء الله- أنه من التسخير، ومعنى تسخير بعضهم لبعض: خدمة بعضهم لبعض وعمل بعضهم لبعض؛ لأن نظام العالم في الدنيا يتوقف قيامه على ذلك، فمن حكمته جل وعلا أن يجعل هذا فقيراً مع كونه قوياً على العمل، ويجعل هذا ضعيفاً لا يقدر على العمل بنفسه ولكنه تعالى يهيئ له دراهم يؤجر بها ذلك الفقير القوي، فينتفع القوي بدراهم الضعيف والضعيف بعمل القوي، فتنتظم المعيشة لكل منهما » [2].

ويؤيد هذا القول قواعد الترجيح النَّاصَّة على أنه: « إذا اختلفت الحقيقة العرفية والحقيقة اللغوية في تفسير كلام الله تعالى قُدِّمت العرفية » [3]، وأنَّ « تفسير جمهور السلف مقدَّم على كل تفسير شاذ » [4].

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.



(١) فتح القدير (٤/ ٧٢٤، ٧٢٥).

(٢) أضواء البيان (٧/ ٢٥٩، ٢٦٠).

(٣) قواعد الترجيح للحربي (٢/ ٤١٢).

(٤) المصدر السابق (١/ ٢٨٨).

قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴿٣٨﴾ ﴾.

۞ مسألة: تمني الكافر في الآية، متى يكون؟

◊ ترجيح القرطبي:

رجح القرطبي ~ أن وقت تمني الكافر في هذه الآية يكون يوم القيامة حيث يقول: «﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا ﴾ يعني: الكافر يوم القيامة.. ﴿يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ ﴾ أي: لا تنفع الندامة اليوم » ا.هـ [(١)].

◊ الدراسة والمناقشة:

وافق القرطبي في ترجيحه هذا قول جمهور المفسرين ومنهم: الطبري[(٢)]، والبغوي[(٣)]، وابن الجوزي[(٤)]، والفخر الرازي[(٥)]، وأبو حيان[(٦)]، وابن كثير[(٧)]، والمحلي[(٨)]، وأبو السعود[(٩)]، والألوسي[(١٠)]، والمراغي[(١١)]، والسعدي[(١٢)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٤٨، ٤٩).

(٢) ينظر: جامع البيان (١١/ ١٨٩).

(٣) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٢٥).

(٤) ينظر: زاد المسير (٧/ ١٣٦).

(٥) ينظر: التفسير الكبير (٨/ ١٩٢).

(٦) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٧٤).

(٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٢٨).

(٨) ينظر: تفسير الجلالين (١/ ٦٥١).

(٩) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/ ٣٤).

(١٠) ينظر: روح المعاني (٢٥/ ١١٠).

(١١) ينظر: تفسيره ص(٨٨-٩٠).

(١٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨٢٧).

وهو ظاهر عبارة السمعاني[١]، والزمخشري[٢]، وابن عطية[٣]، والبيضاوي[٤]، والنسفي[٥]، وابن جزي[٦]، والشوكاني[٧].

قال أبو حيان: « تمنى لو كان ذلك في الدنيا حتى لا يصده عن سبيل الله، أو تمنى ذلك في الآخرة وهو الظاهر لأنه جواب إذا التي للإستقبال »[٨].

وقال ابن كثير: « أي هذا الذي تغافل عن الهدى نقيض له من الشياطين من يضله ويهديه إلى صراط الجحيم فإذا وافى الله ﷻ يوم القيامة يتبرأ من الشيطان الذي وُكل به»[٩].

وقال أبو السعود: « حتى إذا جاءنا كل واحد منهم مع قرينه يوم القيامة قال مخاطباً له: يا ليت بيني وبينك في الدنيا بعد المشرقين »[١٠].

---

(١) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ١٠٣).

(٢) ينظر: الكشاف (٤/ ٢٤٦).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٥٥).

(٤) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٧٣).

(٥) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٧٣).

(٦) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٥١).

(٧) ينظر: فتح القدير (٤/ ٧٢٧).

(٨) البحر المحيط (٩/ ٣٧٤).

(٩) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٢٨).

(١٠) إرشاد العقل السليم (٦/ ٣٤).

◊ الترجيـــــح:

إذا تقرر هذا فإن قول القرطبي والجمهور معه تؤيده قواعد الترجيح النَّاصَّة على أنه «لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل »، ومن أن « تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير »[1].

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.

(١) ينظر: قواعد الترجيح للحربي (١/ ١٣٧، ٢٨٨).

قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

۞ مسألة: من الذين أُمر رسول الله ﷺ بمسألتهم؟

◈ ترجيح القرطبي:

رجح القرطبي أن الذين أُمر رسول الله ﷺ بمسألتهم ذلك، هم الأنبياء الذين جُمعوا له ليلة أُسري به ببيت المقدس؛ حيث قال ~ بعد أن ذكر الروايات التي تؤيد هذا القول: « هذا هو الصحيح في تفسير هذه الآية » ا.هـ [1].

◈ الدراسة والمناقشة:

يخاطب الله جل وعلا نبيه الكريم ﷺ فيأمره بأن يسأل المرسلين من قبله، هل أرسلهم الله جل وعلا إلا بالتوحيد والإخلاص، والدعوة إلى الله سبحانه؟[2]

وقد اختلف أهل العلم في من المراد بهذا السؤال على أقوال:

القول الأول:

أن الذين أمر رسول الله ﷺ بمسألتهم ذلك، هم مؤمنوا أهل الكتابين: التوراة والإنجيل، والمعنى:

وأسأل أممهم، وعلماء دينهم عن كتبهم وأنبيائهم ورسلهم: هل وجد في شيء من كتبهم أنزل الله عليهم عبادة غير الله تعالى وتوحيده، والإخلاص له سبحانه؟

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٥٥).

(٢) قال أهل العلم: وسبب هذا الأمر بالسؤال: أن اليهود والمشركين قالوا للنبي ﷺ: إن ما جئت به مخالف لمن كان قبلك، فأمره الله بسؤاله الأنبياء على جهة التوقيف والتقرير؛ لا لأنه كان في شك منه.
ينظر: النكت والعيون للماوردي (٥/ ٢٢٨)، وجامع القرطبي (١٩/ ٥٦).

ويكون هذا السؤال على وجه التقرير والتوبيخ[1].

وهذا المعنى المتقدم رُوي عن جماعة من السلف، منهم: ابن عباس ﭭ[2]، وقتادة[3]، ومقاتل بن سليمان[4]، ومجاهد، والضحاك، والسدي، والحسن، والكلبي[5].

واختار هذا القول أكثر المفسرين[6].

ويستدل لهذا القول بقراءة ابن مسعود ﭬ من رواية الضحاك: ﴿واسأل ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَ﴾[7]، ورُوي عن مجاهد أنه قال: في قراءة عبدالله بن مسعود ﭬ:

---

(١) ينظر: معاني النحاس (٦/ ٣٦٥)، والزجاج (٤/ ٤١٤).

(٢) ذكر البغوي في تفسيره (٤/ ١٢٦) أن هذا قول ابن عباس في سائر الروايات، وذكر السيوطي في الدر (٧/ ٣٣٠) عنه من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس أنه قال في الآية: سل الذين أرسلنا إليهم قبلك من رسلنا. وعزاه إلى: عبد بن حميد فقط.

(٣) أخرجه الصنعاني في تفسيره (٢/ ١٩٧) بلفظ: « قال في بعض الحروف (واسأل الذين أرسلنا إليهم من قبلك من رسلنا)، والطبري في تفسيره (١١/ ١٩٢)، وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٣٠) دون ذكر القراءة، وعزاه أيضاً إلى: عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤) ينظر: تفسيره (٣/ ١٩١).

(٥) ذكر هذا القول عن هؤلاء الأئمة أو عن بعضهم جماعة من المفسرين.
ينظر: تفسير السمرقندي (٣/ ٢٥٩)، والبغوي (٤/ ١٢٦)، وابن عطية (٤/ ٥٧)، وابن الجوزي (٧/ ١٢٩)، وأبو حيان (٩/ ٣٧٧)، والشوكاني (٤/ ٧٢٩).. وغيرهم.

(٦) عزاه البغوي في تفسيره (٤/ ١٢٦) إلى أكثر المفسرين.
وممن اختاره وذهب إليه أو قدَّمه على غيره: محمد بن يزيد المبرِّد (كما قال النحاس في معانيه ٦/ ٣٦٥، والقرطبي في تفسيره ١٩/ ٥٥)، والطبري (١١/ ١٩٢)، والزجاج (٤/ ٤١٤)، والنحاس في إعرابه ص(٨١٥)، وفي معانيه (٦/ ٣٦٥)، والسمرقندي (٣/ ٢٥٩)، والسمعاني (٥/ ١٠٥)، وابن الأنباري (كما قال ابن الجوزي في الزاد ٧/ ١٣٩)، والبغوي (٤/ ١٢٦)، والبيضاوي (٢/ ٣٧٤)، وأبو السعود في تفسيره (٦/ ٣٦).

(٧) رُويت هذه القراءة عن ابن مسعود من طريق الضحاك عنه، وأخرج هذه الرواية الطبري في تفسيره (١١/ ١٩٢) من طريق أبي معاذ عن عبيد عن الضحاك به.

=⇦

(وسل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا)[١].

القول الثاني:

أن الخطاب في الآية للنبي ﷺ، والمراد به المشركون، على اعتبار أن في الآية حذفاً تقديره: واسألوا أيها المشركين من أرسلنا إليه من قبل النبي محمد ﷺ رسلاً من رسلنا: أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون.

قاله ابن قتيبة[٢]، وبالآية استشهد البغوي على كون الخطاب موجهاً للنبي ﷺ والمراد غيره ممن شك في تنزيل القرآن [٣].

ورده النَّحاس في إعرابه، فقال بعد ذكره لهذا القول:

« أما حذف رسل ههنا فجائز؛ لأن من رسلنا يدل عليه، كما قال الشاعر:

كأَنَّكَ مِن جِمالِ بَنِي أُقَيْشٍ [٤]

= وهذه القراءة عن ابن مسعود -إن ثبتت- فإنها محمولة على التفسير، لا أنها قراءة.

ينظر: شواذ الكرماني ص(٤٢٨)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٢٣٠)، والصابوني في تحقيقه لمعاني القرآن للنحاس (٦/ ٣٦٦، حاشية ٣).

وممن استدل بهذه القراءة: النحاس في معانيه، حيث قال: « ويصحح هذا القول... » فذكرها.

(١) أخرج هذه الرواية الطبري في تفسيره (١١/ ١٩٢) بسند صحيح عن مجاهد، وذكرها النحاس في معانيه، وعقب عليها بقوله: « فهذه قراءة مفسرة »، وكذا قال القرطبي في تفسيره (١٩/ ٥٥).

وهذه القراءة نسبها البعض أيضاً إلى أبي بن كعب رضي الله عنه.

ينظر: البغوي (٤/ ١٢٦)، وابن عطية (٥/ ٥٧).

(٢) ينظر: غريب القرآن ص(٣٤٤)، وذكره النحاس في معانيه فقال: « وزعم ابن قتيبة أن التقدير: واسأل من أرسلنا إليه من قبلك رسلاً من رسلنا، فحذف (إليه) لأن في الكلام دلالة عليه، وحذف (رسلاً) لأن « من رسلنا » يدل عليه، وزعم أن الخطاب للنبي ﷺ والمراد المشركون ».

(٣) ينظر: شرح السنة للبغوي (١/ ١١٧).

(٤) صدر بيت للنابغة الذبياني، كما قال البغدادي في خزانة الأدب (٥/ ٦٨) والبيت بتمامه:

كأنك من جمال بني أقيش　　　يقعْقِع خلف رجليه بشَنِّ.

=

والتقدير: كأنك جمل من جمال بني أقيش.

وأما حذف (إليه) فلا يجوز، لو قلت: مررت بالذي ضربت، أو بالذي قام، وأنت تقدر: حذف الخفض والمضمر لم يجز، وإنما يجوز حذف المضمر الذي في الصلة.

وقوله: المخاطب النبي ﷺ، والمراد به المشركون، كلامٌ فيه نظر »[1].

القول الثالث:

أن الآية على ظاهرها، بمعنى: أن الله جل وعلا يخاطب نبيه فيأمره بسؤال الأنبياء من قبله ﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ .

فإن قيل: متى يكون هذا السؤال؟

فيجاب عنه بما رُويَ عن ابن عباس { [2]، وابن زيد[3]، وابن جبير[4]، بما معناه: أن الله جل وعلا أمره بالسؤال ليلة أسري به ﷺ إلى المسجد الأقصى، ولقائه بالأنبياء، لكنه لم يشك ولم يسأل عليه الصلاة والسلام وهذا ما رجحه القرطبي ~ .

ونسب الإمام الشوكاني هذا القول إلى جماعة من السلف[5] .

=

وبنو أقيش: حي من الجن، إليهم تنسب الإبل الأقيشية، وقال ثعلب: هم قوم من العرب.

ينظر: المحكم (٣/ ٧٣)، الروض الأنف (١/ ٣٣٦).

(١) ينظر: إعراب القرآن ص(٨١٥).

(٢) رُويَ عن ابن عباس { أنه قال: لما أسري بالنبي ﷺ بعث الله له آدم وولده من المرسلين، فأذَّن جبريل، ثم أقام وقال: يا محمد ﴿مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ الآية، فقال رسول الله ﷺ: «لا أسأل فقد اكتفيت».

ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ١٢٦)، وابن الجوزي (٧/ ١٣٩)، والقرطبي (١٩/ ٥٤)، وأبو حيان (٩/ ٣٧٧).

(٣) أخرجه الطبري بنحو قول ابن عباس (١١/ ١٩٢).

(٤) ذكره النحاس في معانيه (٦/ ٣٦٥).

(٥) ينظر: فتح القدير (٤/ ٧٢٩).

القول الرابع:

أن السؤال المذكور في الآية ليس المراد منه السؤال على الحقيقة، إنما المراد منه: النظر والاستدلال، أي: انظر يا محمد في أديانهم، وتفحص في مللهم، هل جاءت فيها عبادة الأوثان قط.

قدَّم هذا القول الزمخشري[(١)]، وكذا النسفي[(٢)]، وذكر الفخر الرازي: أن ذكر السؤال في موضع لا يمكن السؤال فيه يكون المراد منه النظر والاستدلال[(٣)].

وقال أبو حيان: «والسؤال الواقع مجاز عن النظر، حيث لا يصلح لحقيقته، كثير منه مساءلة الشعراء الديار والأطلال، ومنه: سل الأرض من شق أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك، فإنها إن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً»[(٤)].

هذه أشهر الأقوال في الآية.

---

(١) ينظر: الكشاف (٤/ ٢٤٨).

(٢) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٧٤).

(٣) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ١٩٥).

(٤) البحر المحيط (٩/ ٣٧٧). وهذه المساءلة من كلام فضل الرقاشي حيث كان سجَّاعاً في قصصه. ينظر: ربيع الأبرار (١/ ٢٩)، وكتاب الصناعتين (١/ ٥).

◊ الترجيـــــح:

يظهر لي -والله أعلم- أن الأولى بالصواب هو القول الأول؛ وهو قول جماعة من السلف وجمهور المفسرين، وذلك لما يلي:

أولاً: إمامة القائلين به.

ثانياً: صحة نسبة القراءة (وسل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا) عن عبدالله بن مسعود ﷺ، من طريق مجاهد.

وإن قيل: كيف يجوز أن يقال: سل الرسل، ويكون معناه: سل المؤمنين بهم وبكتبهم؟

فيجاب عن ذلك بأن هذا الأسلوب فصيح صحيح، وقد جاء في القرآن نظير ذلك، كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[النساء:٥٩]، ومعلوم أن الرد إنّما هو إلى كتاب الله تعالى، وسنة رسول الله ﷺ، «وأن المحاورة في ذلك إنّما هي لتُبَّاعهم وحفظة الشرع»[١].

وهذا السؤال من النبي ﷺ ليس من باب الشك، إنما هو من باب التعريض بالكفار، كما قال ﷻ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَ﴾[يونس:٩٤][٢].

ثالثاً: لعلَّ مما يستأنس به في تقوية هذا القول؛ وتضعيف ما رجحه الإمام القرطبي ~ أمران:

الأول: أن الروايات التي استدل بها على قوله من طريق ابن عباس وابن زيد وغيرهما؛ تحتاج إلى تتبع لأسانيدها وتثبت من صحتها، وهذا يصعب لأنها من

---

(١) ينظر: جامع الطبري (١١/ ١٩٢)، وتفسير ابن عطية (٥/ ٥٧).

(٢) ينظر: الإتقان للسيوطي (٢/ ٩١).

الإسرائيليات[1].

الثاني: أن الإسراء وقع في العهد المكي؛ والآية الكريمة التي فيها الأمر بسؤال الرسل وهي قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ ﴾ نزلت بالمدينة على قول مقاتل[2]، فإن صحَّ هذا القول فإنه يمتنع سؤال النبي ﷺ للرسل ليلة أُسري به.

والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.

---

(١) الإسرائيليات: تشمل ما تأثر به تفسير القرآن من الثقافتين اليهودية والنصرانية، وكل دخيل على التفسير مما فيه مبالغة، ودسّ وكذب وتحريف، ولو كان مروياً عن غير أهل الكتاب، أو متعلقاً بقصص غير واردة في أسفار أهل الكتاب، كقصة هود وقومه عاد، وصالح وقومه ثمود وغيرهم، وإنما سميت هذه الأخبار على اختلاف مصادرها بالإسرائيليات تغليباً للجانب اليهودي الذي اشتهر أمره فكثر النقل عنه؛ لكثرة أهله وظهورهم، وشدة اختلاطهم بالمسلمين من مبدأ ظهور الإسلام إلى أن بسط رواقه على كثير من بلاد العالم، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

ينظر: التفسير والمفسرون (١/ ١١٣-١١٤)، والإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص(٧١).

(٢) لم أجده في تفسيره، وذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٢٧)، والقرطبي في جامعه (١٩/ ٥)، وأبو حيان في البحر المحيط (٩/ ٣٥٨).

قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾.

۞ مسألة: المراد بالأنهار في قوله تعالى: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ .

◊ ترجيح القرطبي:

رجَّح الإمام القرطبي ~ أن المراد بالأنهار أي الخلجان التي تجري من النيل، وضعف ما سواه من الأقوال، حيث يقول: « ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ يعني: أنهار النيل، ومعظمُها أربعة: نهر الملك[1]، ونهر طولون، ونهر دمياط[2]، ونهر تِنيس[3]، قال قتادة: كانت جِنانا وأنهاراً تجري من تحت قصوره » أ.هـ[4].

---

(١) نهر الملك: كورة واسعة ببغداد بعد نهر عيسى، قيل أنه أول من حفره سليمان بن داود عليهما السلام، وقيل: الإسكندر.

ينظر: معجم البلدان (٥/ ٣٢٤)، وعصر الخلافة الراشدة (١/ ١٩٩).

(٢) نهر دمياط: دمياط هي مدينة على ساحل البحر وإليها ينتهي ماء النيل، ثم يفترق نهر النيل من دمياط، ومن شمالها يصب ماء النيل إلى البحر.

ينظر: البلدان لليعقوبي (١/ ٤٢)، معجم البلدان (٢١/ ٤٧٣).

(٣) نهر تنيس: بكسرتين وتشديد النون، جزيرة في بحر قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط، أجري النيل إليها.

ينظر: معجم البلدان (٢/ ٥١).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٥٩).

◊ الدراسة والمناقشة:

وافق القرطبي في ترجيحه هذا ما رُوي عن قتادة[١].

وهو قول جمهور المفسرين كالطبري[٢]، والسمعاني[٣]، والبغوي[٤]، والزمخشري[٥]، وابن عطية[٦]، وابن الجوزي[٧]، والفخر الرازي[٨]، والبيضاوي[٩]، والنسفي[١٠]، وابن جزي[١١]، وأبي حيان[١٢]، وابن كثير[١٣]، والمحلي[١٤]، ومحي الدين زاده[١٥]،

---

(١) ينظر: جامع البيان (١١/ ١٩٥).

(٢) ينظر: المصدر السابق.

(٣) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ١٠٨).

(٤) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٣٧).

(٥) ينظر: الكشاف (٤/ ٢٥١).

(٦) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٥٩).

(٧) ينظر: زاد المسير (٧/ ١٣٩).

(٨) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ١٩٧).

(٩) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٧٤).

(١٠) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٧٦).

(١١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٥٤).

(١٢) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٨١).

(١٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٣١).

(١٤) ينظر: تفسير الجلالين (١/ ٦٥٢).

(١٥) ينظر: حاشية زاده (٧/ ٤٧٤).

ومحي الدين زاده هو: محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي، محيي الدين الحنفي، المعروف بـ «شيخ زاده» مفسر من فقهاء الحنفية، كان مدرساً باستانبول، له حاشية على تفسير البيضاوي جدّ نافعة، توفي سنة (٩٥١هـ).

ينظر: كشف الظنون (١/ ١٩٨)، وهدية العارفين (٦/ ١٨٩)، والأعلام (٧/ ٩٩).

وأبي السعود[١]، والشوكاني[٢]، والألوسي[٣]، والمراغي[٤]، والسعدي[٥]، والطاهر بن عاشور[٦].

قال البيضاوي: « يعني أنهار النيل، ومعظمها أربعة أنهر: نهر الملك، ونهر طولون، ونهر دمياط، ونهر تِنِّيس » [٧].

وقال الشوكاني: «والمراد أنهار النيل وقال الضحاك: أراد بالأنهار القواد والجبابرة والرؤساء وأنهم يسيرون تحت لوائه، وقيل أراد بالأنهار الأموال، والأول أولى » [٨].

◊ الترجيح:

إذا تقرر هذا فإن قول القرطبي والجمهور معه هو الصواب، ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية النَّاصَّة على أنه: « لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل »، ومن أن: « تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ » [٩].

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.



---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/ ٣٦).

(٢) ينظر: فتح القدير (٤/ ٧٣٠، ٧٣١).

(٣) ينظر: روح المعاني ص(١١٩).

(٤) ينظر: تفسيره ص(٩٨).

(٥) ينظر: تيسير الكريم ص(٨٢٩).

(٦) ينظر: التحرير والتنوير ص(٢٢٩، ٢٣٠).

(٧) أنوار التنزيل (٢/ ٣٧٤).

(٨) فتح القدير (٤/ ٧٣٠، ٧٣١).

(٩) ينظر: قواعد الترجيح للحربي (١/ ١٣٧، ٢٨٨).

قوله تعالى: ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾.

في الآية أربع مسائل:

۞ المسألة الأولى: معنى: ﴿ أَمْ ﴾ في قوله: ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ﴾.

◊ ترجيح القرطبي:

رجَّح الإمام القرطبي ~ أنَّ ﴿ أَمْ ﴾ بمعنى « بل » حيث يقول: «... قال أبو عبيدة والسدي: « أم » بمعنى « بل » وليست بحرف عطف، على قول أكثر المفسرين، والمعنى: قال فرعون لقومه: بل أنا خير ﴿مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾ » ا.هـ [١].

◊ الدراسة والمناقشة:

وافق القرطبي في ترجيحه هذا المروي عن السدي[٢]، ومقاتل[٣]، وقول أبي عبيدة[٤]، والبغوي[٥]، والعز بن عبد السلام[٦]، وابن كثير[٧]، والشوكاني[٨].

وهو ظاهر عبارة السعدي[٩]، وقدَّمه الفخر الرازي[١٠].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٦٠).

(٢) أخرجه الطبري في جامعه (١١/ ١٩٥).

(٣) ينظر: تفسيره (٢/ ١١٦).

(٤) ينظر: المجاز في القرآن (٢/ ٢٠٤).

(٥) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٢٧).

(٦) ينظر: تفسيره (٢/ ١٩١).

(٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٣١).

(٨) ينظر: فتح القدير (٤/ ٧٣١).

(٩) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨٢٩).

(١٠) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ١٩٧).

قال البغوي: « ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٌ﴾: بل أنا خير، ﴿أَمۡ﴾ بمعنى بل وليس بحرف عطف على قول أكثر المفسرين »[1].

ويقول ابن كثير: « قال السدي: يقول: بل أنا خير من هذا الذي هو مهين. وهكذا قال بعض نحاة البصرة إنَّ ﴿أَمۡ﴾ هاهنا بمعنى « بل ».

ويؤيد هذا ما حكاه الفراء عن بعض القراء أنه قرأها: ﴿أَمَا أَنَا۠ خَيۡرٌ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ٥٢﴾ قال الطبري: « ولو صحت هذه القراءة لكان معناها صحيحاً واضحاً، ولكنها خلاف قراءة الأمصار، فإنهم قرؤوا: ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٌ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ٥٢﴾ على الاستفهام »[2].

ويقول الشوكاني: « أم: هي المنقطعة المقدَّرة ببل التي للإضراب دون الهمزة التي للإنكار، أي: بل أنا خير »[3].

وذهب الطبري إلى أن ﴿أَمۡ﴾ هنا من الاستفهام الذي جُعل بأم لاتصاله بكلام قبله، وَوَجَّهَهُ إلى أنه بمعنى: أأنا خير من هذا الذي هو مهين؟ أم هو؟ لما في الكلام من الدليل عليه[4].

وجوَّز هذا القول الفراء، حيث قال: إن شئت جعلتها من الاستفهام الذي جعل بأم لاتصاله بكلام قبله[5].

قال الزركشي[6]: « وفيها قول ثالث، قال أبو زيد: إنها زائدة، وإن التقدير: أفلا

---

(١) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٢٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٣١).

(٣) فتح القدير (٤/ ٧٣١).

(٤) ينظر: جامع البيان (١١/ ١٩٦).

(٥) ينظر: معاني القرآن (٣/ ٣٥).

(٦) محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، أبو عبد الله المصري، الإمام العالم العلامة صاحب التصانيف النافعة المشهورة، وكان عالماً بالحديث والتفسير وعامة العلوم والفنون، توفي سنة (٧٩٤هـ).
=

تبصرون أنا خير منه ؟

والمشهور أنها منقطعة؛ لأنه لا يسألهم عن استواء علمه في الأول والثاني؛ لأنه إنما أدركه الشك في تبصرهم بعد ما مضى كلامه على التقدير، وهو مثبت وجواب السؤال « بلى » فلما أدركه الشك في تبصرهم، قال: ﴿ أَمۡ أَنَاْ خَيۡرٌ ﴾ »[1].

◊ الترجيـــح:

الذي يظهر لي -والعلم عند الله- أن ما ذهب إليه القرطبي والجمهور معه هو الراجح، وما سواه من الأقوال مرجوحاً، وذلك لإمامة القائلين به ولموافقته لقواعد الترجيح النَّاصَّة على أنه: « إذا دار الكلام بين الزيادة والتأصيل فحمله على التأصيل أولى »[2].

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.

= ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٣/ ١٦٧، ١٦٨)، وطبقات الداوودي (٢/ ١٦٢، ١٦٣).

(١) البرهان في علوم القرآن (٣/ ١١٧).

(٢) قواعد الترجيح للحربي (٢/ ٤٩٥).

۞ **المسألة الثانية: في معنى قوله: ﴿مَهِينٌ﴾.**

◊ **ترجيح القرطبي:**

رجَّح الإمام القرطبي ~ أن المراد بقول فرعون ﴿مَهِينٌ﴾ أي: ضعيف وذليل وحقير -حاشاه عليه الصلاة والسلام من ذلك- حيث يقول: «... ﴿مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾ أي: لا عِزَّ له؛ فهو يمتهن نفسه في حاجاته لحقارته وضعفه » ا.هـ [(١)].

◊ **الدراسة والمناقشة:**

في هذه الآيات يخبر سبحانه وتعالى عن قول فرعون لقومه، وإثبات أحقيته بالملك والسلطان من موسى عليه السلام، وذلك بأن له ملك مصر وقصورها وأنهارها، وموسى عليه السلام لا يملك من ذلك شيئاً، بل هو ﴿مَهِينٌ﴾ حاشاه من ذلك عليه السلام، ومقصود فرعون من هذا الخطاب هو: تعظيم أمره، وتحقير وتصغير أمر موسى عليه السلام، وأنه لا يمكن أن يتبع الأعلى الأدنى والفاضل المفضول.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى كلمة ﴿مَهِينٌ﴾ على أقوال:

القول الأول:

أنها بمعنى الضعيف الذليل. وهو مروي عن مقاتل[(٢)]، وعن قتادة والسدي أنهما قالا: الضعيف[(٣)].

وهو اختيار القرطبي، وإليه ذهب جمهور المفسرين[(٤)]، ومنهم:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٦٠).

(٢) ينظر: تفسيره (٣/ ١٩٢)، وذكره عنه ابن الجوزي في الزاد (٧/ ١٣٩).

(٣) أخرج قولهما الطبري في جامعه (١١/ ١٩٦).

(٤) أقوال عامة أهل التفسير تدور حول هذين المعنيين، أي: الضعف، والذلة، وعبر أكثرهم عن الذلة بالحقارة، وعبر عنها القرطبي بنفي العزة عنه، فقال: « أي: لا عِزَّ له ». أي بمعنى: ذليل.

النحاس[١]، والسمرقندي[٢]، وابن أبي زمنين[٣]، والثعلبي[٤]، والواحدي[٥]، والسمعاني[٦]، والبغوي[٧]، والزمخشري[٨]، والنسفي[٩]، والخازن[١٠]، وابن جزي[١١]، والمحلي في الجلالين[١٢]، وابن عادل[١٣].

قال الشوكاني: « أي: ضعيف حقير ممتهن في نفسه، لا عِزَّ له »[١٤].

القول الثاني:

أن المهانة بمعنى القلة، أي: قليل المال، وسمي كذلك لأنه ليس له ما يكفيه، فيمتهن نفسه في حاجاته ومعاشه.

قال الزجاج: « يقال: شيء مهين أي: قليل، وهو فعيل من المهانة »[١٥].

وقال النحاس في معانيه: « والمهين: القليل من المهانة »[١٦].

---

(١) ينظر: إعراب القرآن ص(٨١٦).

(٢) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٢٦٠).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٩١).

(٤) ينظر: الكشف والبيان (٥/ ٤١٨).

(٥) ينظر: الوسيط (٤/ ٧٧).

(٦) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ١٠٩).

(٧) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٢٧).

(٨) ينظر: الكشاف (٤/ ٢٥١).

(٩) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٧٦، ٢٧٧).

(١٠) ينظر: لباب التنزيل (٤/ ١١١).

(١١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٥٤).

(١٢) ينظر: تفسير الجلالين ص(٦٥٢).

(١٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (١٧/ ٢٧٨).

(١٤) فتح القدير (٤/ ٧٣١).

(١٥) معاني القرآن (٤/ ٤١٥).

(١٦) معاني القرآن (٦/ ٣٧٠).

وقال أيضاً في إعرابه: « وفي معنى « مهين » قولان: قيل: معناه: الذي يمتهن نفسه في حاجاته ومعاشه، ليس له من يكفيه.

وقال الكسائي: المهين: الضعيف الذليل، وقد مَهُن مهانةً وهذا أولاهما بالصواب»[1].

◊ **الترجيـــــح:**

الذي يتبين لي -والله أعلم- أن كلا القولين صواب، ويؤكد أحدهما معنى الآخر؛ لأن الذِّلة والحقارة والضعف كلها أمور ناشئة عن قلة المال، وضعف الحال.

وهذا المعنى صحيح لغةً وتفسيراً:

أما لغة: فقد جاء في اللسان العربي: أن المهانة تطلق على الضعف، والحقارة، والذلة، والقلة، فهي معاني مترادفة.

فالمهين من الرجال: الضعيف، ويقال: المهانة -بالفتح- الحقارة والصُّغْر، ومنه الهوان، وهو الضعف والتذلل، كما قال تعالى واصفاً عباده: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان:١٣] أي: مشياً هيناً لا فظاظة فيه ولا شدة[2].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾ [القلم:١٠] هو فعيل من المهانة، وهي: القلة[3]، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ [المرسلات:٢٠] أي: من ماء قليل ضعيف[4].

---

(١) إعراب القرآن ص(٨١٦).

(٢) ينظر: تسهيل ابن جزي (٤/ ٥٤)، وإرشاد أبي السعود (٦/ ٣٧).

(٣) ينظر: معاني الزجاج (٤/ ٤١٥)، والكشاف (٤/ ٢٥١)، والتفسير الكبير (٩/ ١٩٧).

(٤) ينظر: في المعنى اللغوي الكلمة: كتاب العين (٤/ ٦١)، والمحكم (٤/ ٣٣٧)، وأساس البلاغة ص(٦٠٩)، ومفردات الراغب ص(١٨٥)، ص(٤١٠، ٤١١)، ولسان العرب (١٣/ ٥٢٤، ٥٢٥) والقاموس ص(١٥٩٥)، والمختار ص(٢٦٦)، وتاج العروس (٣٦/ ٢١٩).

وأما تفسيراً: فالمعنى متقارب، وقد جمع بينهما بعض المفسرين، يقول الطبري ~ : « من هذا الذي هو ضعيفٌ لقلة ماله، وأنه ليس له من الملك والسلطان ما له » [(١)].

ويقول الفخر الرازي: « فقيراً ضعيف الحال » [(٢)].

ومما يقوي صحة القولين أيضاً: دلالة السياق، حيث أعقب الله جل وعلا هذه الآية بقوله: ﴿ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ [الزخرف:٥٣]، فَذِكْر الأسورة، ومجيء الملائكة يدل على أن المهانة في نظر فرعون هي: قلة المال، وضعف الجاه والسلطان.

« وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له » [(٣)].

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.

---

(١) جامع البيان (١١/ ١٩٦).

(٢) التفسير الكبير (٩/ ١٩٧).

(٣) قواعد الترجيح للحربي (١/ ١٢٥).

۞ المسألة الثالثة: بيان سبب اتهام موسى الكليم من فرعون اللعين بعدم الإبانة في الكلام، في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾.

◊ ترجيح القرطبي:

رجَّح الإمام القرطبي ~ أنَّ المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ أي: بسبب العُقدة التي في لسانه، حيث يقول: « يعني ما كان في لسانه من العُقدة »[1].

ثم يقول مبيناً ومرجحاً سبب العُقدة: « يعني العُجْمَةُ التي كانت فيه من جمرة النار التي ألقاها في فيهِ وهو طفلٌ.

قال ابن عباس: « كانت في لسانه رُتَّة، وذلك أنه كان في حِجر فرعون ذات يومٍ وهو طفل، فلطَمه لَطْمةً، وأخذ بلحيته فنتفها، فقال فرعون لآسية: هذا عدوِّي، فهاتِ الذَّبَّاحين، فقالت آسية: على رِسْلك، فإنه صبيٌّ لا يُفرِّق بين الأشياء، ثم أتَتْ بطَسْتين، فجعلت في أحدهما جمراً وفي الآخر جوهراً، فأخذ جبريل بيد موسى فوضعها على النار، حتى رفع جمرةً ووضعها في فيه على لسانه، فكانت تلك الرُّتَّة.

وقيل: إن تلك العُقدةَ حدثتْ بلسانه عند مناجاة ربه حتى لا يُكلِّمُ غيرَه إلا بإذنه» ا.هـ [2].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٦٠).

(٢) المصدر السابق (١٤/ ٥١، ٥٢).

◊ **الدراسة والمناقشة:**

وافق القرطبي في ترجيحه هذا المروي عن ابن عباس { [1]، وقتادة والسدي[2]، ومقاتل[3]، وقول الطبري[4]، والنحاس[5]، وابن أبي زمنين[6]، والثعلبي[7]، والسمعاني[8]، والبغوي[9]، وابن عطية[10]، وابن الجوزي[11]، والرازي[12].

ووافقهم البيضاوي[13]، والنسفي[14]، وابن جُزي[15]، وأبو حيان[16]،

---

(١) أخرجه السيوطي في الدر (٧/ ٣٣١).

(٢) أخرج قولهما الطبري في تفسيره (١١/ ١٩٦).

(٣) ينظر: تفسيره (٣/ ١٩٢).

(٤) ينظر: جامع البيان (١١/ ١٩٦).

(٥) ينظر: معاني القرآن (٦/ ٣٧١).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٩١).

(٧) ينظر: الكشف والبيان (٥/ ٤١٨).

(٨) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ١٠٩).

(٩) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ٢٥١).

(١٠) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٥٩).

(١١) ينظر: زاد المسير (٧/ ١٤٠).

(١٢) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ١٩٧).

(١٣) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٧٥).

(١٤) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٧٧).

(١٥) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٥٤).

(١٦) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٨٢).

وابن كثير[١]، وابن عادل[٢]، وأبو السعود[٣]، والشوكاني[٤]، والألوسي[٥]، والشنقيطي[٦].

ونسب هذا القول للجمهور أبو حيان[٧]، والألوسي[٨].

وقد ذكر أكثر المفسرين أن سبب العُقدة التي في لسان موسى عليه السلام الجمرة التي ألقاها في فيه وهو طفل، وبعضهم لم يذكر لها سبباً.

قال الطبري: « ولا يكاد يُبين الكلام من عِيّ لسانه »[٩].

وقال النسفي: « ولا يكاد يُبين الكلام لما كان به من الرُّتّة »[١٠].

وقال السعدي: « لا يكاد يبين عما في ضميره بالكلام، لأنه ليس بفصيح

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٣١).

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (١٧/ ٢٧٨).

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/ ٣٧).

(٤) ينظر: فتح القدير (٣/ ٤٩٩).

(٥) ينظر: روح المعاني (٢٥/ ١١٩).

(٦) ينظر: أضواء البيان (٤/ ٥٠٦).

(٧) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٨٢، ٣٨٣).

(٨) ينظر: روح المعاني (٢٥/ ١١٩).

(٩) جامع البيان (١١/ ١٩٦).

والعِيُّ: خلاف البيان، وقد عَيَّ في منطقه وعَيِيَ أيضاً، وهو العجز عن التعبير اللفظي بما يفيد المعنى المقصود.

ينظر: الصحاح (٢/ ١٠)، المعجم الوسيط (٢/ ٦٤٢).

(١٠) مدارك التنزيل (٣/ ٢٧٧).

والرُّتّة: بالضم حبسة في اللسان تمنع الكلام، وقيل: عجلة في الكلام وقلة إبانة.

ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (٩/ ٤٦٢)، المصباح المنير (٣/ ٣٤٨).

اللسان، وهذا ليس من العيوب في شيء، إذا كان يبين ما في قلبه، ولو كان الكلام ثقيلاً عليه » [1].

وذهب بعض المفسرين أن العُقدة حدثت بلسانه عند مناجاة ربه، حتى لا يُكلِّمَ غيره إلا بإذنه، قاله الماوردي[2]، وذكره تضعيفاً القرطبي[3].

وذهب السمرقندي إلى أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ أي: لا يستطيع بيان الحجة، حيث قال: « يعني لا يكاد يُعَبِّر حُجَّة » [4].

وذهب القاسمي إلى أن المعنى من عدم الإبانة هو اختلاف اللغة، حيث يقول: «« ولا يكاد يبين » أي: الكلام؛ لمخالفة اللغة العبرانية اللغة القبطية » [5].

◊ الترجيـــــح:

بعد عرض أقوال المفسرين يتبيِّن لي -والله أعلم- أن الراجح من الأقوال في سبب اتهام فرعون اللعين لموسى الكليم بعدم الإبانة هو: لعُقدةٍ كانت بلسانه حدثت له، وليس هناك سند قوي يُعتمد عليه في قصة الجمرة، ويبقى السؤال: هل زالت أم بقيت؟

هذا ما يكون تحريره -بإذن الله وعونه وتوفيقه- في المسألة الرابعة.

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.



(١) تيسير الكريم الرحمن ص(٨٢٩).

(٢) ينظر: النكت والعيون (٣/ ٤٠٠).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٥٢).

(٤) بحر العلوم (٣/ ٢٦٠).

(٥) محاسن التأويل (٨/ ٣٥٤٢).

۞ **المسألة الرابعة: هل زالت العُقدة أم بقيت؟**

◊ **ترجيح القرطبي:**

رجَّح الإمام القرطبي ~ أنها لم تَـزُلْ كلُّها؛ حيث يقول: « ثم اُختلف هل زالت تلك الرُّتَّه؟ فقيل: زالت، بدليل قوله: « قد أوتيت سؤلك يا موسى » وقيل: لم تَزُل كلُّها، بدليل قوله حكاية عن فرعون: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ ؛ ولأنه لم يقل: احلل كلَّ لساني، فدلَّ على أنه بقي في لسانه شيء من الاستمساك.

وقيل: زالت بالكُلِّيَّة، بدليل قوله: ﴿أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾، وإنما قال فرعون: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾؛ لأنه عرف منه تلك العُقدة في التربية، وما ثبت عنده أن الآفة زالت.

قلت: وهذا فيه نظر؛ لأنه لو كان ذلك، لما قال فرعون: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ حين كلَّمه موسى بلسان ذَلِقٍ فصيح، والله أعلم » ا.هـ [(١)].

◊ **الدراسة والمناقشة:**

اختلف المفسرون في هذه المسألة على قولين:

القول الأول:

أنها زالت بالكلية، بدليل قوله تعالى له في سورة طه: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه:٣٦] وهو قول مقاتل[(٢)]، وقال به الطبري[(٣)]، وابن الجوزي[(٤)]، وأبو السعود[(٥)].

قال أبو السعود: « والحق أن ما ذكر لا يدل على بقائها في الجملة، أما قوله تعالى:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٥٢).

(٢) ينظر: تفسيره (٣/ ١٩٢).

(٣) ينظر: جامع البيان (٨/ ٤١٠).

(٤) ينظر: زاد المسير (٥/ ٢٠٩).

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/ ٣٧).

﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [القصص:٣٤]؛ فلأنه عليه الصلاة والسلام قاله استدعاء لحل كما ستعرفه على أن أفصحيته منه -عليهما الصلاة والسلام- لا تستدعي بقاءها أصلاً بل تستدعي عدم البقاء لما أن الأفصحية توجب ثبوت أصل الفصاحة في المفضول أيضاً وذلك مناف للعُقدة رأساً.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ فمن باب غلو اللعين في العتو والطغيان وإلا لدلَّ على عدم زوالها أصلاً، وتنكيرها إنما يفيد قلتها في نفسها لا قلتها باعتبار كونها بعضا من الكثير، وتعلق كلمة « من » في قوله تعالى: ﴿مِّن لِّسَانِي﴾ بمحذوف هو صفة لها ليس بمقطوع به، بل الظاهر تعلقها بنفس الفعل، فإن المحلول إذا كان متعلقاً بشيء ومتصلاً به فكما يتعلق الحل به يتعلق بذلك الشيء أيضاً باعتبار إزالته عنه أو ابتداء حصوله منه[١].

القول الثاني:

أنها لم تَزُل كلها؛ بدليل قوله حكاية عن فرعون: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ ولأنه لم يقل: احلل كل لساني، فدلَّ على أنه بقي في لسانه شيء من الاستمساك، وهو قول الحسن البصري[٢]، وبه قال الرازي[٣]، والبيضاوي[٤]، وابن كثير[٥]، والسيوطي[٦]، والسعدي[٧]، والشنقيطي[٨]. وهذا ما رَجَّحَه القرطبي.

---

(١) إرشاد العقل السليم (٤/ ٣٥٠).

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٥/ ٢٨٢).

(٣) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ١٩٧).

(٤) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٧٥).

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٣١).

(٦) ينظر: الدر المنثور (٧/ ٣٣١).

(٧) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨٢٩).

(٨) ينظر: أضواء البيان (٤/ ٥٠٦).

قال الرازي: « والحق أنه انحل أكثر العُقَد، وبقي منها شيء قليل.

أي: يقاربُ أنْ لا يُبين، وفي ذلك دلالة على أنه كان يبين مع بقاء قدر من الانعقاد في لسانه، وأُجيبَ عنه من وجهين:

أحدهما: المراد بقوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ أي: لا يأتي: ببيان ولا حجة.

الثاني: إنَّ كاد بمعنى قَرُبَ، ولو كان المراد هو البيان اللساني لكان معناه: أنه لا يقارب البيان، فكان فيه نفي البيان بالكلية، وذلك باطل؛ لأنه خاطب فرعون والجمع، وكانوا يفقهون كلامه، فكيف يمكن نفي البيان أصلاً؟ بل إنما قال ذلك تمويهاً؛ ليصرف الوجوه عنه » [(١)].

وقال البيضاوي: « لم يسأل حلّ عُقدة لسانه مطلقاً، بل عُقدةً تمنع الإفهام، ولذلك نكّرها وجَعلَ يفقهوا جواب الأمر، ومن لساني يحتمل أن يكون صفة عقدة، وأن يكون صلة واحلل » [(٢)].

وقال ابن كثير: « وذلك لما كان أصابه من اللَّثَغ[(٣)] حين عرض عليه التمرة والجمرة، فأخذ الجمرة فوضعها على لسانه كما سيأتي بيانه، وما سأل أن يزول ذلك بالكلية بل بحيث يزول العي، ويحصل لهم فهم ما يريد منه وهو قدر الحاجة، ولو سأل الجميع لزال، ولكن الأنبياء لا يسألون إلا بحسب الحاجة، ولهذا بقيت بقية » [(٤)].

وقال السعدي: « وكان في لسانه ثِقلٌ، لا يكاد يُفهم عنه الكلام، كما قال

---

(١) التفسير الكبير (٨/ ٤٧).

(٢) أنوار التنزيل (٢/ ٤٦).

(٣) اللَّثَغُ: مُحرَّكة، واللُّثْغَةُ بالضم: تحول اللسان من السين إلى الثاء أو من الراء إلى الغين أو اللام أو الياء أو من حرف إلى حرف أو أن لا يتم رفع لسانه وفيه ثقل.
ينظر: لسان العرب (٨/ ٤٤٨)، القاموس المحيط (١/ ١٠١٧).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٢٨٢).

المفسرون، وكما قال الله عنه: أنه قال: ﴿ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾ [القصص:٣٤] فسأل الله أن يحل منه عقدةً يفقهوا ما يقول، فيحصل المقصود التام من المخاطبة والمراجعة، والبيان عن المعاني»[1].

قال الشنقيطي ~ : « قال بعض العلماء: دلّ قوله: ﴿عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى﴾ [طه:٢٧] بالتنكير والإفراد، وإتباعه لذلك بقوله: ﴿يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾ [طه:٢٨] على أنه لم يسأل إزالة جميع ما بلسانه من العُقد، بل سأل إزالة بعضها الذي يحصل بإزالته فهم كلامه مع بقاء بعضها، وهذا المفهوم دلت عليه آيات أخر، كقوله تعالى عنه: ﴿ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾ الآية، وقوله تعالى عن فرعون: ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ والاستدلال بقول فرعون في موسى، فيه أن فرعون معروف بالكذب والبهتان، والعلم عند الله تعالى »[2].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص(٥٠٤).

(٢) أضواء البيان (٤/ ٥٠٦).

◊ **الترجيـــــح:**

يتبيّن لي -والعلم عند الله- أنَّ الراجح من الأقوال هو القول الثاني وهو أنها لم تَزُل بالكلية، وهو ما رجَّحه القرطبي ومن معه من المفسرين.

قال ابن عباس { : « شكا موسى إلى ربه ما يتخوف من آل فرعون في القتيل، وعقدة لسانه، فإنه كان في لسانه عُقدة تمنعه من كثير من الكلام، وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون، يكون له رِدْءاً، ويتكلم عنه بكثير مما لا يُفصح به لسانه، فآتاه سُؤْلَه، فحلّ عُقدةً من لسانه »[1].

وقال الحسن البصري ~ : ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾ [طه:٢٧] قال: « حل عقدة واحدةً، ولو سأل أكثر من ذلك أُعْطِي »[2].

قال ابن كثير ~ : « وهذا الذي قاله فرعون -لعنه الله- كذب واختلاق، وإنما حمله على هذا الكفر والعناد، وهو ينظر إلى موسى عليه السلام بعين كافرة شقية، وقد كان موسى عليه السلام من الجلالة والعظمة والبهاء في صورة يبهر أبصار ذوي الأبصار والألباب... وقوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ افتراء أيضاً، فإنه وإن كان قد أصاب لسانه في حال صغره شيء من جهة تلك الجمرة، فقد سأل الله عز وجل أن يحل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله، وقد استجاب الله له في ذلك في قوله: ﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦﴾ [طه:٣٦] وبتقدير أن يكون قد بقي شيء لم يسأل إزالته، كما قاله الحسن البصري، وإنما سأل زوال ما يحصل معه الإبلاغ والإفهام، فالأشياء الخَلْقِية التي ليست من فعل العبد لا يعاب بها ولا يذم عليها، وفرعون وإن كان يفهم وله عقل فهو يدري هذا، وإنما أراد الترويج على رعيته، فإنهم كانوا جهلة أغبياء »[3].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٢٨٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٢٨٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٣١-٢٣٢).

فهذه الأقوال ترجِّح أن العُقدة لم تَزُلْ بالكلية وإنما بقي في لسانه شيء من الاستمساك يحصل معه الإبلاغ والإفهام فهذا القول هو الراجح، وهو ما رجحه القرطبي ومن معه، وذلك لإمامة القائلين به، ويؤيده كلام أهل اللغة، كما بيَّناه في معنى: (كاد)، وقواعد الترجيح النَّاصَّة على أنه: « لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه »[1]، وأن: « القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك »[2]، وأن: «القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية»[3].

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.

---

(١) قواعد الترجيح للحربي (١/ ١٣٧).

(٢) المصدر السابق (١/ ٣١٢).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٥١١).

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ٥٨﴾.

مسألة: عود الضمير «هو» في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢا﴾.

ترجيح القرطبي:

رجَّح الإمام القرطبي ~ عود الضمير في الآية على عيسى عليه السلام، حيث يقول: «﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَ﴾ أي: آلهتنا خيرٌ أم عيسى؟ قاله السُّديّ، وقال: خاصموه وقالوا: إنّ كلَّ من عُبد من دون الله في النار، فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى والملائكة وعُزير، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠١]، وقال قتادة: ﴿أَمۡ هُوَ﴾ يعنون محمداً ﷺ، وفي قراءة ابن مسعود: (ألهتنا خيرٌ أمْ هذا). وهو يقوِّي قول قتادة، فهو استفهامُ تقريرٍ في أن آلهتهم خير» ا.هـ [(١)].

الدراسة والمناقشة:

وافق القرطبي في قوله هذا المنقول عن السدي، وابن زيد [(٢)].

ورجحه ابن عطية[(٣)]، وابن جزي[(٤)]، والشنقيطي[(٥)]، وهو قول جمهور المفسرين، ومنهم:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٦٧، ٦٨).

(٢) ينظر: جامع الطبري (١١/ ٢٠٢).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٦١).

(٤) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٥٦).

(٥) ينظر: أضواء البيان (٧/ ٢٧٨).

السمرقندي[١]، وابن الجوزي[٢]، والبيضاوي[٣]، والنسفي[٤]، وأبو حيان[٥]، والمحلي[٦]، وأبو السعود[٧]، والشوكاني[٨]، والألوسي[٩]، والمراغي[١٠]، والسعدي[١١]، والطاهر ابن عاشور[١٢].

وقدَّم هذا القول السمعاني[١٣]، والفخر الرازي[١٤]، ومحي الدين زاده[١٥].

وذهب قتادة إلى أن الضمير «هو» راجع إلى محمد ﷺ، وقال به الطبري[١٦]، والزمخشري[١٧].

---

(١) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٢٦١).

(٢) ينظر: زاد المسير (٧/ ١٤١).

(٣) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٧٥).

(٤) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٧٨).

(٥) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٨٥).

(٦) ينظر: تفسير الجلالين (١/ ٦٥٣).

(٧) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/ ٣٩).

(٨) ينظر: فتح القدير (٤/ ٧٣٣).

(٩) ينظر: روح المعاني (٢٥/ ١٢٣).

(١٠) ينظر: تفسيره ص(١٠٣).

(١١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨٢٩).

(١٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢٥/ ٢٣٩).

(١٣) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ١١١).

(١٤) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ١٩٩).

(١٥) ينظر: حاشية زاده (٧/ ٤٧٩).

(١٦) ينظر: جامع البيان (١١/ ٢٠٢).

(١٧) ينظر: الكشاف (٤/ ٢٥٤).

وقدَّم هذا القول البغوي[1]، وهو ظاهر عبارة ابن كثير[2].

واستدل أصحاب القول الأول بدلالة السياق، فإن سياق الآيات مع عيسى عليه السلام، وتقدُّم ذكره يدل على مرجع الضمير إليه.

قال ابن جزي: « والأظهر أن المراد بـ « هو » عيسى عليه السلام وهو قول الجمهور، ويدل على ذلك تقدم ذكره »[3].

وقال أبو حيان: « والظاهر أن الضمير في ﴿أَمْ هُوَ﴾ لعيسى، لتناسق الضمائر في قوله ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ﴾ »[4].

وقال الشيخ محمد الصابوني ~ في تحقيقه للمعاني: « هذا القول مرجوح بل ضعيف - يعني القول الثاني -، لأن الآية تتحدث عن المسيح عيسى بن مريم ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ الآية، ولا تتحدث عن محمد رسول الله ﷺ، فالصحيح قول الجمهور أن المراد به عيسى عليه السلام »[5].

وقال ابن عطية: « المراد بـ « هو » عيسى عليه السلام هذا هو المترجح »[6].

وقال العلامة الشنقيطي ~ : « التحقيق أن الضمير في قوله « هو » راجع إلى عيسى عليه السلام لا إلى محمد ﷺ »[7].

واستدل أصحاب القول المرجوح بقراءة أبي بن كعب: « أآلهتنا خير أم هذا »،

---

(١) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٢٨).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٣٥).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٥٦).

(٤) البحر المحيط (٩/ ٣٨٥).

(٥) ينظر: معاني القرآن للنحاس (٦/ ٣٧٧، حاشية ٣).

(٦) المحرر الوجيز (٥/ ٦١).

(٧) أضواء البيان (٧/ ٢٧٨).

وقد نقل القرطبي في تفسيره أن هذه القراءة « خيرٌ أم هذا » هي قراءة ابن مسعود، وهي ليست من القراءات السبع »[1].

◊ الترجيـــح:

الـذي يظهـر لي - والله أعلـم- أن قـول القرطبـي والجمهـور معـه هـو الأولى بالصواب، وهو الأوفق بقواعد الترجيح الدالـة عـلى«إعـادة الـضمير إلى المحـدث عنـه أولى من إعادته إلى غيره» ومن أن « توحيد مرجع الـضمائر في الـسياق أولى مـن إعادتـه إلى غيره »[2].

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.

(١) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع(٢/ ٢٦٠، ٢٦١).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح للحربي (٢/ ٦٠٣، ٦١٣).

قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾.

۞ مسألة: المراد بالعبد المنعَمِ عليه في الآية.

◊ ترجيح القرطبي:

رجَّح الإمام القرطبي ~ أن المراد بالعبد المنَعمِ عليه عيسى عليه السلام حيث يقول: « أي: ما عيسى إلاَّ عبدٌ أنعم الله عليه بالنبوَّة، وجَعَله مثلاً لبني إسرائيل، أي: آية وعبرةً يُستدلُّ بها على قدرة الله تعالى، فإن عيسى كان من غير أب، ثم جعل إليه من إحياء الموتى وإبراء الأكمه[1] والأبرص[2] والأسقام كلِّها مالم يجعل لغيره في زمانه، مع أن بني إسرائيل كانوا يومئذ خير الخلق وأحبَّه إلى الله عز وجل، والناس دونهم، ليس أحدٌ عند الله عز وجل مثلهم.

وقيل: المراد بالعبد المنعم عليه محمد ﷺ، والأول أظهر » ا.هـ [3].

---

(١) الأكمه: الذي يولد أعمى، وقد كَمِهَ كَمَهاً، وكَمِهَ الرجل يَكْمَهُ إذا عمي.
ينظر: الصحاح (٢/ ١٢٤) (كمه)، الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٤٤).

(٢) البَرَصُ محركةً: بياض يظهر في ظاهر البدن لفساد مزاجٍ.
ينظر: المخصص (١/ ٤٨٥)، القاموس المحيط (١/ ٧٩٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٦٨).

◊ **الدراسة والمناقشة:**

وافق القرطبي في ترجيحه هذا المروي عن قتادة والسدي وابن زيد[(١)]، وقول الطبري[(٢)]، والزجاج[(٣)]، والنحاس[(٤)]، والسمرقندي[(٥)]، وابن أبي زمنين[(٦)]، والماوردي[(٧)]، والواحدي[(٨)]، والسمعاني[(٩)]، والبغوي[(١٠)]، وابن عطية[(١١)]، والرازي[(١٢)].

ووافقهم ابن جزي[(١٣)]، وابن كثير[(١٤)]، والسيوطي[(١٥)]، والشوكاني[(١٦)]،

---

(١) ينظر: جامع الطبري (١١/ ٢٠٣)، والمحرر الوجيز (٥/ ٦١).

(٢) ينظر: جامع البيان (١١/ ٢٠٣).

(٣) ينظر: معاني القرآن (٤/ ٤١٧).

(٤) ينظر: معاني القرآن (٦/ ٣٧٨).

(٥) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٢٦٢).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٩٢).

(٧) ينظر: النكت والعيون (٥/ ٢٣٤).

(٨) ينظر: الوسيط (٤/ ٧٩).

(٩) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ١١٢).

(١٠) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٢٨).

(١١) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٦١).

(١٢) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ٢٠٠).

(١٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٥٦).

(١٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٣٦).

(١٥) ينظر: الدر المنثور (٧/ ٣٣٤).

(١٦) ينظر: فتح القدير (٤/ ٧٣٣).

والألوسي[١]، والقاسمي[٢]، والسعدي[٣]، والشنقيطي[٤]، والطاهر بن عاشور[٥].

قال ابن عطية ~ : «... وقال ابن زيد والسدي المراد بـ « هو » عيسى، هذا هو المترجح... وأخبر عن عيسى أنه عبد أنعم الله عليه بالنبوة والمنزلة العالية »[٦].

وقال أبو حيان ~ : « والظاهر أن الضمير في (أم هو) لعيسى، لتناسق الضمائر في قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ﴾ »[٧].

وقال العلامة الشنقيطي ~ : « والتحقيق أن الضمير في قوله: ﴿هُوَ﴾ عائد إلى عيسى أيضاً لا إلى محمد -عليهما الصلاة والسلام- »[٨].

---

(١) ينظر: روح المعاني (٢٥/ ١٢٣).

(٢) ينظر: محاسن التأويل (٨/ ٣٥٤٣).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨٢٩).

(٤) ينظر: أضواء البيان (٧/ ٢٨).

(٥) ينظر: التحرير والتنوير (٢٥/ ٢٤٠).

(٦) المحرر الوجيز (٥/ ٦١).

(٧) البحر المحيط (٩/ ٣٨٥).

(٨) أضواء البيان (٧/ ٢٨٠).

◊ **الترجيـــــح:**

الـذي يظهـر لي -والله أعلـم- أن قـول القرطبـي والجمهـور معـه هـو الـراجح، لدلالة السياق عليه، وإمامة القائلين به، وموافقته لقواعد الترجيح النَّاصَّة على « إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره » ومن أن « توحيد مرجع الـضمائر في السياق أولى من إعادته إلى غيره »[1].

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.



(١) قواعد الترجيح للحربي (٢/ ٦٠٣، ٦١٣).

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾.

مسألة: في عود ضمير « وإنه » والمعنى المراد من ذلك.

◊ ترجيح القرطبي:

قال القرطبي ~ : « قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ قال الحسن وقتادة وسعيد بن جبير: يريد القرآن؛ لأنه يدل على قرب مجيء الساعة، أو به تعلم الساعة وأحوالها، وقال ابن عباس ومجاهد والضحاك والسديُّ وقتادة أيضاً: إنه خروج عيسى عليه السلام، وذلك من أعلام الساعة، لأن الله يُنزِله من السماء قبيل قيام الساعة، كما أن خروج الدجال من أعلام الساعة. وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقتادة ومالك بن دينار والضحاك: « وإنه لعَلَمٌ للساعة » بفتح العين واللام، أي: أمارة.

ثم ساق ~ الأدلة المتواترة والمتضافرة من السنة المطهرة على نزول عيسى عليه السلام، إلى أن قال: ويحتمل أن يكون المعنى: « وإنه » وإن محمداً ﷺ لعلم للساعة؛ بدليل قوله عليه الصلاة والسلام: « بُعثت أنا والساعة كهاتين » وضَمَّ السبابة والوسطى؛ خرَّجه البخاري ومسلم[1]. وقال الحسن: أول أشراطها محمد ﷺ » ا.هـ [2].

---

(١) متفق عليه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه؛ فأخرجه البخاري في صحيحه (كتاب التفسير، باب تفسير سورة والنازعات ١/ ٨٨٠، ح٤٩٣٦)، ومسلم في صحيحه (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة، ٤/ ٢٢٦٨، ح٢٩٥٠).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٦٩-٧٢).

◈ **الدراسة والمناقشة:**

اختلف أهل التفسير في مرجع ضمير « وإنه » على أقوال:

القول الأول:

أن الضمير عائد إلى عيسى ﷺ، بمعنى: أنه ﷺ لعَلَم للساعة [1].

وهذا المعنى رُوي عن عدد من السلف ﷺ، وممن رُوي عنه: ابن عباس[2]،

---

(١) والمعنى على هذا القول يحتمل أحد وجهين:

أولهما: أن عيسى ﷺ علَم ودلالة للساعة، فإذا نزل كان ذلك دلالة وعلامة على قيام الساعة، ومن هذا المعنى: القراءة التي رويت عن ابن عباس، وأبي هريرة ﷺ: (وإنه لَعَلم للساعة).

ينظر: في هذه القراءة ونسبتها إلى ابن عباس وأبي هريرة: الطبري (١١/ ٢٠٤، ٢٠٥)، والنحاس في إعرابه ص(٨١٧)، ومعانيه (٦/ ٣٨٠)، والثعلبي في تفسيره (٥/ ٤٢٠)، والبغوي في تفسيره (٤/ ١٢٩)، وابن عطية (٥/ ٦١)، وابن الجوزي (٧/ ١٤٢)، والقرطبي في جامعه.

وهذه القراءة وإن ثبتت عن ابن عباس وأبي هريرة إلا أنها ليست متواترة، فلم يقرأ بها أحد العشرة.

وثانيهما: أن عيسى ﷺ إذا نزل دليل على الساعة، بمعنى: أن القادر على إيجاده ﷺ من أم بلا أب، قادر على بعث الموتى من قبورهم.

والوجهان متقاربان صحيحان، كما قال الفراء في معانيه (٣/ ٣٧)، وينظر: الطبري (١١/ ٢٠٤)، والسمرقندي (٣/ ٢٦٢)، وابن الجوزي نقل نحو هذا عن ابن قتيبة (٧/ ١٤٢)، والسعدي ص(٨٣٠).

(٢) روى معناه عن ابن عباس عدد من تلاميذه، ومنهم:

١/ عكرمة عن ابن عباس: أخرجه الصنعاني في تفسيره (٢/ ١٩٨، ١٩٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٨٦، ح٣٦٧٥) وصححه، ووافقه الذهبي.

٢/ أبو يحيى مولى ابن عقيل عنه: أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣١٧)، وابن حبان في صحيحه (الاحسان ١٥/ ٢٢٨، ح٦٨١٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٧٨، ح٣٠٠٣)، وصححه، والطبري في تفسيره (١١/ ٢٠٥)، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٥٣، ١٥٤، ح١٢٧٤٠).

قال في المجمع (٧/ ١٠٤): « فيه عاصم بن بهدلة، وثقه أحمد وغيره، وهو سيء الحفظ، وبقية رجاله رجال الصحيح »، وحسَّن إسناده الشيخ شعيب الأرناؤوط ومن عاونه في تحقيق المسند (٥/ ٨٦).

٣/ مجاهد عنه: أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١١/ ٥٤٥، ح١١٩٢٣).

=⇦

وأبو هريرة[1]، وأبو مالك، ومجاهد، والضحاك[2]، ومقاتل[3]، وقتادة، والسدي، وابن زيد، والحسن، وعكرمة[4].

واختاره القرطبي، موافقاً أكثر أهل التفسير [5].

ويستدل له بدلالة السنة على أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان، وسيكون

= ٤/ جابر عنه: أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٠٥) بلفظ: ما أدري أعلم الناس تفسير هذه الآية أم لم يفطنوا لها ؟ « وإنه لَعَلَمٌ للساعة » قال: نزول عيسى عليه السلام.

وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٢٨٥) معلقا عن ابن عباس بلفظ: « خروج عيسى قبل يوم القيامة »، وعزاه السيوطي في الدر (٧/ ٣٣٤) إلى: الفريابي، وسعيد بن منصور، ومسدد، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والطبراني من طرق عن ابن عباس.

(١) أخرجه الصنعاني في تفسيره (٢/ ١١٩)، وعزاه السيوطي في الدر (٧/ ٣٣٥) إلى: وذكره ابن كثير (٧/ ٢٣٦).

(٢) أخرج الطبري قولهما في تفسيره (١١/ ٢٠٥).

(٣) ينظر: تفسيره (٣/ ١٩٤).

(٤) ينظر: روايات هؤلاء السلف في: جامع الطبري (١١/ ٢٠٥)، وتفسير الصنعاني (٢/ ١٩٨)، وأحكام الجصاص (٥/ ٢٦٥)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٤٢٠)، وابن عطية (٥/ ٦١)، وابن الجوزي في الزاد (٧/ ١٤٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٣٤، ٣٣٥).

(٥) عزاه النحاس في إعرابه ص(٨١٨) إلى أكثر الناس، وقال الزجاج (٤/ ٤١٧): « إنه أكثر في التفسير ».

وممن اختاره: ابن قتيبة في غريبه ص(٣٤٥)، والزجاج (٤/ ٤١٧)، والنحاس في إعرابه ص(٨١٨)، ومعانيه (٦/ ٣٨٠، ٣٨١)، والسمرقندي (٣/ ٢٦٢)، وابن أبي زمنين (٢/ ٢٩٣)، والثعلبي (٥/ ٤٢٠)، والواحدي (٤/ ٧٩)، والسمعاني (٥/ ١١٢، ١١٣)، والبغوي (٤/ ١٢٩)، والزمخشري (٤/ ٢٥٤)، والفخر الرازي (٩/ ٢٠٠)، والبيضاوي (٢/ ٣٧٦)، والنسفي (٣/ ٢٧٩)، وابن تيمية في الجواب الصحيح (٢/ ٣٣٧)، والخازن (٤/ ١١٢)، وأبو حيان (٩/ ٣٨٦)، والسمين (٦/ ١٠٦)، وابن كثير (٧/ ٢٣٦)، وابن عادل (١٧/ ٢٨٥) ذكر أنه هو المشهور، وابن جزي (٤/ ٥٦، ٥٧)، وأبو السعود (٦/ ٤٠، ٤١)، والألوسي (٢٥/ ١٢٦ - ١٢٨)، والشوكاني (٤/ ٧٣٤)، والسعدي ص(٨٣٠)، والشنقيطي (٧/ ٢٨٠).

نزوله علامة من علامات الساعة، كما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب.. »[1] ويؤيد هذا المعنى: القراءة الأخرى الواردة عن ابن عباس وأبي هريرة ﷺ[2].

القول الثاني:

أن الضمير عائد إلى القرآن، وهو مروي عن الحسن[3]، وقتادة[4]، وسعيد بن جبير[5].

وهو اختيار ابن عاشور[6]، وقدَّمه القرطبي، ولم أجد أحداً من المفسرين غير ابن عاشور اختاره أو مال إليه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: نزول عيسى بن مريم عليهما السلام ١/ ٥٨١، ح٣٤٤٨)، ومسلم في صحيحه (كتاب: الإيمان، باب: نزول عيسى بن مريم عليه السلام حاكماً، ١/ ١٣٥، ح١٥٥).

واستدل بهذا الدليل النحاس في إعرابه ومعانيه.

(٢) تقدم ذكر هذه القراءة، وممن استدل بهذه القراءة لهذا القول: الثعلبي (٥/ ٤٢٠)، وابن كثير (٧/ ٢٣٦).

(٣) ذكره النحاس في إعرابه ص(٨١٨)، والثعلبي في تفسيره (٥/ ٤٢٠)، والقرطبي في جامعه (١٩/ ٦٩).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٢٠٥).

(٥) ذكره عنه ابن الجوزي (٧/ ١٤٢)، والقرطبي (١٩/ ٦٩)، وابن كثير (٧/ ٢٣٦).

(٦) قال في التحرير والتنوير (٢٥/ ٢٤٢، ٢٤٣): « الأظهر أن هذا عطف على جملة ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ ، ويكون ما بينهما مستطردان واعتراضاً اقتضته المناسبة... وضمير المذكر الغائب في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ مراد به القرآن، وبذلك فسره الحسن وقتادة وسعيد بن جبير، فيكون هذا ثناءً ثامناً على القرآن... ويفسره ما تقدم من قوله: ﴿بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ﴾ ، ويبينه قوله: ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ، على أن ورود مثل هذا الضمير في القرآن مراداً به القرآن كثير معلوم، من غير معاد، فضلاً على وجود معاده.... » الخ.

القول الثالث:

أن الضمير عائد إلى النبي محمد ﷺ، ذكره جماعة من المفسرين[(١)]، ولم أجد أحداً من المفسرين اختاره أو مال إليه، إلا ما جوَّزَه النحاس في معانيه، واحتمله القرطبي في جامعه.

ويحتج لهذا القول بقوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:١][(٢)]، ويؤيده ما رُويَ عن النبي ﷺ أنه قال: « بُعثت أنا والساعة كهاتين » وضم السبابة والوسطى[(٣)].

واستبعد هذا القول ابن كثير[(٤)]، والألوسي[(٥)].

---

(١) ذكره ابن عطية وعزاه إلى فرقة (٥/ ٦١)، والسمين الحلبي (٦/ ١٠٦)، وابن جزي (٤/ ٥٦).

(٢) وبهذه الآية استدل على هذا القول الزجاج (٤/ ٤١٧)، والنحاس في معانيه (٦/ ٣٨١).

(٣) سبق تخريجه أول المسألة.

(٤) ينظر: تفسيره (٧/ ٢٣٦).

(٥) ينظر: تفسيره (٢٥/ ١٢٨) قال: « وفيه من البعد ما فيه ».

◊ الترجيـــح:

يظهر لي -والله أعلم- أن الصحيح مما تقدم هو ما ذهب إليه القرطبي، ومن وافقه من جمهور المفسرين، ويدل عليه -إضافة إلى ما تقرر وتقدم ذكره- ما يلي:

أولاً: دلالة السياق:

فسياق الآيات في ذكر عيسى عليه السلام[1]، فما قبله وما بعده في عيسى عليه السلام[2].

ثانياً: دلالة السنة المطهرة:

فقد دلت السنة النبوية المتواترة[3]، على أن عيسى عليه السلام نزوله من أشراط الساعة، يُعلم به قرب وقوعها.

ثالثاً: إمامة القائلين به، ويكفي في ذلك أنه تفسير حبر الأمة وترجمان القرآن، وقال العلامة الشنقيطي: « والتحقيق أن الضمير في «وإنه» راجع إلى عيسى عليه السلام لا إلى القرآن ولا إلى النبي ﷺ »[4].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٣٦).

(٢) يقول الشنقيطي في أضوائه (٧/ ٢٨٢) موضحاً هذا: « وإيضاح هذا أن الله تعالى قال: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ أي عيسى، ﴿وَمَا صَلَبُوهُ﴾ أي عيسى، ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أي عيسى، ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي عيسى، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ أي عيسى، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ أي عيسى، ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ أي عيسى، ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ أي عيسى، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾

أي يكون هو، أي: عيسى عليهم شهيداً » [النساء: ١٥٧-١٥٩].

(٣) قال الحافظ ابن كثير (٧/ ٢٣٦): « وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ، أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام، قبل يوم القيامة إماماً عادلاً، وحكماً مقسطاً » وكذا قال محمد شمس الحق العظيم أبادي في عون المعبود شرح سنن أبي داود (١١/ ٤٥٧) وذكر أنه مذهب أهل السنة، والشنقيطي (٧/ ٢٨٠).

(٤) أضواء البيان (٧/ ٢٨٠).

رابعاً: موافقته لقواعد الترجيح[1] النَّاصَّة على أن:

« إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره ».

« توحيد مرجع الضمائر في السياق أولى من إعادته إلى غيره ».

« الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور، ما لم يرد دليل بخلافه »

فالمحدث عنه في الآيات عيسى عليه السلام، ومرجع الضمائر في السياق لعيسى عليه السلام، وأقرب مذكور هو عيسى عليه السلام، فالسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً.

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.

---

(١) ينظر: قواعد الترجيح للحربي (٢/ ٦٠٣، ٦١٣، ٦٢١).

قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

۞ مسألة: القراءة في ﴿يَـٰمَـٰلِكُ﴾ بحذف الكاف أم إثباتها؟ اختلفوا أيهما أصح؟

◊ ترجيح القرطبي:

رجَّح الإمام القرطبي ~ إثبات الكاف في « مالك »، حيث يقول: « وقرأ عليّ وابن مسعود { : «ونادَوا يا مَالِ»، وذلك خلاف المصحف[١]، وقال أبو الدرداء[٢] وابن مسعود: قرأ النبيُّ ﷺ: « وَنادَوْا يَا مَالِ » باللام خاصة[٣]، يعني رَخَّم الاسم وحذف الكاف، والترخيمُ الحذف، ومنه ترخيم الاسم في النداء، وهو أن يُحذفَ من آخره حرفٌ أو أكثر، فتقول في مالك: يا مالِ، وفي حارث: يا حارِ، وفي فاطمة: يا فاطمَ، وفي عائشة: يا عائشَ، وفي مروان: يا مروَ، وهكذا.

قلت: وفي صحيح البخاري[٤] عن صفوان بن يَعْلَى، عن أبيه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ على المنبر: ﴿وَنَادَوْا يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ بإثبات الكاف » ا.هـ[٥].

---

(١) القراءات الشاذة ص(١٣٦)، والمحتسب (٢/ ٢٥٧).

(٢) عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي، صحابي، انقطع للعبادة، اشتهر بالشجاعة، وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظاً، روى عنه أهل الحديث (١٧٩) حديثاً، توفي سنة (٣٢هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٣٥)، الأعلام (٥/ ٩٨).

(٣) أخرجها الدوري في قراءات النبي ﷺ ص(١٤٦، ١٤٧) عن أبي الدرداء ﷺ.

(٤) الحديث برقم (٣٢٣٠)، كتاب: بدء الوحي، باب: إذا قال أحدكم آمين (٤/ ١٣٩).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٨٤-٨٦).

◊ الدراسة والمناقشة:

وافق القرطبي في ترجيحه هذا قول السمرقندي[١]، والبغوي[٢]، ووافقهم النسفي[٣]، وابن جزي[٤]، وأبو حيان[٥]، وابن كثير[٦]، والشوكاني[٧]، والسعدي[٨]، والشنقيطي[٩].

قال النسفي: « قيل لابن عباس { : إن ابن مسعود رضي الله عنه قرأ: « يا مال » فقال: ما أشغل أهل النار عن الترخيم »[١٠].

واستحسن الفخر الرازي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه، حيث قال في تفسيره: « قرأ ابن مسعود (يا مال) بحذف الكاف للترخيم، فقيل لابن عباس إنَّ ابن مسعود قرأ: (ونادوا يا مال) فقال: ما أشغل أهل النار عن هذا الترخيم، وأجيب عنه بأنه إنما حسن هذا الترخيم؛ لأنه يدل على أنهم بلغوا في الضعف والنحافة إلى حيث لا يمكنهم أن يذكروا من الكلمة إلا بعضها »[١١].

وقد نقل القرطبي عن مجاهد قوله: « كنا لا ندري ما الزخرف حتى وجدناه في

---

(١) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٢٦٤).

(٢) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٣١).

(٣) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٨٢).

(٤) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٥٨).

(٥) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٨٩).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٤٠-٢٤١).

(٧) ينظر: فتح القدير (٤/ ٧٣٨).

(٨) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨٣١).

(٩) ينظر: أضواء البيان (٧/ ٣٠٤).

(١٠) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٨٢).

(١١) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ٢٠٤).

قراءة عبد الله: « بيتٌ من ذهب »، وكنا لاندري: « ونادوا يا مالك » أو: يا ملك- بفتح اللام وكسرها -حتى وجدناه في قراءة عبدِ الله: « ونادوا يا مال » على الترخيم[1]، قال أبو بكر[2]: لا يُعمل على هذا الحديث؛ لأنه مقطوع لا يُقبل مثلُه في الرواية عن الرسول عليه الصلاة والسلام، وكتاب الله أحقُّ بأن يُحتاط له ويُنفَى عنه الباطل »[3].

◊ الترجيح:

ماذهب إليه القرطبي ومن معه هو الصحيح، وهو أنَّ القراءة الصحيحة الثابتة هي قراءة إثبات الكاف في قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ﴾ لثبوت الدليل الصحيح على ذلك، ولشذوذ القراءة الواردة بحذف الكاف، والقواعد الترجيحية تؤيد هذا القول، والنَّاصَّة على أنه: « إذا ثبت الحديث، وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره »[4]، وأنَّ « معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة »[5].

والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.



(١) ذكر قول مجاهد ابن خالويه في القراءات الشاذة ص(١٣٦).

(٢) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري، كان من بحور العلم في اللغة والتفسير والحديث، ومن أعلم أهل زمانه بالأدب والنحو، توفي سنة (٣٢٨هـ).

ينظر: طبقات الحنابلة (٢/ ٦٩-٧٣)، البداية والنهاية (١١/ ١٩٦)، وغاية النهاية (٢/ ٢٣٠-٢٣٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٨٥، ٨٦).

(٤) قواعد الترجيح للحربي (١/ ١٩١).

(٥) المصدر السابق (١/ ١٠٤).

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾.

۞ مسألة: في معنى الآية.

◊ ترجيح القرطبي:

رجح القرطبي أن العبادة في الآية بمعناها المعروف المشهور، والجملة شرطية؛ حيث يقول: « اختُلف في معناه؛ فقال ابن عباس والحسن والسدي: المعنى: ما كان للرحمن ولد، فـ« إن » بمعنى « ما »، ويكون الكلام على هذا تامًّا، ثم تبتدىء: ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ أي: الموحِّدين من أهل مكة على أنه لا ولد له. والوقف على «العابدين» تام.

وقيل: قل يا محمد: إنْ ثبت لله ولد، فأنا أَوَّلُ من يَعبد ولده، ولكن يستحيل أن يكون له ولد؛ وهو كما تقول لمن تناظره: إن ثبت ما قلت بالدليل؛ فأنا أول من يعتقده؛ وهذا مبالغة في الاستبعاد، أي: لا سبيل إلى اعتقاده.

وقال مجاهد: المعنى: إن كان للرحمن ولد، فأنا أول من عبده وحده، على أنه لا ولد له.

وقال السُّديّ أيضاً: المعنى: لو كان له ولد، كنت أَوَّلَ من عبده على أن له ولداً، ولكن لا ينبغي ذلك.

قال المهدويَّ: فـ « إن » على هذه الأقوال للشرط، وهو الأجود، وهو اختيارُ الطبري؛ لأن كونها بمعنى « ما » يتوهم معه أن المعنى لم يكن له فيما مضى » ا.هـ [1].

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٨٨، ٨٩).

◊ **الدراسة والمناقشة :**

اختلف أهل العلم في معنى الآية على أقوال ثلاثة، ويعود سبب الخلاف فيما بينهم إلى احتمال أن تكون « إن » شرطاً[(١)]، أو نفياً[(٢)].

وحاصل أقوالهم ما يلي:

القول الأول:

أن العبادة في الآية بمعناها المعروف المشهور، والجملة شرطية [(٣)].

واستُدل له بما رُوي عن مجاهد أنه قاله: « أي: قل إن كان للرحمن ولد في قولكم، فأنا أولُ من عبده ووحّده، وكذَّبكم »[(٤)].

ورُوي عن السدي أنه قال: لو كان له ولدٌ، كنت أول من عبده بأن له ولداً، ولكن لا ولد له[(٥)]، وبنحوه قال قتادة[(٦)].

واختار هذا المعنى - أي: أن الجملة شرطية، والعبادة على معناها المعروف- القرطبي، ووافقه جمهور المفسرين؛ إلا أنهم اختلفوا في متعلق العبادة:

---

(١) وذهب إليه كثير من المفسرين، ومنهم: الطبري (١١/ ٢١٦)، والنحاس في معانيه (٦/ ٣٨٧)، وفي إعرابه ص(٨٢٠)، والواحدي (٤/ ٨٢)، والبغوي (٤/ ١٣١)، والفخر الرازي (٩/ ٢٠٥، ٢٠٦)، والبيضاوي (٢/ ٣٧٨)، وابن كثير (٧/ ٢٤٢)، والألوسي (٢٥/ ١٤٠)، والسعدي ص(٨٣٢).

(٢) وبه قال بعض العلماء منهم: مكي القيسي في مشكل إعراب القرآن (٢/ ٦٥١)، ورجحه الشنقيطي (٧/ ٣٠٨) واستفاض في بيانه وتوضيحه.

(٣) واختلف في متعلق العبادة هنا، وسيأتي بيانه فيما بعد إن شاء الله.

(٤) هو في تفسيره (٢/ ٥٨٤)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٢١٥) من طرق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد به، وعزاه السيوطي في الدر (٧/ ٣٤٢) إلى: عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير.

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٢١٦)، وذكره البغوي (٤/ ١٣١)، وابن كثير (٧/ ٢٤٣).

(٦) ذكره عنه ابن عطية في تفسيره (٥/ ٦٥).

فذهب أكثر المفسرين[(١)] إلى أن المعنى: إن كان للرحمن ولد في زعمكم وقولكم فأنا أول العابدين لله تعالى الموحدين له، مكذباً لكم في دعواكم.

وذهب آخرون إلى أن المعنى: الشرط والجزاء، بمعنى: لو كان للرحمن ولد، فأنا أول من عبده بذلك، ولكن لا ولد له، لذا هو ممتنع؛ لأن الشرط لا يستلزم الوقوع ولا الجواز[(٢)]، وقد دلَّ كتاب الله على ذلك، كما قال تعالى: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ﴾[الزمر:٤][(٣)].

وذهب بعضهم إلى أن المعنى: كما أني لست أول من عبد الله فكذلك ليس لله ولد، قاله ابن عيينة[(٤)].

وذهب جماعة من المفسرين إلى أن متعلق العبادة الولد، أي: إن كان للرحمن ولد فأنا من عبد ذلك الولد؛ لأن الولد جزء من الوالد، وأنا أولى الخلق انقياداً للأمور المحبوبة لله تعالى، ولكني أول المنكرين لذلك، وأشدهم له نفياً، لذا يعلم من هذا بطلانه[(٥)].

---

(١) منهم: النحاس في معانيه (٦/ ٣٨٧) وفي إعرابه ص(٨٢٠)، وابن قتيبة في غريبه ص(٣٤٥)، والزجاج في معانيه (٤/ ٤٢٠)، والأزهري في تهذيب اللغة (٢/ ١٣٧)، وعزاه إلى جماعة من ذوي المعرفة، والواحدي في تفسيره (٤/ ٨٢)، والسمعاني (٥/ ١١٨)، والخازن (٤/ ١١٤).
وجوَّزه الطاهر ابن عاشور في تفسيره (٢٥/ ٢٦٥).

(٢) ممن قال به: الطبري (١١/ ٢١٦)، والبغوي (٤/ ١٣١)، وأبو حيان (٩/ ٣٨٩)، وابن كثير (٧/ ٢٤٢)، وجوّزه السعدي ص(٨٣٢).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٤٢).

(٤) نقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة (٢/ ١٣٦).
وابن عيينه هو: سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي، أحد الأئمة الأعلام، كان ذو عقل رصين، وعلم مكين، مستنبط للمعاني، الإمام الثبت الحجة الثقة، توفي سنة (١٩٨هـ).
ينظر: تاريخ البخاري (٤/ ٩٤)، والحلية (٧/ ٢٧٠-٣١٨)، والكاشف (١/ ٤٤٩).

(٥) ممن رجح كون الجملة شرطية، والعبادة متعلقة بالولد: الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٥٨)، والفخر الرازي (٩/ ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧)، والبيضاوي (٢/ ٣٧٨)، والنسفي (٣/ ٢٨٣)، وابن جزي (٤/ ٥٦)، =

القول الثاني:

أن « إن » هنا نافية بمعنى (ما) [1]، أي: ما كان للرحمن ولد.

انقطع الكلام هنا، ثم قال تعالى بعد: ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ﴾ [2].

= والألوسي (٢٥/ ١٣٩، ١٤٠)، وابن عاشور (٢٥/ ٢٦٤)، والقاسمي (٨/ ٥٤٨ ٣)، والشوكاني (٤/ ٧٣٩)، والسعدي ص(٨٣٢).

تنبيهان:

الأول: ذكر الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٥٩) عند تفسير هذه الآية كلاماً فيه شناعة وقبح في حق الله ﷻ، وقد رد عليه جماعة من أهل العلم، فقال ابن المنير في كتابه: « الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال » (مطبوع مع الكشاف) قال: « لقد اجترأ عظيماً، واقتحم مهلكة في تمثيله ذلك بقول من سماه عدليا، إن كان الله خالقاً للكفر في القلوب، ومعذباً عليه، فأنا أول القائلين إنه شيطان، وليس بإله.... » الخ وقال أبو حيان في البحر المحيط (٩/ ٣٩٠) قال: «... ثم ذكر كلاماً يستحق عليه التأديب، بل السيف، نزهت كتابي عن ذكره ».

وتعقبه أيضاً العلامة الشنقيطي في تفسيره بكلام مطول بليغ (٧/ ٣٢٠-٣٢٦).

الثاني: ذكر الشوكاني وغيره أن لهذه الآية نظائر، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤]، ومنه قول الرجل لمن يناظره: إن ثبت ما تقوله بالدليل، فأنا أول من يعتقده ويقول به.

(١) ومثله قوله ﷻ: ﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ﴾ [يس: ٢٩].

(٢) وفي معنى العبادة على هذا القول أوجه:

الأول: أن العبادة هنا على وجهها المعروف المشهور، والمعنى: فأنا أول العابدين لله تعالى، المطيعين له، المنزهين له عن الولد، وعن كل ما لا يليق بكماله وجلاله.

الثاني: أن العبادة هنا بمعنى الأنفة والاستنكاف، أي: فأنا أول الآنفين المستنكفين من أن يوصف ربنا سبحانه بما لا يليق بكماله وجلاله.

الثالث: أنها بمعنى الجحود، والمعنى: فأنا أول الجاحدين النافين أن يكون لربنا ولد.

وسيأتي بيان ذلك والتعقيب عليه إن شاء الله.

ينظر: جامع القرطبي (١٩/ ٨٨، ٨٩، ٩٠)، والدر المصون (٦/ ١٠٧، ١٠٨)، وأضواء البيان (٧/ ٣٠٧).

قال الحسن: يقول: ما كان للرحمن ولد [(١)].

وبنحوه روي عن جماعة من السلف، ومنهم: ابن عباس[(٢)]، وقتادة[(٣)]، وابن زيد[(٤)]، ومجاهد[(٥)].

واختار النفي ابن أبي زمنين[(٦)]، ومكي بن أبي طالب[(٧)]، والشنقيطي[(٨)].

ويستدل له بأن تنزيه الله عن الولد، ورد في آيات كثيرة [(٩)].

---

(١) ذكره النحاس في معانيه (٦/ ٣٨٨)، وأخرجه عبد بن حميد (كما قال السيوطي في الدر ٧/ ٣٤٢)، وذكره ابن الجوزي في الزاد (٧/ ١٤٦).

(٢) روي عنه أنه قال في تفسير الآية: « لم يكن للرحمن ولد، فأنا أول الشاهدين » أخرجه الطبري (١١/ ٢١٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٦)، وزاد السيوطي (٧/ ٣٤٢) نسبته إلى ابن المنذر.

(٣) أخرجه الطبري عنه (١١/ ٢١٥) بلفظ: « ما كان للرحمن ولد، نكف الله أن يكون له ولد.. »، وعبد بن حميد (كما قال السيوطي ٧/ ٣٤٢).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٢١٥).

(٥) ذكره عنه بهذا المعنى ابن الجوزي في الزاد (٧/ ١٤٦).

(٦) ينظر: تفسيره (٢/ ٢٩٦).

(٧) ينظر: المشكل (٢/ ٦٥١).

مكي بن أبي طالب حَمُّوش بن محمد بن مختار الأندلسي، أبو محمد، مقرئ عالم بالتفسير والفقه والعربية، توفي سنة(٤٣٧هـ).

ينظر: نزهة الألباء ص(٢٥٤)، وإنباه الرواة (٣/ ٣١٣)، وغاية النهاية (٢/ ٣٠٩).

(٨) ينظر: تفسيره (٧/ ٣٠٨-٣٣١) وأطال في تقريره وتأييده.

(٩) منها: قوله تعالى: ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾ [الكهف: ٤، ٥]، وقوله: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ ﴾ [مريم: ٨٨-٩٢].

واستدل الشنقيطي في أضوائه (٧/ ٣٠٩) بهذه القاعدة، وذكر أن خير ما يفسر به القرآن القرآن، فتفسير الآية على النفي مطابق لقوله تعالى في سورة الإسراء [آية: ١١١]: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ .

واستبعد بعض المفسرين وقوع « إن » بمعنى النفي [(١)].

القول الثالث:

أن العبادة في الآية هنا بمعنى الأنفة، قال النحاس في معانيه:

« وقيل: هو من عَبَدَ، أي: أَنِفَ، كما قال[(٢)]:

وأعبَـدُ أن تُهْجـي تَمـيمٌ بـدارم ».

وهـذا المعنـى قالـه أبـو عبيـدة[(٣)]، وذكـره الفراهيـدي[(٤)]، وابـن فـارس[(٥)]، وابـن سيده[(٦)] وجهاً في معنى الآية.

---

(١) رد هذا القول السمعاني (٥/ ١١٨) بقوله: « وأهل النحو يستبعدونه أيضاً، ويقولون: لا يجوز أن تكون «إن » بمعنى (ما) إلا على بُعد عظيم » وينظر أيضاً: الطبري في جامعه (١١/ ٢١٦)، والسمين في تفسيره (٦/ ١٠٨).

(٢) أي: الفرزدق، وهو عجز بيت له، وتمامه:

أولئك قومٌ إن هجوني هجوتهم وأعْبَدُ أن أهجو كُلَيباً بدارم

وإليه نسبه أبو عبيدة في مجازه (٢/ ٢٠٦)، والأزهري في تهذيب اللغة (٢/ ١٤١)، وابن السكيت في إصلاح المنطق ص(٥٠)، وابن منظور في لسان العرب (٣/ ٢٧٥)، والفيروز آبادي في القاموس ص(٣٧٨).

(٣) كما قال الأزهري في تهذيب اللغة (٢/ ٢٧٥).

(٤) في كتاب العين (٢/ ٥٠).

والفراهيدي هو: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي، أبو عبد الرحمن، من أئمة اللغة والأدب، واضع علم العروض، توفي سنة (١٧٠هـ).

ينظر: نزهة الألباء ص(٤٥)، وإنباه الرواة (١/ ٣٧٦)، ووفيات الأعيان (٢/ ٢٠٦).

(٥) في مقاييس اللغة ص(٧٠٢).

(٦) في المحكم (٢/ ٢٧).

وابن سيده هو: علي بن إسماعيل المرسي، أبو الحسن الأعمى اللغوي الشاعر، لا يعلم بالأندلس أشد اعتناء منه باللغة، ولا أعظم تأليفاً، توفي سنة(٤٥٨هـ).

ينظر: لسان الميزان (٤/ ٢٠٥)، والبلغة ص(١٤٨).

ويظهر لي – والله أعلم– ضعف هذا المعنى؛ لأن هذا المعنى يتأتى على قراءة حذف الألف من قوله: « العابدين »، ولم يقرأ متواتراً بالقصر[١]، والمعروف في الأنفة أن يقال: عَبَد أو عَبِد، ولا يقال عابد، قال ابن التين:

« ولم أر في اللغة عَبَد بمعنى جحد »[٢]، ونقل ابن عادل الحنبلي في تفسيره عن نفطويه ابن عرفة[٣] قوله: « يقال: عَبِد –بالكسر– يَعبَدُ –بالفتح– فهو عَبِدٌ، وقلَّ ما يقال: عابَد، والقرآن لا يجيء على القليل أو الشاذ » انتهى[٤]، وقال الأزهري[٥] بعد ما ذكر هذا القول: «على أني ما علمت أحداً قرأ (فأنا أول العبدين) ولو قرئ مقصوراً كان ما قاله أبو عبيدة محتملاً، وإذ لم يقرأ به قارىء مشهور لم يُعبأ به »[٦].

(١) نسب ابن جني في المحتسب (٢/ ٢٥٧) القراءة بحذف الألف إلى أبي عبد الرحمن اليماني، ثم نقل عن أبي الفتح أنه قال: « معناه –والله أعلم– أول الأنفين » انتهى.

(٢) ينظر: فتح الباري (٨/ ٧٣١).

وابن التين هو: عبد الواحد بن التين أبو محمد الصفاقسي المالكي، فقيه محدث مفسر اعتمده الحافظ ابن حجر في شرح البخاري، توفي سنة (٦١١هـ).

ينظر: شجرة النور الزكية ص(١٦٨)، ونيل الابتهاج ص(١٨٨).

(٣) إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي العتكي، أبو عبد الله المعروف بـ « نفطويه » و « بابن عرفة »، كان إماماً في النحو، فقيهاً، رأساً في مذهب داود، مسنداً في الحديث، ثقة، توفي سنة(٢٢٣هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (٦/ ١٥٧)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٧٥)، وبغية الوعاة (١/ ٤٢٨).

(٤) اللباب في علوم الكتاب (١٧/ ٢٩٧).

(٥) محمد بن أحمد بن الأزهر، أبو منصور الأزهري، اللغوي الأديب الفقيه الورع العابد، كان شافعي المذهب، منافحاً عنه، إلا أنه غلب عليه علم اللغة فصنف فيه وأبدع، توفي سنة (٣٧٠هـ).

ينظر: معجم الأدباء (٥/ ١١٢-١١٣)، وطبقات الشافعية (١/ ١٢٤)، وطبقات الداوودي (٢/ ٦٥-٦٧).

(٦) تهذيب اللغة (٢/ ١٣٦).

◊ الترجيـــــح:

يظهر لي – والله أعلم– أن الصواب في المسألة هو القول الأول، وهو ما ذهب إليه القرطبي ومن معه من عامة المفسرين، أي: أن الجملة شرطية، لما يلي:

أولاً: أن « إن » هنا يبعد أن تكون نافية؛ لأن ذلك -كما قال بعض أهل اللغة- لا يكاد يستعمل إلا وبعدها «إلا» [1].

ثانياً: أن الآية لو وجهت إلى النفي لم يكن للكلام كبير معنى؛ لأنه يصير بمعنى: ما كان للرحمن ولد، « وإذا صار بذلك المعنى أوهَمَ أهل الجهل من أهل الشرك بالله أنه إنما نفي ذلك عن الله ﷻ أن يكون كان له ولد قبل بعض الأوقات، ثم حدث له الولد بعد أن لم يكن » [2].

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.

---

(١) قاله النحاس في معانيه (٦/ ٣٨٨).

(٢) جامع الطبري (١١/ ٢١٦).

قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

۞ مسألة: النسخ والإحكام في الآية.

◊ ترجيح القرطبي:

رجَّح الإمام القرطبي ~ أن الآية محكمة، حيث يقول: «قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟﴾ يعني كفار مكة حين كذَّبوا بعذاب الآخرة، أي: اتركهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾ إما العذاب في الدنيا أو في الآخرة.

وقيل: إن هذا منسوخ بآية السيف، وقيل: هو محكم، وإنما أخرج مخرج التهديد» ا.هـ [(١)].

◊ الدراسة والمناقشة:

ذهب عامة المفسرين إلى أن الآية خرجت مخرج التهديد والوعيد ولم ينصوا على النسخ، وهذا مفهوم عبارة الطبري[(٢)]، والسمعاني[(٣)]، والبغوي[(٤)]، والزمخشري[(٥)]، والفخر الرازي[(٦)]، والبيضاوي[(٧)]، والنسفي[(٨)]، وابن كثير[(٩)]،

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٩١).

(٢) ينظر: جامع البيان (١١/ ٢١٧).

(٣) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ١١٩).

(٤) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٣٢).

(٥) ينظر: الكشاف (٤/ ٢٥٩).

(٦) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ٢٠٨).

(٧) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٧٨).

(٨) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٨٣).

(٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٤٣).

والألوسي[١]، والمراغي[٢]، والسعدي[٣]، والطاهر بن عاشور[٤].

وصرَّح بعدم النسخ ابن الجوزي حيث قال: « زعم بعضهم نسخها بآية السيف، وقد ذكرنا مذهبنا في نظائرها وأنها واردة للوعيد والتهديد فلا نسخ »[٥].

وقال الفخر الرازي: « المقصود منه التهديد »[٦].

وقال الشوكاني: « أي أترك الكفار حيث لم يهتدوا بما هديتهم به ولا أجابوك فيما دعوتهم إليه يخوضوا في أباطيلهم ويلهوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو يوم القيامة، وقيل: العذاب في الدنيا.

قيل: وهذا منسوخ بآية السيف، وقيل: هو غير منسوخ وإنما أخرج مخرج التهديد»[٧].

وذهب بعض المفسرين[٨] إلى أن الآية منسوخة بآية السيف، وهذا هو قول ابن أبي زمنين[٩]، وابن عطية[١٠]، وابن جزي[١١]، والمحلي[١٢].

---

(١) ينظر: روح المعاني (٢٥/ ١٤١).

(٢) ينظر: تفسيره (٢٥/ ١١٥).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨٣٢).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٢٥/ ٢٦٦).

(٥) المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ (١/ ٥٢).

(٦) التفسير الكبير (٩/ ٢٠٨).

(٧) فتح القدير (٤/ ٧٤٠).

(٨) ذكر ابن الجوزي في تفسيره (٧/ ١٤٦) أن الآية منسوخة بآية السيف عند الجمهور.

(٩) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٩٦).

(١٠) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٦٦).

(١١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٥٩).

(١٢) ينظر: تفسير الجلالين (١/ ٦٥٥).

قال أبو حيان: « ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ﴾ أي: في باطلهم، ﴿وَيَلْعَبُواْ﴾ أي: في دنياهم، وظاهر هذين الأمرين مهادنة وترك، وذلك ما نسخ بآية السيف »[1].

◊ **الترجيـــــح:**

بعد عرض الأقوال يتبيَّن لي -والعلم عند الله - أن قول من ذهب إلى أن الآية محكمة، هو الراجح، ويؤيده القاعدة الترجيحية النَّاصَّة على أنه: « لا تصح دعوى النسخ في آية من كتاب الله إلا إذا صح التصريح بنسخها »[2].

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.

---

(١) البحر المحيط (٩/ ٣٩١).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح للحربي (١/ ٧١).

قوله تعالى: ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

۞ مسألة: في مرجع ضمير ﴿ وَقِيلِهِۦ ﴾.

◊ ترجيح القرطبي:

رجَّح الإمام القرطبي ~ عود الضمير لعيسى عليه السلام، حيث يقول:

« والهاء في «قيله» لعيسى، وقيل لمحمد ﷺ، وقد جرى ذكره إذ قال: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ ﴾ » أ.هـ[1].

◊ الدراسة والمناقشة:

اختلف أهل التفسير في مرجع ضمير « قيله »؛ على قولين:

القول الأول:

عود الضمير إلى النبي ﷺ، وهذا القول هو المروي عن ابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنهم، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل... وغيرهم[2].

واختار هذا القول جمهور المفسرين، ومنهم:

الفراء[3]، والطبري[4]، والنحاس[5]، والسمرقندي[6]، وابن أبي زمنين[7]،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٩٦).

(٢) ينظر: تفسير مقاتل (٣/ ٢٠٠)، وتفسير الطبري (١١/ ٢١٩)، وزاد ابن الجوزي (٧/ ١٤٧-١٤٨)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٢٤٤٤)، وتفسير الخازن (٤/ ١١٥).

(٣) ينظر: معاني القرآن (٣/ ٣٨).

(٤) ينظر: جامع البيان (١١/ ٢١٩).

(٥) ينظر: إعراب القرآن ص(٨٢١).

(٦) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٢٦٦).

(٧) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٩٦).

والثعلبي[1]، والواحدي[2]، والسمعاني[3]، والبغوي[4]، والزمخشري[5]، وابن عطية[6]، وابن الجوزي[7]، والفخر الرازي[8]، والبيضاوي[9]، والنسفي[10]، والخازن[11]، وابن جُزي[12]، وأبو حيان[13]، وابن كثير[14]، والثعالبي[15]، والمحلي في الجلالين[16]، والألوسي[17]، والسعدي[18]، والشنقيطي[19].

---

(١) ينظر: الكشف والبيان (٥/ ٤٢٦).

(٢) ينظر: الوسيط (٤/ ٨٤).

(٣) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ١٢٠).

(٤) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٣٢).

(٥) ينظر: الكشاف (٤/ ٢٦١).

(٦) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٦٧).

(٧) ينظر: زاد المسير (٧/ ١٤٧).

(٨) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ٢١١).

(٩) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٧٩).

(١٠) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٨٤).

(١١) ينظر: لباب التأويل (٤/ ١١٥).

(١٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٦٠).

(١٣) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٩٣).

(١٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٤٤).

(١٥) ينظر: الجواهر الحسان (٣/ ١٥٥).

(١٦) ينظر: تفسير الجلالين (٦٥٦).

(١٧) ينظر: روح المعاني (٢٥/ ١٤٤، ١٤٥).

(١٨) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨٣٣).

(١٩) ينظر: أضواء البيان (٧/ ٣٣٤).

القول الثاني:

عود الضمير إلى عيسى ﷺ، ولم أجد أحداً من أهل التفسير اختاره ورضيه، إلا أن مكي بن أبي طالب[١]، والقرطبي[٢] قدَّما هذا القول تصريحاً، وذكرا القول المتقدم تضعيفاً.

◊ الترجيـــــح:

الذي يظهر لي - والعلم عند الله - أن الراجح ما ذهب إليه جمهور المفسرين، ويكون ما ذهب إليه القرطبي مرجوحاً.

قال أبو جعفر النحاس ~ : « إن أهل التأويل يفسرون الآية على معنى النصب، كما رَوى ابن أبي نجيح[٣]، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ قال: فأخبر الله جل وعز عن محمد ﷺ[٤].

وروى معمر[٥]، عن قتادة: ﴿وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ﴾ قال: قول النبي ﷺ أن هؤلاء قوم لا يؤمنون[٦].

---

(١) ينظر: المشكل (٢/ ٦٥٢).

(٢) ينظر: تفسيره (١٩/ ٩٦).

(٣) عبد الله بن أبي نجيح يسار الثقفي أبو يسار المكي، مولى الأخنس بن شريق، ثقة، صالح الحديث، روى عن عطاء ومجاهد وغيرهما، رمي بالقدر، توفي سنة (١٣١هـ) أو بعدها.
تهذيب التهذيب (٢١/ ٥٤)، والتقريب (٢/ ٣٢٦).

(٤) هو في تفسير مجاهد (٥٨٥) بلفظ « يأثر الله ﷻ قول محمد ﷺ »، وأخرجه الطبري (١١/ ٢١٩) بلفظ: «فأبر الله قول محمد ﷺ »، وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٤٣) بلفظ: « هذا قول نبيكم ﷺ يشكو قومه إلى ربه ».

(٥) معمر بن راشد الأزدي، أبو عروة البصري، ثقة فاضل، قال الذهبي: « كان من أوعية العلم، مع الصدق والتحري، والورع والجلالة، وحسن التصنيف »، توفي سنة (١٥٢هـ) أو(١٥٣هـ).
ينظر: تاريخ البخاري (٧/ ٣٧٨٩)، والتقريب ص(٥٤١).

(٦) أخرجه الصنعاني (٢/ ٢٠٢)، والطبري (١١/ ٢١٩، ٢٢٠).

فالهاء في ﴿ وَقِيلِهِۦ ﴾ على هذا عائدة على النبي ﷺ.

وقد قيل: إن الهاء راجعة إلى قوله: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [القمر:٥٧]، أي: ويسمع قول عيسى ابن مريم ﷺ لما يئس من صلاح قومه وإيمانهم ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

والأولى بالصواب القول الأول، أن تكون الهاء عائدة على نبينا ﷺ »[1].

يشير النحاس في أول كلامه إلى الخلاف الوارد بين القُرَّاء في قراءة قوله: ﴿ وَقِيلِهِۦ ﴾، حيث ذكر قبل كلامه هذا خلافهم بين الخفض والنصب، مرجحاً النصب فيها[2].

---

(١) إعراب القرآن (٨٢٠-٨٢١).

(٢) كلمة ﴿ وَقِيلِهِۦ ﴾ قرئت بوجهين كلاهما صحيح متواتر عشري:

الوجه الأول: بالخفض، وهي قراءة عاصم وحمزة، على اعتبار أنها معطوفة على لفظ الساعة، والمعنى: وعنده علم الساعة، وعلم قيله يارب، أي: ويعلم وقت قيام الساعة، ويعلم قوله وتضرّعه.

الوجه الثاني: بالنصب، وهي قراءة البقية من القراء العشرة، وفي وجه النصب خمسة أوجه ذكرها علماء التفسير والتوجيه:

الأول: أنه معطوف على مفعول ﴿يَكْتُبُونَ ﴾ [الآية: ٨٠] المحذوف، تقديره: ورسلنا لديهم يكتبون ذلك وقيله، أي: ويكتبون قيله يارب.

الثاني: أن يكون معطوفاً على مفعول ﴿يَعْلَمُونَ ﴾ [الآية: ٨٦] المحذوف، تقديره: إلا من شهد بالحق وهم يعلمون الحق وقيله، أي: يعلمون قيله يارب.

الثالث: أن يكون معطوفاً على قوله ﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ﴾ [الآية: ٨٠] أي: نسمع سرهم ونجواهم، ونعلم قيله يارب.

الرابع: أن يكون معطوفاً على موضع الساعة في قوله: ﴿ وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [الآية: ٨٥]، والمعنى: يعلم الساعة، ويعلم قيله، وهو بمعنى الوجه الثالث.

الخامس: أنه منصوب على المصدر، أي: ويقول قيله.

ينظر: في القراءة وتوجيهها: السبعة لابن مجاهد ص(٥٨٩)، وتفسير الطبري (١١/ ٢١٩)، ومعاني الزجاج (٤/ ٤٢١)، والحجة لابن خالويه ص(٣٢٣)، والكشف (٢/ ٢٦٢-٢٦٣)، والمشكل =

إذا تقرر هذا، فإن القول الراجح هو القول الأول، ومما يدل على رجحانه - إضافة إلى ما تقدم- ما يلي:

أولاً: اتفاق أكثر أهل العلم عليه.

ثانياً: دلالة السياق؛ لأن الله تعالى قال بعد هذه الآية: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ وهو خطاب للنبي ﷺ بلا خلاف[1].

ثالثاً: أن النبي ﷺ أقرب إلى المضمر[2] من عيسى عليه السلام، وذلك عند قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ والمعنى: قل يا محمد[3].

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.

= (٢/ ٦٥١-٦٥٢) كلاهما لمكي بن أبي طالب، والتيسير للداني ص(١٩٧)، وتفسير الفخر (٩/ ٢١٠، ٢١١)، والدر المصون (٦/ ١٠٩-١١٠)، والاتحاف للدمياطي ص(٤٩٨)، وإبراز المعاني (٢/ ٦٨١)، وتفسير ابن عادل (١٧/ ٣٠٢-٣٠٤)، وأضواء الشنقيطي (٧/ ٣٣٣-٣٣٤)، والبدور الزاهرة ص(٢٨٩).

(١) وقد ذكر إجماع أهل التأويل، النحاس في إعرابه ص(٨٢١)، والشنقيطي في أضوائه (٧/ ٣٣٤).

(٢) المضمر، يقال: أضمرت الشيء: أخفيته، والمضمر: ما وضع لمتكلم أو مخاطب أو غائب تقدم ذكره إما تحقيقاً أو تقديراً.

ينظر: لسان العرب (٤/ ٤٩٢)، والتعريفات (١/ ٢٦٩).

(٣) قاله النحاس في إعرابه ص(٨٢١).

قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

۞ مسألة: النسخ والإحكام في الآية.

◊ ترجيح القرطبي:

رجَّح الإمام القرطبي ~ أنَّ الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [التوبة:٥]، حيث يقول: « قال قتادة: أمرَه بالصَّفح عنهم، ثم أمره بقتالهم، فصار الصفحُ منسوخاً بالسيف، ونحوه عن ابن عباس قال: «فاصفح عنهم»: أعرض عنهم، «وقل سلام» أي: معروفاً؛ أي: قل لمشركي أهل مكة، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ثم نُسخ هذا في سورة براءة بقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ وقيل: هي مُحْكَمة لم تُنسخ » ا.هـ [(١)].

◊ الدراسة والمناقشة:

وافق القرطبي في ترجيحه هنا المروي عن قتادة[(٢)]، ومقاتل[(٣)]، وقول الفراء[(٤)]، والطبري[(٥)]، والنحاس[(٦)]، وابن أبي زمنين[(٧)]، والماوردي[(٨)]، والبغوي[(٩)]،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٩٧).

(٢) أخرجه الطبري في جامعه (١١/ ٢٢٠)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٤٣).

(٣) ينظر: تفسيره (٣/ ٢٠٠).

(٤) ينظر: معاني القرآن (٣/ ٣٨).

(٥) ينظر: جامع البيان (١١/ ٢٢٠).

(٦) ينظر: معاني القرآن (٦/ ٣٩١).

(٧) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٩٧).

(٨) ينظر: النكت والعيون (٥/ ٢٤٣).

(٩) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٣٢).

والخازن[1]، وأبو حيان[2]، والشوكاني[3].

قال السمعاني ~ : « ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ﴾ أي: أعرض عنهم، وهذا قبل نزول آية السيف، فنسخت بآية السيف »[4].

ويقول ابن عطية ~ : « وقوله: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ﴾ موادعة منسوخة بآيات السيف » [5].

ويقول ابن كثير ~ : «... وقال مجاهد وقتادة وغيرهما: كان هذا قبل القتال، وهو كما قالا، فإن هذه مكية، والقتال إنما شرع بعد الهجرة » [6].

وذهب جماعة من المفسرين إلى أن الآية محكمة[7].

يقول الرازي ~ : « قال ابن عباس: قوله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٨٩﴾ منسوخ بآية السيف، وعندي أن التزام النسخ في أمثال هذه المواضع مشكل؛ لأن الأمر لا يفيد الفعل إلا مرة واحدة فإذا أتى به مرة واحدة فقد سقطت دلالة اللفظ، فأي حاجة فيه إلى التزام النسخ »[8].

والقول بالإحكام هو ظاهر عبارة الشنقيطي ~ حيث يقول: « وكثير من أهل العلم يقول: إن قوله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ﴾ وما في معناه، منسوخ بآيات

---

(١) ينظر: لباب التأويل (٤/ ١١٥).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٩٣).

(٣) ينظر: فتح القدير (٤/ ٧٤٢).

(٤) تفسير القرآن (٥/ ١٢٠).

(٥) المحرر الوجيز (٥/ ٦٧).

(٦) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٤٥).

(٧) ينظر: أضواء البيان (٧/ ٣٣٦).

(٨) التفسير الكبير (٩/ ٢١١).

السيف[1]، وجماعات من المحققين يقولون: هو ليس بمنسوخ.

والقتال في المحل الذي يجب فيه القتال، والصفح عن الجهلة والإعراض عنهم، وصف كريم، وأدب سماوي لا يتعارض مع ذلك » [2].

وقد جمع بين القولين الألوسي، حيث يقول ~ : «وإن أريد من الآية الكف عن القتال فهي منسوخة، وإن أريد الكف عن مقابلتهم بالكلام فليست بمنسوخة»[3].

---

(١) ومنهم: النَّحاس في ناسخه (٢/ ٦٢٤)، والمقري في ناسخه (١/ ١٥٨) وابن الجوزي في المصفى (١/ ٥٢)، وابن البازري في ناسخه ص(٤٩) والكرمي في ناسخه (١/ ١٥٨).

(٢) أضواء البيان (٧/ ٣٣٦).

(٣) روح المعاني (٢٥/ ١٤٦).

◊ الترجيـــــح:

بعد عرض أقوال المفسرين يظهر لي - والعلم عند الله- أن القول الراجح هو أن الآية محكمة، وقول القرطبي ومن معه مرجوحاً.

« ولا تعارض في الحقيقة بين آيات الأمر بالعفو والصفح والإعراض عن المشركين وأهل الكتاب ومجادلتهم بالتي هي أحسن ونحو ذلك، وبين آيات القتال عامة ؛ لأن كلا منهما موقوتة بمناسبتها وعلى الأمة أن تطبق ما قدرت عليه منهما حسب مراحل قوتها وضعفها، فتطبق الأمر بالقتال حال قوتها وتطبق الأمر بالعفو حال ضعفها، وقد أشار إلى هذا المعنى الزركشي(١) والزرقاني(٢)، وهو الراجح»(٣).

وهذا ما ذهب إليه العلامة الشنقيطي ~ وهو الراجح في آيات الأمر بالعفو والصفح عن المشركين ونحوها.

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.



(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٤٢، ٤٣).

(٢) ينظر: مناهل العرفان (٢/ ١٥٠).

والزرقاني هو: محمد بن عبد العظيم الزرقاني، من علماء الأزهر الشريف، تخرج بكلية أصول الدين وعمل بها مدرساً لعلوم القرآن والحديث، توفي بالقاهرة سنة (١٣٦٧هـ).

ينظر: الأعلام (٦/ ٢١٠).

(٣) الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/ ٥١٥، ٥١٦) حاشية رقم (٣).

ترجيحات الإمام القرطبي الواردة في:

سورة الدخان

سورة الدخان[1]

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾.

في الآية مسألتان:

۞ المسألة الأولى: في المراد بالليلة المباركة.

◊ ترجيح القرطبي:

رجَّح الإمام القرطبي ~ أن المراد بالليلة المباركة ليلة القدر، حيث يقول: « والليلةُ المباركة ليلةُ القدر، ويقال: ليلة النصف من شعبان،... وقال عكرمة:

---

(١) السورة مكية وعدد آياتها تسع وخمسون، ونزلت بعد سورة الزخرف وقبل الجاثية.

أسماؤها التوقيفية:

الاسم الأول: سورة الدخان.

سُميت بهذا الاسم في كلام الرسول ﷺ، وجاءت في كلام بعض الصحابة ﷺ، وسميت في المصاحف وكتب التفسير والسنة بهذا الاسم، وبه ترجم لها البخاري في كتاب التفسير.

الاسم الثاني: سورة حم الدخان.

جاءت هذه التسمية في كلام النبي ﷺ وفي كلام أصحابه رضوان الله عليهم.

وبهذا الاسم عنون لها الواحدي في تفسيره، كما عنون لها الحاكم في مستدركه.

واللفظان بمنزلة اسم واحد لأن كلمة ﴿حمٓ﴾ غير خاصة بهذه السورة فلا تُعدُّ علماً لها.

وجه التسمية:

سبب تسميتها بالدخان وقوع لفظ الدخان فيها في قوله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠﴾، والمراد به آية من آيات الله أيد الله بها رسوله ﷺ وجعلها آية لتخويف الكفار بسبب تكذيبهم للرسول ﷺ، فلذلك سميت به اهتماما بشأنه.

ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٥/ ٢٧٥، ٢٧٦)، وأسماء سور القرآن د/ منيرة الدوسري، ص(٣٤٢-٣٤٤).

الليلة المباركة ها هنا ليلة النصف من شعبان. والأوّل أصحُّ لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر:١]، قال قتادة وابن زيد: أنزل الله القرآن كلَّه في ليلة القدر من أمّ الكتاب إلى بيت العِزَّة في سماء الدنيا، ثم أنزله الله على نبيه ﷺ في الليالي والأيام في ثلاث وعشرين سنة » ا.هـ [(١)].

◊ الدراسة والمناقشة:

ذكر أهل التفسير في المراد بالليلة المباركة قولان:

أحدهما: أنها ليلة القدر، وقدر رُوي هذا عن عامة السلف ﷺ [(٢)]، وهو اختيار القرطبي، موافقاً جمهور المفسرين[(٣)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٩٩-١٠٠).

(٢) رُوي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وأبي عبد الرحمن السلمي، وأبي الجوزاء، وأبي نضرة، وابن زيد، والحسن البصري، وسعيد بن جبير... وآخرون.

ينظر: تفسير الطبري (١١-٢٢١) و(٢/ ١٥٠-١٥١)، ومستدرك الحاكم (٢/ ٤٨٧)، وجامع البيهقي (٧/ ٢٥٩)، والإمام الطرطوشي أبو بكر محمد بن الوليد في كتاب الحوادث والبدع ص(١١٧-١١٩)، وتفسير ابن عطية (٥/ ٦٨)، وابن كثير (٧/ ٢٤٥-٢٤٦)، وشفاء العليل لابن القيم ص(٢٢-٢٣)، والدر المنثور للسيوطي (٧/ ٣٤٥-٣٤٧)، وتفسير الشوكاني (٤/ ٧٤٤)، والألوسي (٢٥/ ١٤٨).

(٣) عزاه ابن عطية (٥/ ٦٨)، وابن العربي (٤/ ١١٧)، والنسفي (٣/ ٢٨٦)، والمباركفوري في تحفة الأحوذي (٣/ ٣٦٧) إلى الجمهور.

وعزاه إلى الأكثرين: ابن الجوزي (٧/ ١٤٩)، والفخر الرازي (٩/ ٢١٤)، والألوسي (٢٥/ ١٤٨).

وذكر الزجاج في معانيه (٤/ ٤٢٣) أنه قول المفسرين.

وممن قال به، أو اختاره وذهب إليه: الطبري (١١/ ٢٢١)، والزجاج (٤/ ٤٢٣)، والنحاس في معانيه (٦/ ٣٩٥)، وفي إعرابه ص(٨٢١)، وابن أبي زمنين (٢/ ٢٩٨)، والسمعاني (٥/ ١٢١)، والزمخشري (٤/ ٢٦٣)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/ ٩٣)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٢٥٩)، والفخر (٩/ ٢١٤)، والسخاوي في جمال القراء (١/ ٢١)، والبيضاوي (٢/ ٣٨٠)، وابن قدامة في المغني والشرح الكبير (٣/ ١١٧)، وابن كثير (٧/ ٢٤٥-٢٤٦)، وابن جزي (٤/ ٦١)، والمباركفوري في تحفة الأحوذي =

ثانيهما: أنها ليلة النصف من شعبان، وهو مروي عن عكرمة[(١)].

◊ **الترجيـــــح:**

الصحيح هو القول الأول لما يلي:

أولاً: دلت الآيات العَدّية دلالة واضحة وصريحة على أن الليلة التي أنزل فيها القرآن هي ليلة القدر من شهر رمضان، قال الله تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر].

ثانياً: وصفت هذه الليلة هنا بـ ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾، وهذا الوصف مناسب لوصفها في سورة القدر ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾[(٢)].

ثالثاً: إن البركة من خصائص ليلة القدر وقد وصفت هذه الليلة بأنها مباركة[(٣)].

رابعاً: القول بأنها ليلة النصف من شعبان قول باطل مخالف النص الصريح[(٤)]،

(٣/ ٣٦٧)، والشوكاني في تفسيره (٤/ ٧٤٤)، والألوسي (٢٥/ ١٤٨)، والقاسمي (٨/ ٣٥٥١)، والسعدي ص(١٤٨)... وغيرهم.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٢٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٧)، وعزاه السيوطي (٧/ ٣٤٧) أيضاً إلى: ابن المنذر.

(٢) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ٢١٤).

(٣) فدل ذلك على أن المراد بها: ليلة القدر. وبهذا الدليل استدل الطرطوشي في الحوادث والبدع ص(١٢٠).

(٤) المتقدم ذكره من كتاب الله جل وعلا، قال ابن العربي في أحكامه (٤/ ١١٧): « فمن زعم أنها في غيره – أي في غير رمضان – فقد أعظم الفرية على الله، وليس في ليلة النصف من شعبان حديث يُعوَّل عليه، لا في فضلها ولا في نسخ الآجال فيها، فلا تلتفوا إليها ».

وقال الشنقيطي في أضوائه (٧/ ٣١٩): « فدعوى أنها ليلة النصف من شعبان، كما رُوي عن عكرمة وغيره، لا شك في أنها دعوى باطلة، لمخالفتها لنص القرآن الصريح، ولا شك أن كل ما خالف الحق فهو باطل ».

وليس فيها حديث صحيح يُعوَّل عليه[(١)].

خامساً: القول بأنها ليلة القدر تؤيده قواعد الترجيح النَّاصَّة على أنه « لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه » ومن أن « كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فهو رد »[(٢)].

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.

---

(١) ورد في فضل ليلة النصف من شعبان عدة أحاديث كلها لا تخلو من ضعف أو وضع أو ترك، قال ابن العربي في أحكامه (٤/ ١١٧): « وليس في ليلة النصف من شعبان حديث يُعوَّل عليه، لا في فضلها، ولا في نسخ الآجال فيها، فلا تلتفتوا إليها ».

وقال الفخر الرازي (٩/ ٢١٥): « وأما القائلون بأن المراد من الليلة المباركة المذكورة في هذه الآية هي ليلة النصف من شعبان فما رأيت لهم فيه دليلاً يُعوَّل عليه ».

وقال الشنقيطي (٧/ ٣٣٩-٣٤٠): « والأحاديث التي يوردها بعضهم في أنها من شعبان المخالفة لصريح القرآن لا أساس لها، ولا يصح سند شيء منها... فالعجب كل العجب من مسلم يخالف نص القرآن الصريح، بلا مستند من كتاب، ولا سنة صحيحة » انتهى.

وينظر تأكيداً لما تقدم: كتاب الحوادث والبدع للطرطوشي ص(١١٧)، والمنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم ص(٩٨-٩٩)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٢٤٥-٢٤٦)، وابن جزي (٤/ ٦١) =

(٢) ينظر: قواعد الترجيح للحربي (١/ ١٣٧-٢١٤).

۞ **المسألة الثانية: في كيفية إنزال القرآن في الليلة المباركة.**

◊ **ترجيح القرطبي:**

رجَّح الإمام القرطبي ~ أنَّ القرآن أُنزل جملةً واحدةً إلى سماء الدنيا ليلة القدر، ثم نزل به جبريل عليه السلام نجماً نجماً في الأوامر والنواهي والأسباب، حيث يقول: ولا خلاف أنَّ القرآن أُنزل من اللوح المحفوظ ليلة القدر -على ما بيناه- جملةً واحدة، فوُضع في بيت العزة في سماء الدنيا، ثم كان جبريل عليه السلام ينزل به نجماً نجماً في الأوامر والنواهي والأسباب، وقال مقاتل في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[البقرة:١٨٥] قال: أنزل من اللوح المحفوظ كلَّ عام في ليلة القدر إلى سماء الدنيا، ثم نزل إلى السفرة من اللوح المحفوظ في عشرين شهراً، ونزل به جبريلُ في عشرين سنة، قلت: وقولُ مقاتل هذا خلاف ما نُقل من الإجماع أنَّ القرآن أنزل جملة واحدة»أ.هـ(١).

◊ **الدراسة والمناقشة:**

وردت في القرآن الكريم آيات كريمات تفيد نزول القرآن جملة واحدة(٢)، وآيات تفيد نزوله مفرقاً(٣)، وعليه فقد اختلف أهل العلم في الجمع بينها على أقوال:

القول الأول:

أنه نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملةً واحدة، ثم نزل بعد ذلك منجماً في

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣/ ١٦٠-١٦١).

(٢) من ذلك قوله تعالى هنا: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر:١]، وقوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

(٣) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وقوله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]

عشرين سنة، أو ثلاث وعشرين سنة، أو خمس وعشرين، حسب الاختلاف في مدة إقامته ﷺ بمكة[1]، واختاره القرطبي، موافقاً في ذلك عامة أهل العلم[2].

واستدل أصحاب هذا القول بثبوته عن ترجمان القرآن ابن عباس { [3].

---

(١) اختلف أهل العلم في مدة مكوث النبي ﷺ في مكة بعد بعثته، أكانت عشر سنين أم ثلاث عشرة أم خمس عشرة سنة؛ لأن مدة إقامته في المدينة عشر سنين اتفاقاً.

وذكر بعض من وُصف بمحقق تاريخ التشريع الإسلامي أن مدة إقامته بمكة اثنتا عشرة سنة، وخمسة أشهر، وثلاثة عشر يوماً.

لأنه اعتبر أن بداية دعوته في ١٧ رمضان سنة ٤١ من مولده ﷺ، ونهايته في ٩ ذي الحجة للسنة العاشرة للهجرة بعمر ٦٣ سنة، فيصبح المجموع حوالي ٢٣ سنة.

وفي الدلائل للبيهقي مما يؤيده، عن ابن عباس { وغيره: أن النبي ﷺ بُعث وعمره أربعون سنة، ومكث في مكة ثلاث عشرة سنة، وفي المدينة عشر سنوات يُوحى إليه، وقُبض وعمره ثلاث وستون سنة.

ينظر: دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ١٣١-١٣٣)، والمناهل للزرقاني (١/ ٥١-٥٢)، وتفسير الألوسي (٢٥/ ١٥٠)، ولمحات في علوم القرآن، ص(٥٦).

(٢) حكى القرطبي (١٩/ ١٦٠)، وابن كثير (١/ ٥٠٥-٥٠٦)، الإجماع على أن القرآن نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا.

وعزاه إلى الجمهور الفخر الرازي (٥/ ٢٥٠)، وإلى الأكثرين عزاه الزركشي في البرهان (١/ ٢٢٨).

وممن قال به وذهب إليه: الطبري في تفسيره (٢/ ١٥٠-١٥١)، والزجاج في معانيه (٤/ ٤٢٣)، والنحاس في معانيه (٦/ ٣٩٥)، وفي إعرابه ص(١١١٥)، والسمرقندي (٣/ ٢٦٧)، وابن أبي زمنين (٢/ ٢٩٨)، والواحدي (٤/ ٨٥)، والزمخشري (٤/ ٢٦٣)، والفخر الرازي (٥/ ٢٥٠)، والزركشي في البرهان (١/ ٢٢٨)، والسخاوي في جمال القراء (١/ ٢٠-٢٢)، والسيوطي في الإتقان (١/ ١١٦)، والنسفي (٣/ ٢٨٦)، وابن كثير في تفسيره (١/ ٥٠٥-٥٠٦)، وابن حجر في الفتح (٩/ ٤)، وابن جُزي (٤/ ٦١)، والزرقاني في المناهل (١/ ٤٤-٤٥)، ومحمد أبو شهبة في المدخل ص(٤٧-٤٨)، والدكتور فهد الرومي في دراسات في علوم القرآن الكريم ص(١٩٧-١٩٨)... وآخرون.

(٣) روى حماد بن زيد، عن أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: « أنزل القرآن في ليلة القدر، إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم نزل به جبرائيل في عشرين سنة ».

ومن طريق عكرمة عن ابن عباس أخرجه النسائي في الكبرى (كتاب: فضائل القرآن، باب: كم بين نزول =

القول الثاني:

أنه نزل إلى سماء الدنيا في عشرين ليلة قدرٍ من عشرين سنة[1]، في كل ليلة قدر ما يقدِّر الله سبحانه إنزاله في كل السنة، ثم ينزل بعد ذلك منجماً في جميع السنة على رسول الله ﷺ.

وهو مروي عن مقاتل بن حيان[2].

= أول القرآن وآخره، ٦/٥، ح٧٩٨٩ و ٧٩٩٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٩٩، ح٣٣٩٠)، والطبري في تفسيره (٢/ ١٥١).

وأخرجه البيهقي في الكبرى (٦/٥، ح٧٩٩٠)، والطبراني في الأوسط (٢/ ١٣١، ح١٤٧٩)، وفي الكبير (١١/ ٢٤٧، ح١١٨٣٩)، نحوه، وليس فيه ذكر العشرين سنة.

والإسناد صححه الحاكم في المستدرك، وقال في المجمع (٧/ ١٤٠): « وفيه عمران القطان، وثقه ابن حبان وغيره، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات »، وصححه السيوطي في الإتقان (١/ ١١٧).

ومن طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: نزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة واحدة ثم فرق في السنين. أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥١٩، ح٣٧٨١)، والطبري في تفسيره (٢/ ١٥١)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٤٨٠، ح١١٥٦٥)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٤٤، ح١٢١٣٢٦)، وصححه الحاكم.

ومن طريق مقسم عن ابن عباس: أنه سأله عطية بن الأسود فقال: أوقع في قلبي الشك قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، وقوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾. وهذا نزل في شوال وفي ذي القعدة وفي ذي الحجة وفي المحرم وصفر وشهر ربيع، فقال ابن عباس { : إنه أنزل في رمضان ليلة القدر جملة واحدة، ثم أنزل على مواقع النجوم رسلا في الشهور والأيام.

أخرجه الطبري (٢/ ١٥١)، وابن أبي حاتم في تفسيره ()، والطبراني في الكبير (١٢/ ٣٠٩، ح١٢٠٩٥).

(١) أو أكثر على حسب الإختلاف المتقدم.

(٢) ذكره السمرقندي (١/ ١٢٢)، وابن كثير (١/ ٥٠٦).

ونُقِل هذا القول أيضاً عن الحليمي في المنهاج، وابن الماوردي في التفسير.

ينظر: فتح الباري لابن حجر (٩/ ٤)، والبرهان (١/ ٢٢٩)، والإتقان (١/ ١١٨).

قال الحافظ ابن حجر: « أورده ابن الأنباري من طرق ضعيفة ومنقطعة أيضاً »، ثم قال: « وما تقدم من =

وتعقبه القرطبي بقوله: « وقول مقاتل هذا خلاف ما نقل من الإجماع أن القرآن أنزل جملة واحدة »[1].

القول الثالث:

أن المراد: أنزلناه قرآنا في تفضيل ليلة القدر، أو صيام شهر رمضان[2]، وهو قوله تعالى: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣﴾، وقوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٨٥].

قال الضحاك: أنزل في فرضه وتعظيمه والحض عليه[3]، وقال ابن عيينة: « أنزل فيه القرآن » معناه: أنزل في فضله القرآن[4]، واختاره العكبري[5].

القول الرابع:

أنه أُبتدىء إنزاله في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك منجَّماً في أوقات مختلفة من سائر الأوقات.

= أنه نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم أنزل بعد ذلك مفرقاً، هو الصحيح المعتمد».

ومقاتل بن حيان النبطي البلخي، أبو بسطام، كان من العلماء العاملين، ذا نسك ودين، توفي سنة (١٥٠هـ).

ينظر: تهذيب الكمال (٧/ ٢٠٨)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٣٤٠).

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣/ ١٦١).

(٢) هكذا خصه بعضهم بليلة القدر، وذكر بعضهم أنه إنزال القرآن في فضل شهر رمضان، كما قال تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾ أي: في فضل رمضان وصيامه.

(٣) ذكره ابن عطية (١/ ٢٥٤).

(٤) ذكره الفخر الرازي (٥/ ٢٥٠)، وابن كثير (١/ ٥٠٦)، وتعقبه بقوله: « وهذا غريب جداً ».

وبنحوه قال ابن الأنباري: « أنزل في إيجاب صومه على الخلق القرآن، كما يقول: أنزل الله في الزكاة كذا وكذا، يريد في إيجابها، وأنزل في الخمر كذا، يريد في تحريمها » ذكره الفخر الرازي (٥/ ٢٥٠).

(٥) ينظر: إملاء ما منَّ به الرحمن ص(٨٢).

قاله الشعبي[1]، وابن إسحاق[2].

وقدَّمه الزمخشري[3]، ولم يذكر غيره الثعالبي[4].

والأقوال الثلاثة الأخيرة تعقبها الزرقاني بأنها بمعزل عن التحقيق، وهي محجوجة بالأدلة التي سيقت تأييداً للقول الأول[5].

---

(١) أخرجه الطبري(١٢/ ٦٥١)، وذكره القرطبي(٢٢/ ٣٩٠)، والزركشي في البرهان (١/ ٢٢٩)، والسيوطي في الإتقان(١/ ١١٨)، وأبو شهبة في المدخل ص(٤٩)، والرومي في الدراسات ص(١٩٥).

(٢) ذكره عنه الفخر (٥/ ٢٥٠)، وابن الجوزي (١/ ١٧٠).

وابن إسحاق هو: محمد بن إسحاق بن يسار، أبو بكر المطلبي مولاهم، العلامة الحافظ أمير المؤمنين في الحديث توفي سنة (١٥٠هـ).

ينظر: طبقات ابن سعد (٧/ ٣٢١)، والمعارف لابن قتيبة ص(٤٩١)، والسير (٧/ ٣٣-٥٥).

(٣) ينظر: تفسيره (١/ ٣٨٣).

(٤) ينظر: تفسيره (٣/ ١٥٦).

(٥) ينظر: مناهل العرفان (١/ ٤٦).

◊ **الترجيـــــح:**

يظهر لي - والله أعلم- أن القول الأول هو الراجح، وهوما ذهب إليه القرطبي؛ وذلك لما يلي:

أولاً: إمامة القائلين به.

قال الحافظ ابن حجر: «.. وما تقدم من أنه نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم أنزل بعد ذلك مفرقاً، هو الصحيح المعتمد»(١).

ثانياً: الإجماع على أن القرآن الكريم أُنزل جملة واحدة(٢).

ثالثاً: يشهد لصحته ما رُوي عن ابن عباس { من طرق متعددة صحيحة، وهذه الروايات وإن كانت موقوفة على ابن عباس إلا أنها في حكم الرفع، « لما هو مقرّر من أن قول الصحابي مما لا مجال للرأي فيه، ولم يُعرف بالأخذ عن الإسرائيليات، حكمه حكم المرفوع، ولا ريب أن نزول القرآن إلى بيت العزة من أنباء الغيب التي لا تُعرف إلا من المعصوم، وابن عباس لم يُعرف بالأخذ عن الإسرائيليات، فثبت الاحتجاج بها »(٣).

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.



---

(١) فتح الباري (٩/ ٤).

(٢) كما تقدَّم نقله عن القرطبي، وابن كثير.

(٣) قاله الزرقاني في المناهل (١/ ٤٥)، وينظر في تقرير هذه القاعدة: النكت على كتاب ابن الصلاح (٢/ ٥٣٠-٥٣٤).

وممن استدل بهذه القاعدة: النحاس في معانيه (٦/ ٣٩٥)، والزركشي في البرهان (١/ ٢٢٨)، والسيوطي في الإتقان (١/ ١١٦-١١٨)، وأبو شهبة في المدخل ص(٤٨)، والرومي في الدراسات ص(١٩٧-١٩٨)... وآخرون.

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾﴾.

۞ مسألة: المراد بالرجم في الآية.

◊ ترجيح القرطبي:

ذهب الإمام القرطبي ~ إلى أن المراد بالرجم في الآية الكريمة، أي القتل بالحجارة، حيث يقول « كأنهم توعَّدوه بالقتل فاستجار بالله، قال قتادة: ﴿تَرْجُمُونِ﴾ بالحجارة. وقال ابن عباس: تشتمون، فتقولوا: ساحرٌ كذَّاب »أ.هـ[(١)].

◊ الدراسة والمناقشة:

اختلف أهل التفسير في المراد بالرجم في الآية على أقوال ثلاثة:

القول الأول:

المراد بالرجم أي: الرجم بالحجارة.

وهو ما ذهب إليه القرطبي، موافقاً في اختياره هذا المروي عن قتادة[(٢)].

ورجحه ابن عطية[(٣)]، وابن جزي[(٤)]، وأبو حيان[(٥)]، والثعالبي[(٦)].

وعليه عبارة عامة المفسرين، ومنهم: عبدالرزاق الصنعاني[(٧)]،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١١٢).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٢٣٣)، والبغوي (٤/ ١٣٦).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٧١).

(٤) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٦٣).

(٥) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٤٠١).

(٦) ينظر: الجواهر الحسان (٣/ ١٥٧).

(٧) ينظر: تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٠٧).

وعبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، أبو بكر الصنعاني من أئمة الحديث والتفسير الثقات، = ⇦

والنسفي[1]، والسمين الحلبي[2]، ومحي الدين زاده[3]، والألوسي[4]، والسعدي[5]، والطاهر بن عاشور[6].

وقدَّم هذا القول أبو جعفر النحاس[7]، والماوردي[8]، والعز بن عبد السلام[9]، والشوكاني[10].

ويدخل في معنى هذا القول ما ذهب إليه السدي[11]، ومقاتل[12]، والفراء[13]، وابن قتيبة[14]، والواحدي[15]، والبغوي[16]، والقاسمي[17]؛ من أن المراد بالرجم: أي القتل.

= وكان فيه تشيع يسير، توفي سنة (٢١١هـ).

ينظر: التاريخ الكبير (٦/ ١٣٠)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢١٦)، طبقات الحفاظ ص(١٥٤).

(١) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٩٠).

(٢) ينظر: الدر المصون (٦/ ١١٤).

(٣) ينظر: حاشية زاده (٧/ ٥٠٥).

(٤) ينظر: روح المعاني ص(١٦٣).

(٥) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨٣٥).

(٦) ينظر: التحرير والتنوير (٢٥/ ٢٩٧).

(٧) ينظر: معاني القرآن (٦/ ٤٠٢).

(٨) ينظر: النكت والعيون (٥/ ٢٥٠).

(٩) ينظر: تفسيره (٣/ ١٦٨).

(١٠) ينظر: فتح القدير (٤/ ٧٤٩).

(١١) ينظر: النكت والعيون (٥/ ٢٥٠)، وزاد المسير (٧/ ١٥٣).

(١٢) ينظر: تفسيره (٣/ ٢٠٤).

(١٣) ينظر: معاني القرآن (٣/ ٤٠).

(١٤) ينظر: تفسير غريب القرآن ص(٣٤٦).

(١٥) ينظر: تفسير الوسيط (٤/ ٨٨).

(١٦) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٣٦).

(١٧) ينظر: محاسن التأويل (٨/ ٣٥٦٠).

قال ابن عطية: « واختلف الناس في قوله: ﴿أَن تَرۡجُمُونِ﴾ فقال قتادة وغيره: أراد الرجم بالحجارة المؤدي إلى القتل، وقال ابن عباس وأبو صالح[(١)]: أراد الرجم بالقول من السباب والمخالفة ونحوه، والأول أظهر؛ لأنه أعيذ منه ولم يعذ من الآخر، بل قيل فيه عليه السلام وله »[(٢)].

القول الثاني:

أن المراد بالرجم، أي: رجم القول من السب والشتم ونحوهما.

وبهذا قال ابن عباس[(٣)]، وأبو صالح[(٤)].

وقدَّم هذا القول ابن الجوزي[(٥)]، وابن كثير[(٦)].

القول الثالث:

أن المراد بالرجم، أي: عموم الرجم سواءً كان ضرباً أو شتماً أو قتلاً.

ذهب إلى هذا القول الطبري[(٧)]، والمراغي[(٨)]، وقدَّمه البيضاوي[(٩)]،

---

(١) أبو صالح باذان ويقال: باذام مولى أم هانيء الهاشمي، تابعي، صاحب التفسير، صالح الحديث، ثقة، روى عنه إسماعيل بن أبي خالد، وروى عنه علي بن أبي طالب وابن عباس.
ينظر: التاريخ الكبير (٢/ ١٤٤)، والكنى للبخاري (١/ ٨٦)، الثقات للعجلي (١/ ٢٤٢)، ميزان الاعتدال (١/ ٢٩٦)، تهذيب التهذيب (٤/ ١).

(٢) المحرر الوجيز (٥/ ٧١).

(٣) ينظر: النكت والعيون (٥/ ٢٥٠)، وزاد المسير (٧/ ١٥٣).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٥٢).

(٥) ينظر: زاد المسير (٧/ ١٥٣).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٥٢).

(٧) ينظر: جامع البيان (١١/ ٢٣٣).

(٨) ينظر: تفسيره ص(١٢٥، ١٢٦).

(٩) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٨٢).

وأبو السعود[١] والألوسي[٢].

يقول الطبري: « وأولى الأقوال بالصواب، ما دلَّ عليه ظاهر الكلام وهو أن موسى ﷺ، استعاذ بالله من أن يرجمه فرعون، والرجم قد يكون قولاً باللسان وفعلاً باليد، والصواب أن يُقال استعاذ موسى بربه من كل معاني رجمهم، الذي يصل منه إلى المرجوم أذى ومكروه شتماً كان ذلك باللسان أو رجماً بالحجارة باليد »[٣].

◊ **الترجيـــــح:**

بعد عرض هذه الأقوال، نقول وبالله التوفيق:

إذا رجعنا إلى مادة « رجم » في معاجم اللغة وجدنا أنها تأتي بمعنى الأقوال الثلاثة؛ حيث يقول صاحب لسان العرب[٤] ما نصه: « الرجم: القتل، وقد ورد في القرآن الرجم القتل في غير موضع من كتاب الله ﷻ، وإنما قيل للقتل رجم؛ لأنهم كانوا إذا قتلوا رجلاً رموه بالحجارة حتى يقتلوه، ثم قيل لكل قتل رجم، ومنه رجم الثيبين إذا زنيا، وأصله الرمي بالحجارة. ابن سيده: الرجم الرمي بالحجارة رجَمَهُ يَرْجُمُهُ رَجْماً، فهو مرجوم ورجيم. والرجم: اللعن، ومنه الشيطان الرجيم، أي المرجوم بالكواكب، صُرِفَ إلى فعيل من مفعول، وقيل: رجيم مرجوم باللعنة مبعد مطرود، وهو قول أهل التفسير، قال: ويكون الرجيم بمعنى المشتوم المسبوب من قوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾؛ أي: لأسبنك. والرجم: الهجران، والرجم الطرد، والرجم

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/ ٥٠).

(٢) ينظر: روح المعاني (٢٥/ ١٦٣).

(٣) جامع البيان (١١/ ٢٣٣).

(٤) محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري، جمال الدين، أبو الفضل، صاحب لسان العرب في اللغة، توفي سنة (٧١١هـ).

ينظر: الدرر الكامنة (٤/ ١٦)، وشذرات الذهب (٦/ ٢٦-٢٧).

الظنُّ، والرجم السب والشتم»[١].

وقال الجوهري في الصحاح: « الرجم: القتل، وأصله الرمي بالحجارة. وقد رجمته أرجمه رجماً، فهو رجيم ومرجوم...

والرجم: أن يتكلم الرجل بالظنَّ. قال تعالى: ﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِ﴾ يقال صار فلان رجماً: لا يوقف على حقيقة أمره »[٢].

على هذا فإن الرجم يأتي بمعنى الرمي بالحجارة، وبمعنى القتل، وبمعنى السب والشتم، وإن كان في الأصل أنه بمعنى الرمي بالحجارة.

أما تسمية الشتم رجما فاستعارة[٣].

وفي هذه الآية حمل بعض المفسرين اللفظة على العموم[٤]، والذي يظهر لي - والله أعلم- أن الرجم في الآية بمعنى القتل، ويكون بالرمي بالحجارة، وذلك لأمرين:

الأول: أنه الأصل من حيث اللغة؛ كما بيَّناه.

ثانياً: أن هناك قرينه تؤيد هذا المعنى، وهي في سورة المؤمن حيث يقول سبحانه على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٢٧ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر:٢٧- ٢٨] فقد ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن نبيه موسى -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- عاذ بربه، أي اعتصم به وتمنع، يقول العلامة الشنقيطي

---

(١) لسان العرب (١٢/ ٢٢٦-٢٢٧).

(٢) الصحاح (٥/ ١٩٢٨).

(٣) ينظر: المقاييس (١/ ٣١٢).

والاستعارة هي: ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين. التعريفات (١/ ٣٦).

(٤) تقدَّم بيانه في القول الثالث في هذه المسألة.

~ : « وسبب عياذ موسى بربه المذكور، أن فرعون قال لقومه: ﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر]؛ ثم ذكر جل وعلا، أن رجلاً مؤمناً من آل فرعون ﴿يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ أي يخفي عنهم أنه مؤمن، أنكر على فرعون وقومه إرادتهم قتل نبي الله موسى -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- »[1].

إذا تقرر هذا فإن قول القرطبي ومن معه هو الأولى بالقبول، وعليه القاعدة الترجيحية النَّاصَّة على أنَّ: « القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك »[2].

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.

(١) أضواء البيان (٧/ ٩٠-٩١).

(٢) قواعد الترجيح للحربي (١/ ٣١٢).

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۝٢٨﴾.

۞ مسألة: المراد بالقوم الآخرين في الآية.

◊ ترجيح القرطبي:

رجح القرطبي ~ أن المراد بالقوم الآخرين، أنهم بنوا إسرائيل وليسوا من قوم موسى عليه السلام، حيث يقول: « ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾، يعني: بني إسرائيل، ملّكهم الله تعالى أرض مصر بعد أن كانوا فيها مستعبدين، فصاروا لها وارثين؛ لوصول ذلك إليهم كوصول الميراث، ونظيره: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ [الأعراف:١٣٧] »أ.هـ[(١)].

◊ الدراسة والمناقشة:

اختلف المفسرون في المراد بالقوم الآخرين في الآية الكريمة، على قولين:

أحدهما: ما رجحه القرطبي من أن المراد بالقوم الآخرين بنو إسرائيل، وليسوا من قوم موسى عليه السلام، وما ذهب إليه القرطبي هو المروي عن قتادة[(٢)] ومقاتل[(٣)].

وعليه عامة عبارات المفسرين ومنهم:

الطبري[(٤)]، وابن أبي زمنين[(٥)]، والماوردي[(٦)]، والواحدي[(٧)]،

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١١٨-١١٩).

(٢) ينظر: جامع البيان (١١/ ٢٣٧).

(٣) ينظر: تفسيره (٣/ ٢٠٥).

(٤) ينظر: جامع البيان (١١/ ٢٣٧).

(٥) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٣٠١).

(٦) ينظر: النكت والعيون (٥/ ٢٥٢).

(٧) ينظر: الوسيط (٤/ ٨٩).

والسمعاني[1]، والزمخشري[2]، وابن الجوزي[3]، والعز بن عبد السلام[4]، والنسفي[5]، وأبي حيان[6]، وابن كثير[7]، والسيوطي[8]، ومحي الدين زاده[9]، والشوكاني[10].

واستُدلَّ لهذا القول بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء:٥٩].

وممن استدل بهذه الآية على صحة هذا القول، ابن جزي[11]، والألوسي[12]، والسعدي[13]، والشنقيطي[14].

وقدَّم هذا القول: البيضاوي[15].

ثانيهما: أن المراد بالقوم الآخرين، قوماً آخرين ممن ملك مصر بعد القبط[16]

---

(١) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ١٢٦).

(٢) ينظر: الكشاف (٤/ ٢٦٩).

(٣) ينظر: زاد المسير (٧/ ١٥٣).

(٤) ينظر: تفسيره (٣/ ١٦٩).

(٥) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٩١).

(٦) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٤٠٢).

(٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٥٣).

(٨) ينظر: الدر المنثور (٧/ ٣٥٦).

(٩) ينظر: حاشية زاده (٧/ ٥٠٧).

(١٠) ينظر: فتح القدير (٤/ ٧٥٠).

(١١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٦٣).

(١٢) ينظر: روح المعاني (٢٥/ ١٦٦).

(١٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨٣٥).

(١٤) ينظر: أضواء البيان (٧/ ٣٤٥).

(١٥) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٨٣).

(١٦) القبط: وهم من أهل مصر نسبوا إلى قبط ابن قوط بن حام، وكانوا ملوك مصر ثم ملك العمالقة مصر.

ينظر: اللباب في تهذيب الأنساب (٣/ ١٣)، المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب (١/ ١)، مقدمة ابن خلدون (١/ ٢٣).

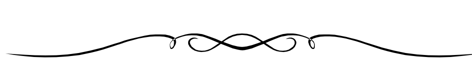
من غير بني إسرائيل، وهو المفهوم من كلام ابن عطية[1]، والثعالبي[2]، والقاسمي[3]، والمراغي[4]، وابن عاشور[5].

يقول ابن عطية: « وقول قتادة: هم بنو اسرائيل، قول ضعيف؛ لأنه لم يرو أن بني اسرائيل رجعوا إلى مصر في شيء من ذلك الزمان ولا ملكوها قط، إلا أن يريد قتادة أنهم ورثوا نوعها في بلاد الشام[6]، وذكر الثعلبي عن الحسن أن بني اسرائيل رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون »[7].

◈ الترجيح:

بعد عرض الأقوال يتبيَّن لي أن قول القرطبي ومن معه هو الأرجح لوجود الدليل، ولموافقته القاعدة الترجيحية النَّاصَّة على أن « القول الذي تؤيده آيات قرآنية مُقدم على ما عُدم ذلك »[8].

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.



---

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٧٣).

(٢) ينظر: الجواهر الحسان (٣/ ١٦٠).

(٣) ينظر: محاسن التأويل (٨/ ٣٥٦١).

(٤) ينظر: تفسيره ص(١٢٨).

(٥) ينظر: التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٠٣).

(٦) الشام: هي من الفرات إلى العريش طولاً، ومن جبلي طيء إلى بحر الروم عرضاً، وقسمت الشام خمسة أقسام: الأول فلسطين، والثانية طبرية والغور و اليرموك، والثالثة الغوطة ومدينتها العظمى دمشق، والرابعة أرض حمص.
ينظر: آثار البلاد (١/ ٨١)، الروض المعطار (١/ ٣٣٥).

(٧) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٧٣).

(٨) ينظر: قواعد الترجيح الحربي (١/ ٣١٢).

قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ٢٩﴾.

في الآية مسألتان:

۞ المسألة الأولى: هل السماء والأرض تبكيان؟

◊ ترجيح القرطبي:

رجَّح الإمام القرطبي ~ أن السماء والأرض تبكيان عند موت المؤمن، ونَفيُ بكاء السماء والأرض عند هلاك الكافرين هو: أنهم لم يعملوا على الأرض عملاً صالحاً تبكي عليهم لأجله، ولم يصعد لهم عمل، حيث يقول: « كانت العرب تقول عند موت السيد منهم: بكت له السماء والأرض، أي: عمَّت مصيبته الأشياء حتى بكته السماء والأرض والريح والبرق، وبكته الليالي الشاتيات...

والمعنى: أنهم هلكوا فلم تعظُم مصيبتهم، ولم يوجد لهم فَقْد.

وقيل: في الكلام إضمار، أي: ما بكى عليهم أهل السماء والأرض من الملائكة، كقوله تعالى: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [يوسف:٨٢]، بل سُرُّوا بهلاكهم، قاله الحسن.

وقال مجاهد: إن السماء والأرض يبكيان على المؤمن أربعين صباحاً.

وقال علي وابن عباس { : إنه يبكي عليه مُصلاَّه من الأرض، ومصعد عمله من السماء. وتقدير الآية على هذا: فما بكت عليهم مصاعد عملهم من السماء، ولا مواضعُ عبادتهم من الأرض، وهو معنى قول سعيد بن جبير » ا.هـ[1].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١١٩-١٢٠).

◊ الدراسة والمناقشة:

وافق القرطبي في ترجيحه هنا المروي عن علي ﷺ[1]، وابن عباس { [2]، وأنس بن مالك ﷺ[3]، وسعيد بن جبير[4]، ومجاهد[5]، ومقاتل[6]، وقتادة[7]، والضحاك[8]، وقول الصنعاني[9]، والطبري[10]، وابن أبي حاتم[11]، وابن أبي زمنين[12]، والثعلبي[13]، والواحدي[14]، والسمعاني[15]، والبغوي[16]، ووافقهم النسفي[17]، وابن كثير[18]، والسيوطي[19]، والشوكاني[20]،

---

(١) أخرجه السيوطي في الدر (٧/ ٣٥٨).

(٢) أخرجه الطبري في جامعه (١١/ ٢٣٧، ٢٣٨)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٥٧).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٢٨٨)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٥٦).

(٤) أخرجه الطبري في جامعه (١١/ ٢٣٨، ٢٣٩)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٥٧).

(٥) أخرجه الطبري في جامعه (١١/ ٢٣٨)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٥٧، ٣٥٨).

(٦) ينظر: تفسيره (٣/ ٢٠٥).

(٧) أخرجه الطبري في جامعه (١١/ ٢٣٨، ٢٣٩)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٥٧).

(٨) ينظر: تفسيره (٢/ ٧٥١).

(٩) ينظر: تفسيره (٣/ ١٨٥).

(١٠) ينظر: جامع البيان (١١/ ٢٣٧).

(١١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (١٠/ ٣٢٨٨، ٣٢٨٩).

(١٢) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٣٠١).

(١٣) ينظر: الكشف والبيان (٥/ ٤٣٢).

(١٤) ينظر: الوسيط (٤/ ٩٠).

(١٥) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ١٢٧).

(١٦) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٣٦).

(١٧) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٩١).

(١٨) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٥٣، ٢٥٤).

(١٩) ينظر: الدر المنثور (٧/ ٣٥٦، ٣٥٧).

(٢٠) ينظر: فتح القدير (٤/ ٧٥٢).

والقاسمي[١]، والسعدي[٢]، وقدَّم هذا القول على غيره من الأقوال النحاس[٣]، وابن الجوزي[٤]، والرازي وقد نسبه لأكثر المفسرين[٥].

وذهب الزمخشري[٦]، وابن عطية[٧]، والبيضاوي[٨]، وابن جزي[٩]، وأبو حيان[١٠]، والألوسي[١١]، وابن عاشور[١٢]، إلى أن هذا من باب الاستعارة والمبالغة في تحقير أمرهم وعدم الإكتراث بهلاكهم، وأن هذا على سبيل التهكم بهم وتهوين شأنهم.

وذهب بعض المفسرين إلى أنَّ المراد أهل السماء وأهل الأرض، أي: في الكلام إضمار، والتقدير: ما بكى عليهم أهل السماء والأرض من الملائكة والمؤمنين، وهو قول الحسن البصري[١٣]، وقدَّم هذا القول العز بن عبد السلام[١٤].

---

(١) ينظر: محاسن التأويل (٨/ ٣٥٦١).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨٣٥).

(٣) ينظر: معاني القرآن (٦/ ٤٠٤)، وإعراب القرآن ص(٨٢٤).

(٤) ينظر: زاد المسير (٧/ ١٥٤).

(٥) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ٢٢٣).

(٦) ينظر: الكشاف (٤/ ٢٦٩).

(٧) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٧٣).

(٨) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٨٣).

(٩) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٦٤).

(١٠) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٤٠٣).

(١١) ينظر: روح المعاني (٢٥/ ١٦٦).

(١٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٠٤).

(١٣) ذكره الماوردي في النكت (٥/ ٢٥٢)، وابن الجوزي في الزاد (٧/ ١٥٤).

(١٤) ينظر: تفسيره (٢/ ١٩٨).

◊ **الترجيـــح:**

الذي يظهر لي -والله أعلم- أن البكاء المنفي في الآية هو حقيقة البكاء، وهو ما ذهب إليه القرطبي والجمهور معه، ويستدل على ذلك بقول علي رضي الله عنه: « إن المؤمن إذا مات بكى عليه مُصَلاَّه من الأرض ومَصْعَد عمله من السماء، وإن آل فرعون لم يكن لهم في الأرض مُصَلّى ولا في السماء مَصْعَد عمل، فقال الله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾[1]، وإلى هذا القول ذهب حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما.

قال السمعاني رحمه الله بعد أن قدَّم هذا القول، وذكر قولين بعده، ثم قال مرجحاً بين الأقوال: « والمعروف من الأقوال هو الأول، وهو المنقول عن السلف »[2].

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية النَّاصَّة على أنه: « لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه »، وأنه « إذا ثبت الحديث وكان نصّاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره »، وأن « تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم »[3].

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.



(١) ينظر: الزهد لابن المبارك (١/ ١١٤)، عون المعبود (٤/ ٣٢٤)، مسند ابن الجعد (١/ ٣٣٥).

(٢) تفسير القرآن (٥/ ١٢٧).

(٣) قواعد الترجيح للحربي (١/ ١٣٧، ١٩١، ٢٧١).

۞ **المسألة الثانية: صفة بكاء السماء والأرض.**

◊ **ترجيح القرطبي:**

رجَّح الإمام القرطبي ~ أنَّ بكاء السماء والأرض صفته كبكاء الحيوان، حيث يقول: « وفي بكاء السماء والأرض ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه كالمعروف من بكاء الحيوان.

وقيل: بكاؤهما: حمرة أطرافهما.

وقيل: بكاؤها: أمارة تظهر منها تدلُّ على أسف وحزن.

قلت: والقول الأوَّل أظهر، إذ لا استحالة في ذلك، وإذا كانت السماوات والأرض تُسبِّحُ وتسمع وتتكلم...، فكذلك تبكي، مع ما جاء من الخبر في ذلك » ا.هـ[(١)].

◊ **الدراسة والمناقشة:**

وافق القرطبي ~ في ترجيحه هذا المروي عن ابن عباس[(٢)]، وسعيد بن جبير[(٣)]، ومجاهد وقتادة[(٤)]، والضحاك[(٥)]، ومقاتل[(٦)]، وقول الطبري[(٧)]، والنحاس[(٨)]،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٢٠-١٢٣).

(٢) أخرجه الطبري في جامعه (١١/ ٢٣٧-٢٣٨)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٥٦، ٣٥٧).

(٣) أخرجه الطبري في جامعه (١١/ ٢٣٧، ٢٣٨).

(٤) المصدر السابق (١١/ ٢٣٨، ٢٣٩).

(٥) ينظر: تفسيره (٢/ ٧٥١).

(٦) ينظر: تفسيره (٣/ ٢٠٥).

(٧) ينظر: جامع البيان (١١/ ٢٣٧، ٢٣٨).

(٨) ينظر: معاني القرآن (٦/ ٤٠٤).

وابـن أبي زمنـين[١]، والواحـدي[٢]، والـسمعاني[٣]، وابـن الجـوزي[٤]، والـرازي[٥]، والعز بن عبد السلام[٦].

ووافقهم النسفي[٧]، والخازن[٨]، وابن كثير[٩]، والسيوطي[١٠].

ونسب الرازي هذا القول لأكثر المفسرين حيث يقول: « وذلك لأنهم لم يكونـوا يعملون على الأرض عملاً صالحاً فتبكي عليهم، ولم يصعد لهم إلى الـسماء كـلام طيـب ولا عمل صالح فتبكي عليهم، وهذا قول أكثر المفسرين »[١١].

قال ابن كثير ~ : «... وقال مجاهد أيضاً: ما مات مؤمن إلا بكت عليه الـسماء والأرض أربعـين صـباحاً، قـال: فقلـت لـه: أتبكـي الأرض؟ فقـال: أتعجـب؟ ومـا للأرض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والـسجود؟ ومـا للـسماء لا تبكـي عـلى عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي النحل؟

وقال قتادة: كانوا أهون على الله من أن تبكي عليهم السماء والأرض »[١٢].

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٣٠١).

(٢) ينظر: الوسيط (٤/ ٨٩، ٩٠).

(٣) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ١٢٦، ١٢٧).

(٤) ينظر: زاد المسير (٧/ ١٥٤).

(٥) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ٢٢٣).

(٦) ينظر: تفسيره (٢/ ١٩٨).

(٧) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٩١).

(٨) ينظر: لباب التأويل (٤/ ١١٨).

(٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٥٣، ٢٥٥).

(١٠) ينظر: الدر المنثور (٧/ ٣٥٦-٣٥٩).

(١١) التفسير الكبير (٩/ ٢٢٣).

(١٢) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٥٣-٢٥٤).

ونقل بعض المفسرين عن السدي وعطاء أن بكاؤها احمرارها وأنه لما قُتل الحسين احمرت أفاق السماء أربعة أشهر، وأن يحيى بن زكريا لما قُتل احمرت السماء وقطرت دماً، وقال محمد بن سيرين[1]: أخبرونا أن الحمرة التي تكون مع الشفق لم تكن حتى قُتل الحسين بن علي { .

قال القرطبي: « قلت: روى الدارقطني[2] من حديث مالك بن أنس عن نافع ابن عمر قال: قال النبي ﷺ: (الشفق الحمرة) »[3].

وعن عبادة بن الصامت[4] وشداد بن أوس[5] قالا: الشفق شفقان، الحمرة

---

(١) محمد بن سيرين البصري، الأنصاري، أبو بكر، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، اشتهر بالورع وتعبير الرؤيا، توفي سنة (١١٠هـ).
ينظر: التاريخ الكبير (١/ ٤٠)، ومشاهير علماء الأمصار (٨٨)، وصفة الصفوة (٣/ ١٧٠).

(٢) علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي، أبو الحسن، الإمام الحافظ الشهير، شيخ الإسلام، انتهى إليه علم الأثر والمعرفة بالملل وأسماء الرجال، توفي سنة (٣٨٥هـ).
ينظر: تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٩١-٩٩٥)، وطبقات الحفاظ (١/ ٣٩٣-٣٩٥).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (١١/ ٢٣٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤/ ١٣٦، ١٣٧)، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٧/ ٣٢٤)، والدر للسيوطي (٧/ ٣٥٨).
والحديث أخرجه الدارقطني في السنن (١/ ٥٠٦)، ح(١٠٥٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٣٧٣)، ح(١٨١٦)، باب: دخول وقت العشاء.
وقال في مرقاة المفاتيح (٢/ ٢٨٥): « صححه ابن خزيمة وغيره ووقفه على ابن عمر »، وقال البيهقي: « الصحيح وقفه على ابن عمر »، وينظر: صحيح ابن خزيمة (١/ ١٨٣).

(٤) عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد، صحابي، من الموصوفين بالورع، شهد العقبة، وكان أحد النقباء، توفي سنة (٣٤هـ).
ينظر: معرفة الصحابة (٤/ ١٩١٩)، والاستيعاب (٢/ ٣٥٥)، وأسد الغابة (٣/ ١٥٨).

(٥) شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري، أبو يعلى، صحابي من الأمراء، ولاه عمر ﷺ إمارة حمص، كان فصيحاً حليماً حكيماً، توفي سنة (٧٥هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٦٠)، صفة الصفوة (١/ ٧٠٨)، الأعلام (٣/ ١٥٨).

والبياض، فإذا غابت الحمرة حلت الصلاة، وعن أبي هريرة قال: الشفق الحمرة، وهذا يرد ما حكاه ابن سيرين[1].

قال ابن كثير ~ بعد أن ذكر جملة من الأخبار في هذا المعنى: « وفي كل ذلك نظر، والظاهر أنه من سُخْف الشيعة وكذبهم، ليعظموا الأمر -ولاشك أنه عظيم- ولكن لم يقع هذا الذي اختلقوه وكذبوه، وقد وقع ما هو أعظم من قتل الحسين ﭬ ولم يقع شيء مما ذكروه، فإنه قد قتل أبوه علي بن أبي طالب، وهو أفضل منه بالإجماع ولم يقع شيء من ذلك، وعثمان بن عفان قتل محصوراً مظلوماً، ولم يكن شيء من ذلك، وعمر بن الخطاب ﭬ قتل في ا لمحراب في صلاة الصبح، وكأن المسلمين لم تطرقهم مصيبة قبل ذلك، ولم يكن شيء من ذلك، وهذا رسول الله ﷺ وهو سيد البشر في الدنيا والآخرة يوم مات لم يكن شيء مما ذكروه »[2].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٢٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٥٥).

◊ الترجيـــــح:

بعد عرض أقوال المفسرين يتبيّن لي -والعلم عند الله- أن قول القرطبي ومن معه هو الراجح، وهو أن السماء والأرض تبكيان بكاءً حقيقياً على موت المؤمن الذي كان يعمرهما بالسجود والتسبيح والعمل الصالح، وكما أنها تسبح وتتكلم كما جاء في قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء:٤٤].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١﴾ [فصلت:١١]، كذلك تبكي بكاءً لا نفقه، وقد ورد في السنة من الأخبار الصحيحة والثابتة أن الطعام كان يسبح بين يدي رسول الله ﷺ(١)، وكان بمكة حجراً يسلم على رسول الله ﷺ(٢)، والجذع الذي بكى عندما تركه رسول الله ﷺ ورقى المنبر(٣)، فكل هذه الأخبار تدل على أنه لا يمنع أن تبكي السماء والأرض على فقد

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ٢٣٥)، ح(٣٥٧٩)، كتاب: بدء الوحي، باب: علامات النبوة في الإسلام، ونصه: (عن عبدالله، قال: كنا نعد الآيات بركةً وأنتم تعدونها تخويفاً كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقلَّ الماء فقال: اطلبوا فضلةً من ماء فجاؤوا بإناء فيه ماء قليلٌ فأدخل يده في الإناء ثم قال: حيّ على الطهور المبارك والبركة من الله فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٥٩٢)، ح(٣٦٢٤)، باب: في آيات إثبات نبوة النبي ﷺ. ونصّه: (عن جابر: أن النبي ﷺ، قال: إن بمكة حَجَراً كان يُسلّم عليَّ ليالي بعثت إنِّي لأعْرِفُه الآن)، قال الألباني: صحيح. كما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٣٥١).

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ٢٣٧)، ح(٣٥٨٣)، كتاب: بدء الوحي، باب: علامات النبوة في الإسلام. ونصه: (عن ابن عمر { كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحنّ الجذع فأتاه فمسح يده عليه).

وفي رواية: (عن جابر بن عبدالله { أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة، أو نخلة فقالت امرأةٌ من الأنصار، أو رجلٌ- يا رسول الله ألا نجعل لك منبراً قال: إن شئتم فجعلوا له منبراً فلما كان يوم =

المؤمن كما دلت على ذلك الآثار، وأنها لا تبكي على هلاك الكافرين كما دلت الآية الكريمة في هذه السورة.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية النَّاصَّة على أنه: « لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه »(١) وأن: « تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ »(٢) وأنه: « يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة »(٣).

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.

= الجمعة دُفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبيّ، ثم نزل النبي ﷺ فضمّه إليه تئنّ أنين الصبيّ الذي يُسَكَّنُ، قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها).

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي (١/ ١٣٧).

(٢) المصدر السابق (١/ ٢٨٨).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٣٨٧).

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

۞ مسألة: المراد بـ ﴿ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ في الآية.

◊ ترجيح القرطبي:

رجَّح الإمام القرطبي ~ أن المراد: بـ ﴿ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ أي: عالمي زمانهم، حيث يقول: « أي: عالمي زمانهم، بدليل قوله تعالى لهذه الأمة: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:١١٠]، وهذا قولُ قتادة وغيره.

وقيل: على كل العالمين بما فيهم الأنبياء وهذا خاصة لهم وليس لغيرهم » ا.هـ [(١)].

◊ الدراسة والمناقشة:

وافق القرطبي في ترجيحه هذا قول الطبري[(٢)] والزجاج[(٣)]، والنحاس[(٤)]، والسمرقندي[(٥)]، وابن أبي زمنين[(٦)]، والثعالبي[(٧)]، والسمعاني[(٨)]، والبغوي[(٩)]،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٢٣).
(٢) ينظر: جامع البيان (١١/ ٢٤٠).
(٣) ينظر: معاني القرآن (٤/ ٤٢٧).
(٤) ينظر: معاني القرآن (٦/ ٤٠٦).
(٥) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٢٧٨).
(٦) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٣٠٦).
(٧) ينظر: الكشف والبيان (٥/ ٤٣٣).
(٨) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ١٣٨).
(٩) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٣٧).

والزمخشري[1]، وابن عطية[2]، وابن الجوزي[3]، والرازي[4]، والعز بن عبد السلام[5]، ووافقهم البيضاوي[6] والنسفي[7]، وابن جزي[8]، وأبو حيان[9]، وابن كثير[10]، وابن عادل الحنبلي[11]، وأبو السعود[12]، والجمل[13]، والشوكاني[14]، والألوسي[15]، والقاسمي[16]، والسعدي[17]، وابن عاشور[18]، والهرري[19].

---

(١) ينظر: الكشاف (٤/ ٢٧١).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٨٤).

(٣) ينظر: زاد المسير (٧/ ٣٥٩).

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب (١٤/ ٢٢٧).

(٥) ينظر: تفسير القرآن (٣/ ١٧٠).

(٦) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٨٣).

(٧) ينظر: مدارك التنزيل (٤/ ٢٠٠).

(٨) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣٢٣).

(٩) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٥٤).

(١٠) ينظر: تفسير القرآن العظيم (١٢/ ٣٦٠).

(١١) ينظر: اللباب في علم الكتاب (١٧/ ٣٥٧).

(١٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/ ٦٠).

(١٣) ينظر: الفتوحات الإلهية (٧/ ١٤٢).

والجمل هو: سليمان بن عمر بن منصور العجيلي، أبو داود المصري الأزهري، الشافعي، المشهور بالجمل، مفسر، فقيه، شارك في بعض العلوم توفي سنة (١٢٠٤هـ).

ينظر: معجم المؤلفين (٤/ ٢٧١).

(١٤) ينظر: فتح القدير (٥/ ١١).

(١٥) ينظر: روح المعاني (٢٥/ ٢٠٤).

(١٦) ينظر: محاسن التأويل (٨/ ٤٢٩).

(١٧) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٧٧٣).

(١٨) ينظر: التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٠٦).

(١٩) ينظر: حدائق الروح والريحان (٢٦/ ٤٣٤).

والهرري هو: محمد أمين بن عبد الله بن يوسف بن حسين، الأرمي، جنساً، الأثيوبي دولة، من منطقة هرر ⇦ =

◊ **الترجيـــــح:**

الذي يظهر لي -والعلم عند الله- أن ما رجحه القرطبي في المراد بـ﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ أي: على عالمي زمانهم هو القول الراجح المعتبر لما يلي:

١-لأن هذا القول ذكره ابن عباس { حبر الأمة وترجمان القرآن بقوله: « لم يكن أحد من العالمين في زمانهم أكرم على الله ولا أحب إليه منهم » [(١)].

وهذا من أقوى المرجحات وهو تفسير القرآن بقول الصحابي لاسيما إذا كان الصحابي من المشهورين بالتفسير للقاعدة الترجيحية النَّاصَّة على أن: « قول الصحابي مقدم على غيره في التفسير وإن كان ظاهر السياق لا يدل عليه » [(٢)].

٢-هذا قول ذكره قتادة بقوله: « أي على عالمي زمانهم بدليل قوله لهذه الأمة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران:١١٠] [(٣)].

٣- هذا القول ذكره مجاهد[(٤)].

٤- هذا القول عليه جماهير المفسرين المتقدمين والمتأخرين[(٥)].

= بالحبشة، الإمام العالم المفسر، كان مجتهداً في مذاكرة العلم، تميز بكثرة مؤلفاته، زاول التدريس بدار الحديث وبالمسجد الحرام.

ينظر: مقدمة كتابه.

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ١٢٥).

(٢) قواعد التفسير للسبت (١/ ١٨٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٢٣).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (١١/ ٢٤٠).

(٥) قال محقق معاني القرآن للنحاس(٦/ ٤٠٦): هذا قول الجمهور أن المراد عالمي زمانهم، بدليل قوله تعالى عن هذه الأمة المحمدية ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ...﴾ [آل عمران:١١٠].

٥- ظاهر الآية وسياقها يؤيد أنه على عالمي زمانهم فقط؛ لأن أمة محمد ﷺ خير الأمم بدليل قول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠].

قال العلامة الشنقيطي ~ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الجاثية:١٦]: « ذكر الله في هذه الآية الكريمة أنه فضل بني إسرائيل على العالمين وذكر هذا المعنى في موضع آخر من كتابه، كقوله تعالى في سورة البقرة ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

وقوله في الدخان: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾، وقوله في الأعراف: ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾.

ولكن الله جل وعلا بيّن أن أمة محمد ﷺ خير من بني إسرائيل وأكرم على الله كما صرح بذلك في قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [آل عمران:١١٠].

فخير صفة تفضيل، والآية نص صريح في أنهم خير من جميع الأمم، بني إسرائيل وغيرهم، ومما يزيد ذلك إيضاحاً حديث معاوية بن حيدة القشيري[(١)] أن النبي ﷺ قال في أمته: « أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله » وقد رواه الإمام أحمد[(٢)] والترمذي وابن ماجه[(٣)] والحاكم[(٤)] وهو حديث مشهور.

---

(١) معاوية بن حيدة بن معاوية بن قشير بن كعب القشيري، وفد على النبي ﷺ فأسلم وصحبه وروى عنه وأخرج له أصحاب السنن، مات بخراسان.
ينظر: طبقات ابن سعد (٧/ ٣٥)، والإصابة (٣/ ٤١٢)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ١٨٦).

(٢) أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، أبو عبد الله المروزي البغدادي، إمام أهل السنة والجماعة، وإمام أهل الحديث في زمانه، امتحن بخلق القرآن فثبت، صاحب المناقب والفضائل، توفي سنة (٢٤١هـ).
ينظر: الحلية (٩/ ١٦١-٢٢٣)، والوافي بالوفيات (٦/ ٢٢٥-٢٢٨) والسير (١١/ ١٧٧-٣٥٨).

(٣) محمد بن يزيد الربعي القزويني، أبو عبد الله أحد الأئمة في علم الحديث من أهل قزوين، رحل في طلب الحديث إلى البصرة وبغداد وغيرهما، وصنف كتابه سنن ابن ماجه توفي سنة (٢٧٣هـ).
ينظر: طبقات الحفاظ (١/ ٥٤)، ووفيات الأعيان (٤/ ٢٧٩)، والأعلام (٧/ ١٤٤).

(٤) محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم النيسابوري، الشهير بالحاكم، أبو عبد الله، من أكابر حفاظ الحديث =

وقال ابن كثير حسنه الترمذي، ويروى من حديث معاذ بن جبل وأبي سعيد وغيره[1].

قال مقيِّدُهُ عفا الله عنه وغفر له: ولا شك في صحة حديث معاوية بن حيدة المذكور رضي الله عنه؛ لأنه يشهد له النص المعصوم والمتواتر في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ وقوله وسطاً، أي: خياراً عدولاً، واعلم أن ما ذكرنا من كون أمة محمد ﷺ أفضل من بني إسرائيل كما دلت عليه الآية والحديث المذكوران وغيرهما من الأدلة لا يعارض الآيات المذكورات آنفاً في تفضيل بني إسرائيل؛ لأن ذلك التفضيل الوارد في بني إسرائيل ذكر فيهم حال عدم وجود أمة محمد ﷺ، والمعدوم في حال عدمه ليس بشيء حتى يفضل أو يفضل عليه، ولكنه تعالى بعد وجود أمة محمد ﷺ صرح بأنها خير الأمم وهذا واضح؛ لأن كل ما جاء في القرآن من تفضيل بني إسرائيل إنما يراد به ذكر أحوال سابقة؛ لأنهم في وقت نزول القرآن كفروا به وكذبوا، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۚ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، ومعلوم أن الله لم يذكر لهم في القرآن فضلاً إلا ما يراد به أنه كان في زمنهم السابق لا في وقت نزول القرآن، ومعلوم أن أمة محمد ﷺ لم تكن موجودة في ذلك الزمن السابق الذي هو ظرف تفضيل بني إسرائيل وأنها بعد

= والمصنفين فيه، وهو أعلم الناس بصحيح الحديث وتمييزه عن سقيمه، توفي بنيسابور سنة (٤٠٥هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٦٢)، والأعلام (٦/ ٢٢٧).

(١) الحديث أخرجه الترمذي في السنن (٥/ ٧٦)، ح(٣٠٠١)، كتاب: تفسير القرآن، باب: سورة آل عمران بلفظ «إنكم تتمون سبعين أمة»، وابن ماجه في سننه (٥/ ٣٤٩)، ح(٤٢٨٨)، كتاب: الزهد، باب: صفة أمة محمد ﷺ، وأحمد في مسنده (٥/ ٣) حديث رقم (٢٠٣٧)، والحاكم في مستدركه (٤/ ٩٤) حديث رقم (٦٩٨٨)، والطبراني في معجمه الكبير (١٩/ ٤٢٢) حديث رقم (١٦٦٩٣).

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١/ ٣٤٦): «رواه أحمد ورجاله ثقات وحسن إسناده شعيب الأرناؤوط».

وجودها صرح الله بأنها خير الأمم، كما أوضحنا والعلم عند الله تعالى[(١)].

٦- ويؤيد هذا القول جملة من القواعد الترجيحية المعتبرة عند المفسرين منها:

-قاعدة: القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك[(٢)].

-قاعدة: إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال، فهو مرجح له على ما خالفه[(٣)].

-قاعدة: تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[(٤)].

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.

(١) أضواء البيان (٧/ ٣٧٤-٣٧٦).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي (١/ ٣١٢).

(٣) المصدر السابق (١/ ٢٠٦).

(٤) المصدر السابق (١/ ٢٧١).

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْأَيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾.

في الآية مسألتان:

۞ المسألة الأولى: لمن الخطاب؟ وما المراد بـ﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾؟

◊ ترجيح القرطبي:

رجَّح القرطبي أن الخطاب في الآية متوجهاً إلى بني إسرائيل، والمراد بالآيات معجزات موسى، حيث يقول: « قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْأَيَٰتِ﴾، أي: من معجزات موسى ﴿مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾ قال قتادة: الآيات إنجاؤهم من فرعون، وفَلْقُ البحر لهم، وتظليل الغمام عليهم، وإنزالُ المنِّ والسلوى، ويكون هذا الخطاب متوجهاً إلى بني إسرائيل.

وقيل: إنها العصا واليد، ويشبه أن يكون قول الفرَّاء[1]، ويكون الخطاب متوجهاً إلى قوم فرعون. وقول ثالث: إنه الشرُّ الذي كفَّهم عنه والخير الذي أمرهم به، قاله عبد الرحمن بن زيد. ويكون الخطاب متوجهاً إلى الفريقين معاً من قوم فرعون وبني إسرائيل » أ.هـ[2].

---

(١) قول الفراء في كتابه معاني القرآن (٣/ ٤٢) بنحو قول قتادة السالف ولم يقل: إنها العصا واليد.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٢٤).

◊ **الدراسة والمناقشة:**

وافق القرطبي في ترجيحه المروي عن قتادة[١]، وقول الفراء[٢]، والنحاس[٣]، والسمرقندي[٤]، والواحدي[٥]، والسمعاني[٦]، وابن الجوزي[٧]، والرازي[٨].

ووافقهم البيضاوي[٩]، والنسفي[١٠]، وأبو حيان[١١]، وابن كثير[١٢]، والسيوطي[١٣]، والشوكاني[١٤]، والألوسي[١٥]، والقاسمي[١٦]، والسعدي[١٧]، وابن عاشور[١٨].

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٢٤٠)، وذكره الماوردي (٥/ ٢٥٤).

(٢) ينظر: معاني القرآن (٣/ ٤٢).

(٣) ينظر: معاني القرآن (٦/ ٤٠٧).

(٤) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٢٧١).

(٥) ينظر: الوسيط (٤/ ٩٠).

(٦) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ١٢٨).

(٧) ينظر: زاد المسير (٧/ ١٥٥).

(٨) ينظر: التفسير الكبير (٩/ ٢٢٤).

(٩) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٨٣).

(١٠) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٩٢).

(١١) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٤٠٥).

(١٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٥٦).

(١٣) ينظر: الدر المنثور (٧/ ٣٥٩).

(١٤) ينظر: فتح القدير (٤/ ٧٥١).

(١٥) ينظر: روح المعاني (٥/ ١٦٩).

(١٦) ينظر: محاسن التأويل (٨/ ٣٥٦٢).

(١٧) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨٣٥).

(١٨) ينظر: التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٠٦).

وذهب الإمام الطبري[1] إلى أن الآيات هي آيات ابتلاء واختبار وقد يكون الابتلاء والاختبار بالرخاء، وقد يكون بالشدة.

وقدَّم هذا القول الماوردي[2]، واختاره ابن عطية[3].

◊ **الترجيـــح:**

الذي يظهر لي -والعلم عند الله- أن الراجح قول من قال أن لفظ الآيات العموم، ويكون الخطاب متوجهاً للفريقين، وأن قول القرطبي ومن وافقه مرجوحاً.

قال الطبري: «... وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه آتى بني إسرائيل من الآيات ما فيه ابتلاؤهم واختبارهم، وقد يكون الابتلاء والاختبار بالرخاء، ويكون بالشدة، ولم يضع لنا دليلاً من خبر ولا عقل، أنه عنى بعض ذلك دون بعض، وقد كان الله اختبرهم بالمعنيين كليهما جميعاً، وجائز أن يكون عنى اختباره إياهم بهما، فإذا كان الأمر على ما وصفنا، فالصواب من القول فيه أن نقول كما قال جل ثناؤه إنه اختبرهم »[4].

وقال ابن عطية: «وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْأَيَٰتِ﴾ لفظ جامع لمعجزات موسى وللعبر التي ظهرت في قوم فرعون من الجراد والقمل والضفادع وغير ذلك، ولِمَا أنعم به على بني إسرائيل من تظليل الغمام، والمنّ والسلوى، وغير ذلك، فإن لفظ ﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾ يعمُّ جميع هذا، والبلاء في هذا الموضع: الامتحان والاختبار، وهذا كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥] و﴿مُّبِينٌ﴾ بمعنى بيِّن»[5].

---

(١) ينظر: جامع البيان (١١/ ٢٤٠).

(٢) ينظر: النكت والعيون (٥/ ٢٥٤).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٧٤).

(٤) جامع البيان (١١/ ٢٤٠).

(٥) المحرر الوجيز (٥/ ٧٤).

وهذا القول تؤيده القاعدة الترجيحية النَّاصَّة على أنه: « يجب حمل نصوص الوحي على العموم مالم يرد نص بالتخصيص »[1].

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.

---

(١) قواعد الترجيح للحربي (٢/ ٥٢٧).

۞ **المسألة الثانية: المراد بالبلاء في الآية.**

◊ **ترجيح القرطبي:**

رجح القرطبي أن البلاء ههنا النعمة، حيث قدم هذا القول على غيره من الأقوال واستشهد له، فقال: « وفي قوله: ﴿بَلَٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ﴾ أربعة أوجه:

أحدها: نعمة ظاهرة، قاله الحسن وقتادة، كما قال الله تعالى: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ﴾ [الأنفال:١٧]، وقال زهير:

فأبلاهما خير البلاء الذي يَبْلُو[١].

الثاني: عذاب شديد، قاله الفرَّاء[٢].

الثالث: اختبار يتميَّز به المؤمن من الكافر. قاله عبد الرحمن بن زيد، وعنه أيضاً: ابتلاؤهم بالرخاء والشدة، ثم قرأ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ﴾ [الأنبياء:٣٥] » ا.هـ[٣].

---

(١) عجز بيت له وصدره: رأى الله بالإحسان ما فعلا بكم، وهو في ديوانه ص(١٠٩).

وزهيرهو: ابن أبي سلمة ربيعة بن رباح المزني، حكيم الشعراء في الجاهلية، كانت قصائده، تسمى الحوليات، توفي سنة (١٣ قبل الهجرة).

ينظر: الأعلام (٣/ ٥٢)، ومعجم المؤلفين (٤/ ١٨٦).

(٢) ينظر: معاني القرآن (٣/ ٤٢) ذكر القولين، وصوبهما.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٢٤، ١٢٥).

◊ **الدراسة والمناقشة:**

اختلف أهل العلم في المراد بالبلاء هنا على أقوال:

القول الأول:

أنه سبحانه ابتلاهم بالنعمة، والمراد بهذه النعمة ما قاله قتادة: أنجاهم الله من عدوهم، ثم أقطعهم البحر، وظلل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المن والسلوى[(١)]، وبنحوه روي عن الحسن[(٢)].

وهو اختيار القرطبي، ووافقه جماعة من المفسرين[(٣)].

القول الثاني:

أن الابتلاء هنا: العذاب، أي: لحقهم العذاب لما كفروا بآيات الله تعالى.

وتفرَّد بهذا القول الفرَّاء، حيث لم أقف على هذا القول في تخصيص البلاء بالعذاب إلا عنده[(٤)].

القول الثالث:

أن المراد بالابتلاء هنا: العموم، أي: أنه سبحانه ابتلاهم بالرخاء والشدة، والنعمة والعذاب.

روي عن ابن زيد أنه فسر الآية بقوله: بلاء مبين لمن آمن بها وكفر بها، بلوى

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٤٠) وعزاه السيوطي في الدر (٧/ ٣٥٩) إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٢) ذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ٢٥٤).

(٣) منهم: ابن قتيبة في غريبه ص(٤٠٣)، والنحاس في إعرابه ص(٨٢٥)، والسمرقندي (٣/ ٢٧١)، وابن أبي زمنين (٢/ ٣٠١)، والواحدي (٤/ ٩٠)، وابن الجزري (٧/ ٣٤٧)، والفخر (٩/ ٢٢٤)، وأبو حيان (٩/ ٤٠٥)، والمحلي في الجلالين ص(٦٥٨)، وأبو السعود (٦/ ٥٢)، والسعدي ص(٨٣٥).

(٤) في معانيه (٣/ ٤٢).

نبتليهم بها، نمحصهم، بلوى اختبار نختبرهم بالخير والشر، نختبرهم لننظر فيما أتاهم من الآيات من يؤمن بها، وينتفع بها ويضيعها[1].

وبالعموم فسَّر بعض المفسرين الآية[2].

◊ الترجيـــــح:

يظهر لي - والله أعلم- أن الأولى تفسير البلاء بالعموم، أي: الخير والشر، والنعمة والعذاب، وذلك أن البلاء عند العرب يكون في الخير والشر، فقد يكون البلاء منحة، وقد يكون محنة، يقال: ابتليته بلاء حسناً.

وبلاءً سيئاً، والبلاء هو الاختبار، ويكون بالخير والشر أيضاً[3].

وقد دل القرآن الكريم أيضاً على أن البلاء يطلق على الخير والشر، فقال تعالى في وصف البلاء بالشر: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[البقرة:١٥٥] ، وفي الخير قال ﷻ: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ﴾[الأنفال:١٧] ، وذكرهما الله معاً في كتابه، فقال ﷻ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾[الأنبياء:١٥] .

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٢٤٠)، وذكره معلقاً الثعلبي في تفسيره (٥/ ٤٣٣)، وكذا البغوي (٤/ ١٣٧) بلفظ: « ابتلاهم بالرخاء والشدة ».

(٢) ومنهم: الفراء (٣/ ٤٢) حيث صوب القولين، والطبري (١١/ ٢٤٠)، وابن عطية (٥/ ٧٤)، والسمعاني (٥/ ١٢٨)، والبيضاوي (٢/ ٣٨٣)، والنسفي (٣/ ٢٩٢)، وابن كثير (٧/ ٢٥٦)، والشيخ الصابوني في تحقيقه للمعاني(٦/ ٤٠٧).

(٣) ينظر: مفردات الراغب ص(٧١)، ولسان العرب (١٤/ ٨٤)، والمختار ص(٧١)، والقاموس ص(١٦٣٢)، وتاج العروس (٣٧/ ٢٠٨).

قال ابن قتيبة كما نقل ذلك عنه ابن منظور في اللسان: « والمعروف أن الابتلاء يكون في الخير والشر معاً، من غير فرق بين فعليهما ».

ثم إن الله جل وعلا أخبر أنه أتى بني إسرائيل من الآيات ما فيه ابتلاؤهم واختبارهم، ولم يخصص لنا الخير أو الشر، بل إنه سبحانه وتعالى اختبرهم بالمعنيين كليهما[(١)]، فيجوز إذاً أن يكون عنى اختباره إياهم بهما جميعاً[(٢)].

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.

(١) والآيات في هذه السورة الكريمة توضح ابتلاء الله جل وعلا لبني إسرائيل بالعذاب والشر والشدة، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [الدخان: ١٧] ولا شك أن الفتنة عذاب وشر، ثم قال تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾﴾، وترك هذه النعم لاشك عذاب وشر.

ومن الشر والعذاب أيضاً ما ذكره السمعاني في تفسيره (٥/ ١٢٨)، قال: « وفي القصة: أن فرعون كان يستعمل الأقوياء من بني إسرائيل في العمل، حتى دبرت صدورهم وظهورهم من نقل الحجارة، ويذبح الأبناء، ويستحي النساء، ويستعملهن في الغزل والنسيج، وما أشبه ذلك، وكان قد ضرب على ضعفاء بني إسرائيل على كل واحد منهم ضريبة، فيؤديها كل يوم، وكان القبطي يأتي إلى الإسرائيلي فيسخره فيما شاء من العمل، فإذا كان الظهر خلاه، وقال: اذهب واكتسب ما تأكله، ولا يعطيه شيئاً يأكله، فنجاهم الله تعالى من هذه البلايا » انتهى.

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١١/ ٢٤٠).

قوله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٧)﴾.

۞ مسألة: المراد بـ« تبع » في قوله: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾.

◊ ترجيح القرطبي:

رجَّح الإمام القرطبي ~ أن المراد بتبع أنه شخص معروف، حيث يقول: «وليس المراد بتبع رجلاً واحداً، بل المراد به ملوك اليمن، فكانوا يسمُّون ملوكهم التبابعة فتُبَّع لقبٌ للملك منهم، كالخليفة للمسلمين، وكسرى للفرس، وقيصر للروم».

وقال أبو عبيدة: سُمِّيَ كلُّ واحد منهم تُبَّعاً؛ لأنه يَتْبَع صاحبه.

قال الجوهري: والتبابعة ملوك اليمن، واحدهم تُبَّع، فمن التبابعة: الحارث الرائش، وهو ابن همال ذي شدد، وأبرهة ذو المنار، وعمرو ذو الأذعار، وشمر بن مالك، الذي تنسب إليه سمرقند، وأفريقيس بن قيس، الذي ساق البربر إلى أفريقيَّةَ من أرض كنعان، وبه سُميت إفريقية.

والظاهر من الآيات: أن الله ﷻ إنما أراد واحداً من هؤلاء، وكانت العرب تعرفه بهذا الاسم أشد من معرفة غيره، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: « ولا أدري أتُبَّعٌ لعينٌ أم لا ».

ثم قد رُوي عنه أنه قال: « لا تَسُبُّوا تبعاً فإنه كان مؤمناً » فهذا يدلُّك على أنه كان واحداً بعينه، وهو -والله أعلم- أبو كَرِب[1] الذي كسا البيت بعد ما أراد غزوه، وبعد ما غزا المدينة وأراد خرابها، ثم انصرف عنها لما أُخْبِرَ أنها مُهَاجر نبيٍّ اسمه أحمد » أ.هـ [2].

---

(١) تبع الحميري، واسمه: أسعد تبان أبو كرب بن ملكي كرب بن قيس بن زيد بن عمرو، يقال هو أول من كسا البيت.

ينظر: إكمال الكمال (١/ ٣٦٧)، تاريخ دمشق (١١/ ٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٢٦-١٢٧).

◊ الدراسة والمناقشة :

وما ذهب إليه القرطبي هو المروي عن ابن عباس { وعائشة < وكعب الأحبار، وسعيد بن جبير، ومجاهد، ووهب بن منبه[1]، وعطاء بن أبي رباح[2].

واستدل لهذا القول، عبد الرزاق الصنعاني، والطبري، والنحاس، والماوردي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والعز بن عبد السلام، وأبو حيان، وابن كثير، والثعالبي، والسيوطي، وأبو السعود، والألوسي، والقاسمي، والطاهر بن عاشور[3].

---

(١) وهب بن منبه الأبناوي الصنعاني، أبو عبد الله، مؤرخ كثير الإخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين، ولا سيما الإسرائيليات، توفي سنة (١١٤هـ).

ينظر: طبقات ابن سعد (٥/ ٥٤٣)، وتاريخ البخاري (٨/ ١٦٤)، وطبقات فقهاء اليمن ص(٥٧).

(٢) ينظر: تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٠٩)، وجامع البيان (١١/ ٢٤١)، والمحرر الوجيز (٥/ ٧٥)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٢٥٦-٢٥٩).

(٣) ومما استدلوا به حديث: « لا تسبوا تبعاً فإنه كان رجلاً صالحاً »، وقد ورد هذا الحديث بروايات عدة، فقد ذكره الإمام أحمد في مسنده (٦/ ٤٦٦، ح٢٢٥٠٠) ثنا ابن لهيعة وأبو زرعة عمرو بن جابر عن سهل بن سعد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لا تسبوا تبعاً فإنه قد كان أسلم ».

قال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف ابن لهيعة وأبي زرعة عمرو بن جابر، وأبو زرعة أشد ضعفاً.

وقال الطبراني في الكبير والأوسط (ح٢٤٢٣) وفيه: عمرو بن جابر، هو كذاب. وينظر: مجمع الزوائد (٨/ ١٤٥، ح١٣٠٢٩).

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تسبوا تبعاً فإنه قد أسلم ».

ينظر: مجمع الزوائد (٨/ ١٤٥، ح١٣٠٣٠).

والحديث بهذا اللفظ في مسند الإمام أبي حنيفة (١/ ٢٥٠).

قال الإمام الألباني ~ في السلسلة الصحيحة (٥/ ٥٤٨) حديث « لا تسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم » (صحيح بشواهده) ومنها حديث عائشة < : « كان تبع رجلاً صالحاً ألا ترى أن الله ﷻ ذمَّ قومه ولم يذمَّه » (صحيح).

⇦ =

وهـو قـول الـسمرقندي، والواحـدي، والـسمعاني، والراغـب الأصـفهاني، والبيضاوي، وابن جزي، ومحي الدين زاده، وظاهر عبارة المراغي، وقدَّمه النسفي، والشوكاني[(١)].

◊ الترجيـــــح:

إذا تقرر هذا، فإن القول الذي رجحه القرطبي ومن معه من جمهور المفسرين هو الراجح، لموافقته لقواعد الترجيح النَّاصَّة على أنه: « إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره » ومن أن: « تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ »[(٢)].

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.



= ينظر: تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٠٩)، وجامع البيان (١١/ ٢٤١)، ومعاني القرآن (٦/ ٤٠٩)، والنكت والعيون (٥/ ٢٥٥-٢٥٦)، ومعالم التنزيل (٤/ ١٣٧-١٣٨)، والكشاف (٤/ ٢٧٢)، والمحرر الوجيز (٥/ ٧٥)، وزاد المسير (٧/ ١٥٦)، وتفسير العز (٣/ ١٧١)، والبحر المحيط (٩/ ٤٠٦)، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٥٦-٢٥٩)، والجواهر الحسان (٣/ ١٦١-١٦٢)، والدر المنثور (٧/ ٣٥٩-٣٦٠)، وإرشاد العقل السليم (٦/ ٥٢)، وروح المعاني (٢٥/ ١٧٠-١٧٤)، ومحاسن التأويل (٨/ ٣٥٦٣)، والتحرير والتنوير (٢٥/ ٣٠٩).

(١) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٢٧٢)، وتفسير الواحدي (٤/ ٩١)، وتفسير السمعاني (٥/ ١٢٩)، والمفردات ص(٧٢)، وأنوار التنزيل (٢/ ٣٨٣)، والتسهيل (٤/ ٦٤)، وحاشية زاده (٧/ ٥١١)، وتفسير المراغي ص(١٣٠)، ومدارك التنزيل (٣/ ٢٩٢-٢٩٣)، وفتح القدير (٤/ ٧٥٢).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح للحربي (١/ ٢٠٦-٢٨٨).

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾.

۞ مسألة: المراد بـ ﴿مَوْلًى﴾ في الآية.

◊ ترجيح القرطبي:

رجَّح الإمام القرطبي ~ أن المراد جميع الموالي، من ابن العم والناصر والقريب والصديق، فاللفظة عامة تعمُّ جميع الموالي، حيث يقول: « والمولى: الوليُّ، وهو ابن العمِّ والناصر، أي: لا يدفع ابن عم عن ابن عمِّه، ولا قريب عن قريبه، ولا صديق عن صديقه. ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: لا ينصر المؤمن الكافر لقرابته، ونظير هذه الآية: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ » ا.هـ [(١)].

◊ الدراسة والمناقشة:

وافق القرطبي في ترجيحه هذا المنقول عن ابن عباس { وقتادة، مقاتل[(٢)].

وهو قول الطبري[(٣)]، والسمرقندي[(٤)]، والسمعاني[(٥)]، والراغب الأصفهاني[(٦)]، والزمخشري[(٧)]، وابن عطية[(٨)]، والبيضاوي[(٩)]، والنسفي[(١٠)]، وابن جُزي[(١١)]،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٣١).

(٢) ينظر: جامع البيان (١١/ ٢٤٢)، وزاد المسير (٧/ ١٥٦)، وتنوير المقباس (١/ ٤١٨).

(٣) ينظر: جامع البيان (١١/ ٢٤٢).

(٤) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٢٧٢).

(٥) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ١٣٠).

(٦) ينظر: المفردات ص(٥٤٩).

(٧) ينظر: الكشاف (٤/ ٢٧٣).

(٨) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٧٥).

(٩) ينظر: أنوار التنزيل (٢/ ٣٨٤).

(١٠) ينظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٩٣).

(١١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٦٥).

وابن كثير[١]، وجلال الدين المحلي[٢]، وأبو السعود[٣]، والمراغي[٤]، والسعدي[٥].

ورجحه أبو حيان[٦]، والشوكاني[٧]، والألوسي[٨].

وهو ظاهر عبارة الواحدي[٩]، والبغوي[١٠].

قال ابن عطية: « المولى في هذه الآية يعم جميع الموالي من القرابات، وموالي العتق وموالي الصداقة »[١١].

وقال أبو حيان: «يعم جميع الموالي من القرابة والعتاقة والصلة شيئاً من إغناء، أي قليلاً منه، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: جمع؛ لأن ﴿عَن مَّوْلًى﴾ في سياق النفي فيعم»[١٢].

وقال الشوكاني: « لأنه نكرة في سياق النفي وهي من صيغ العموم »[١٣].

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٥٩).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين (١/ ٦٥٩).

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/ ٥٣).

(٤) ينظر: تفسير المراغي (٢٥/ ١٣٣).

(٥) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨٣٦).

(٦) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٤٠٧).

(٧) ينظر: فتح القدير (٤/ ٧٥٤).

(٨) ينظر: روح لمعاني (٢٥/ ١٧٦).

(٩) ينظر: تفسير الواحدي (٤/ ٩١).

(١٠) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٣٨).

(١١) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٧٥).

(١٢) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٤٠٧).

(١٣) ينظر: فتح القدير (٤/ ٧٥٤).

❖ **الترجيـــح:**

يتبين لي – والعلم عند الله– أن قول القرطبي والجمهور معه هو الراجح لما تقرر ولأن ﴿مَوۡلًى﴾ نكرة في سياق النفي فتعم[1].

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.

(١) ينظر: قواعد التفسير للسبت (٢/ ٥٦٠).

قوله تعالى: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩﴾.

۞ مسألة: في مَنْ نزلت هذه الآية؟ وكيف يقال لهذا الأثيم الشقي، وهو يُهان في العذاب الذي ذكره الله ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩﴾**؟!**

◈ ترجيح القرطبي:

رجَّح الإمام القرطبي ~ أن الآية نزلت في أبي جهل وكان قد قال: مافيها أعزُّ منِّي ولا أكرم، فلذلك قيل له: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩﴾ أي: أنت العزيز الكريم عند نفسك، وعند قومك وبزعمك أنك عزيز ستمتنع من عذاب الله، حيث يقول: « قال قتادة: نزلت في أبي جهل، وكان قد قال: ما فيها أعز مني ولا أكرم، فلذلك قيل له: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩﴾ .

وقال عكرمة: التقى النبي ﷺ وأبو جهل، فقال النبيُّ ﷺ: (إن الله أمرني أن أقول لك: ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ﴾ فقال: بأيِّ شيء تهدِّدني! والله ما تستطيع أنت ولا ربُّك أن تفعلا بي شيئاً، إني لمن أعزِّ هذا الوادي وأكرمه على قومه، فقتله الله يوم بدر وأذلَّه، ونزلت هذه الآية.

أي يقول له الملك: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ بزعمك، وقيل: هو على معنى الاستخفاف، والتوبيخ، والاستهزاء، والإهانة، والتنقيص، أي قال له: إنك أنت الذليل والمهان » ا.هـ [1].

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٣٥، ١٣٦).

◊ الدراسة والمناقشة:

وافق القرطبي في ترجيحه المروي عن قتادة[1]، وقول الطبري[2]، والزجاج[3]، والنحاس[4]، والسمرقندي[5]، وابن أبي زمنين[6]، والواحدي[7]، والسمعاني[8]، والبغوي[9]، وابن عطية[10].

ووافقهم ابن جزي[11]، وأبو حيان[12]، وابن كثير[13]، والشوكاني[14]، والألوسي[15]، والسعدي[16].

وذهب الإمام السيوطي إلى أن المعنى من قوله تعالى: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٢٤٦).

(٢) ينظر: جامع البيان (١١/ ٢٤٦، ٢٤٧).

(٣) ينظر: معاني القرآن (٤/ ٤٢٨).

(٤) ينظر: معاني القرآن (٦/ ٤١٤).

(٥) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٢٧٣).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٣٠٢).

(٧) ينظر: الوسيط (٤/ ٩٢).

(٨) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ١٣١).

(٩) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٣٩).

(١٠) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٧٧).

(١١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٦٥).

(١٢) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٤٠٨).

(١٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٦٠).

(١٤) ينظر: فتح القدير (٤/ ٧٥٥).

(١٥) ينظر: روح المعاني (٢٥/ ١٧٩).

(١٦) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨٣٦).

ﵟٱلۡكَرِيمُ ٤٩ﵞ أي: كنت تعزز في الدنيا وتكرم بغير كرم الله ﷻ[1].

وقيل المعنى أي: لست بعزيز ولا كريم، قاله: ابن عباس[2] ﵁، والضحاك[3]، وقتادة[4] أيضاً، واختاره الفرّاء[5]، وابن أبي حاتم[6].

وقيل المعنى أي: إنك أنت الذليل المهان، وإنما قيل له: إنك أنت العزيز الكريم، على معنى الاستخفاف، والتوبيخ، والإهانة، والتنقيص، وهو قول سعيد بن جبير[7]، ومقاتل[8]، واختاره الشنقيطي، حيث يقول ~ : « وما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من أن الكافر يقال له يوم القيامة: ﵟذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٠ﵞ، لا يخفى أنه توبيخ، وتقريع، وإهانة له، وأمثال ذلك القول في القرآن كثيرة، كقوله تعالى: ﵟخُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ٤٧ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ٤٨ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩ﵞ »[9].

وذهب إلى هذا المعنى الطاهر ابن عاشور[10].

---

(١) ينظر: الدر المنثور (٧/ ٣٦٤).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٢٩٠).

(٣) أخرجه ابن كثير في تفسيره (٧/ ٢٦٠).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم (١٠/ ٣٢٩٠).

(٥) ينظر: معاني القرآن (٣/ ٤٤).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم (١٠/ ٣٢٩٠).

(٧) ينظر: النكت والعيون للماوردي (٥/ ٢٥٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (٧/ ١٥٧).

(٨) ينظر: تفسيره (٣/ ٢٠٨).

(٩) أضواء البيان (٥/ ٤٧).

(١٠) ينظر: التحرير والتنوير (٢٥/ ٣١٦).

◊ **الترجيـــح:**

لعل القول الراجح - والعلم عند الله- هو قول من قال: أي أنت العزيز الكريم عند نفسك، وعند قومك، وبزعمك أنك عزيز ستمتنع من عذاب الله، وهو الموافق لرأي القرطبي ~ .

ومما يرجِّح هذا القول -ما ذكره جمهور المفسرين أن سبب نزول هذه الآية أن أبا جهل لما نزلت: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ قال: أيتهددني محمد، وما بين جبليها أعز مني ولا أكرم، فنزلت هذه الآيات وفي آخرها: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [1]، على اختلاف الروايات في ذلك، إلا أن جميعها ذكرت أنها نزلت في أبي جهل وأنه وصف نفسه بالعزيز الكريم.

ولا يعني هذا بُعد الأقوال الأخرى فهي داخلة في معنى القول الأول، فهو يقال له: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ عند نفسك وعند قومك وبزعمك وبما كنت تُعزز في الدنيا وتُكرم بغير كرم الله، ولست بعزيز ولا كريم، بل أنت اليوم الذليل المهان، وهذا كله يقال له من باب الاستخفاف، والتوبيخ، والإهانة والتنقيص.

قال الطبري: فإن قال قائل: وكيف قيل وهو يُهان بالعذاب الذي ذكره الله، ويُذل بالعتل إلى سواء الحميم: إنك أنت العزيز الكريم؟ قيل: إنه قوله ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ غير وصف من قائل ذلك له بالعزة والكرم، ولكنه تقريع منه له بما كان يصف به نفسه في الدنيا، وتوبيخ له بذلك على وجه الحكاية؛ لأنه كان في الدنيا يقول: إنك أنت العزيز الكريم، فقيل له في الآخرة إذ عذّب به في النار: ذق هذا الهوان اليوم، فإنك كنت تزعم أنك العزيز الكريم، وإنك أنت الذليل المهين فأين الذي كنت تقول وتدعي من العز والكرم، هلاَّ تمتنع من العذاب بعزتك » [2].

---

(١) ينظر: تفسير عبد الرزاق الصنعاني (٣/ ١٨٧)، وأسباب النزول للواحدي ص(٣٧٧).

(٢) جامع البيان (١١/ ٢٤٧).

وقال الإمام ابن حزم ~ : «... فصح أن ذلكم توبيخ لهم على فساد استدلالهم في عبادتهم للنجوم، وأن هذا إنما هو كما قال: ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾ أي: عند نفسك في الدنيا وعند قومك المغرورين، وإلا فهو في تلك الحال الذليل المهان »[1].

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.

---

(١) الإحكام (٢/ ١٧٦).

قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾.

۞ مسألة: المراد بالاستثناء في قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾.

◊ ترجيح القرطبي:

رجَّح الإمام القرطبي ~ أن الاستثناء هنا منقطع و(إلا) بمعنى لكن والتقدير: لا يذوقون الموت لكن الموتة الأولى قد ذاقوها في الدنيا، حيث يقول: « أي: لا يذوقون فيها الموت البتة؛ لأنهم خالدون فيها، ثم قال: ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ على الاستثناء المنقطع، أي: لكن الموتة الأولى قد ذاقوها في الدنيا وأنشد سيبويه:

مَن كان أسرع في تَفَرُّق فالج فَلبونُه جَرِبت معاً وأغدَّتِ

ثم استثنى بما ليس من الأول فقال:

إلا كنا شِرَة الذي ضيَّعتُمُ كالغصنِ في غُلوائه المتنبِّت » ا.هـ [1]

◊ الدراسة والمناقشة:

اختلف أهل التفسير في المراد بالاستثناء في قول الله ﷻ:

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ وسبب هذا الاختلاف أنه كيف استثنيت الموتة الأولى في الدنيا والمذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها ففسروا المراد بالاستثناء هنا على عدة أقوال وهي:

القول الأول:

أن المراد بـ (إلا) هنا بمعنى لكن، والتقدير: لا يذوقون الموت لكن الموتة الأولى

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٤٠). وينظر: الأبيات في الأغاني (١٥/ ٢٢٣)، وخزانة الأدب (٦/ ٣٣٣)، والأبيات فيها لـ كابية بن حرقوص بن مازن.

قد ذاقوها في الدنيا، والاستثناء هنا منقطع، وقد اختار هذا القول جماعة من المفسرين[1] وهو ما رجَّحه القرطبي.

القول الثاني:

أن (إلاَّ) هنا بمعنى بعد، والمعنى على ذلك: لا يذوقون هؤلاء المتقون في الجنة الموت بعد الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا.

اختار هذا القول الإمام الطبري[2]، وذكره تضعيفاً القرطبي[3]، وحكاه بعض المفسرين[4].

القول الثالث:

أن المراد بـ (إلاَّ) هنا بمعنى سوى، وتقدير الكلام: لا يذوقون في الجنة الموت سوى الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا، وقد ذكر ذلك جماعة من المفسرين[5]، وذكره تضعيفاً القرطبي[6].

---

(١) ينظر: معاني القرآن للنحاس (٦/ ٤١٧)، والإحكام لابن حزم (٢/ ٤٢٩-٤٣٤)، ومفاتيح الغيب للرازي (٩/ ٢٢٩)، ومدارك التنزيل النسفي (٣/ ٢٩٦)، ولباب التأويل للخازن (٤/ ١٢١)، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٤/ ٦٦) والبحر المحيط لأبي حيان (٩/ ٤٠٩)، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ٧٥٦)، وروح المعاني للألوسي (٢٥/ ١٨٢، ١٨٣)، وتفسير المراغي (٢٥/ ١٣٨).

(٢) ينظر: جامع البيان (١١/ ٢٤٩، ٢٥٠).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٤١).

(٤) ينظر: معالم التنزيل للبغوي (٤/ ١٤٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (٧/ ١٥٩)، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٧٥٦).

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ٤٤)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤٢٨)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤/ ١٤٠)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٧٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (٧/ ١٥٨)، ومدارك التنزيل للنسفي (٣/ ٢٩٦)، ولباب التأويل للخازن (٤/ ١٢١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٩/ ٤٠٩)، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ٧٥٦)، وروح المعاني للألوسي (٢٥/ ١٨٢، ١٨٣).

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٤١).

القول الرابع:

أن الاستثناء هنا متصل، وذلك أن السعداء حين يموتون يصيرون إلى الروح، والريحان وأسباب الجنة يرون منازلهم منها، وإذا ماتوا في الدنيا فكأنهم ماتوا في الجنة لاتصالهم بأسبابهم، ومشاهدتهم إياها، وهذا قول ابن قتيبة [1] ~ وحكاه بعض المفسرين [2].

القول الخامس:

أن الاستثناء هنا من تأكيد الشيء بما يشبه ضده لزيادة تحقيق انتفاء ذوق الموت عن أهل الجنة، أي: لا يذوقون فيها الموت ألبتة فوضع قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ موضع ذلك؛ لأن الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل، فهو من باب التعليق بالمحال، كأنه قيل إن كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها في المستقبل فإنهم يذوقونها وقد اختار هذا القول طائفة من المفسرين [3].

القول السادس:

أن من جرّب شيئاً ووقف عليه صح أن يقال أنه ذاقه، وإذا صح أن يسمى ذلك العلم بالذوق صح أن يُسمى تذكره أيضاً بالذوق، فقوله الله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾، يعني: إلا الذوق الحاصل بسبب تذكر الموتة الأولى،

---

(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن ص(١١٩).

(٢) ينظر: معالم التنزيل البغوي (٤/ ١٤٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (٧/ ١٥٩)، وأنوار التنزيل للبيضاوي (٢/ ٣٨٥)، ولباب التأويل للخازن (٤/ ١٢١)، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ٧٥٦)، وروح المعاني للألوسي (٢٥/ ١٨٢).

(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٧٥)، ومفاتيح الغيب للرازي (٩/ ٢٢٩)، وأنوار التنزيل للبيضاوي (٢/ ٣٨٥)، والبحر المحيط لأبي حيان (٩/ ٤٠٩)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٦/ ٥٤)، وروح المعاني للألوسي (٢٥/ ١٨٢)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٥/ ٣١٩).

لكن لا يتألمون بها لما تلذذوا بالنجاة، قاله الرازي[١]، والمهائمي[٢].

❖ **الترجيـــح:**

بعد عرض الأقوال يتبين لي أن القول الراجح -والله أعلم- القول الأول وهو أن الاستثناء منقطع، والمعنى: أنهم لا يذوقون الموت لكن الموتة الأولى قد ذاقوها في الدنيا، وهو ما رجَّحه الإمام القرطبي ~ وجماعة من المفسرين.

ووجه هذا الترجيح ما ذكره العلامة ابن القيم ~ قال: « فهذا الاستثناء هو لتحقيق دوام الحياة وعدم ذوق الموت، وهو يجعل النفي الأول العام بمنزلة النص الذي لا يتطرق إليه استثناء ألبتة إذ لو تطرق إليه استثناء فرد من أفراد لكان أولى بذكره من العدول عنه إلى الاستثناء المنقطع، فجرى هذا الاستثناء مجرى التأكيد والتنصيص على حفظ العموم، وهو جار في كل منقطع »[٣].

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمتاب.

وبانتهاء هذه المسألة من هذه السورة المباركة انتهت الجزئية المقررة في هذه الرسالة.

*** والحمد لله الذي تَتَّم بنعمته الصالحات ***



(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٩/ ٢٢٩).

(٢) ينظر: تبصير الرحمن (٢/ ٢٦٤).

والمهائمي هو: علي بن أحمد بن علي المهائمي الهندي، أبو الحسن، باحث، مفسر، مولده ووفاته في مهائم من الركن بالهند، له عدة مصنفات، توفي سنة (٨٣٥هـ).

ينظر: الأعلام (٤/ ٢٥٧).

(٣) بدائع التفسير (٢/ ٤٤٥).

الخاتمـــة

الخاتمـــــة

وبعد.. فأحمد الله تعالى الذي تتم بنعمته الصالحات، وها أنذا في نهاية المشوار الممتع مع العلم الجهبذ الإمام القرطبي ~ ، أصل إلى ختام هذا البحث، الذي ما كان ليتم لولا توفيق الله وتسديده ومعونته، فهو المستحق للحمد والشكر والثناء في الأولى والآخرة، ولا حول لي ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فالحمد لله الذي يسَّر لي إنهاء هذه الرسالة بعد أن أعطيتها أنفس الأوقات، وأكثر الساعات ليلاً ونهاراً، حتى استوت على سوقها، وآتت أكلها بإذن ربها.

وأسأل الله أن يجعل خيرأعمالنا خواتمها، وخيرأعمارنا أواخرها، وخير أيامنا يوم نلقاه.

وقبل انتهاء التسطير، والتوقف عن التحبير، لابد لي من ذكر خلاصة هذا البحث، وبيان أبرز نتائجه، فأقول مستمداً العون من الله والتوفيق:

١- ظهر لي من خلال هذا البحث قوة شخصية الإمام القرطبي التفسيرية، وأنه ليس بحاطب ليل يجمع الآراء دون تفسير أو تعقيب، بل يفنِّد ويعقِّب، ويناقش ويرد، ويرجِّح، وهذا إن دلَّ على شيء، فإنَّما يدلُّ على القيمة العلمية لتفسير الإمام القرطبي.

٢- الإمام القرطبي بمنهجه وطريقته في الترجيح يُعد من أبرز علماء الأمة الذين عنوا بتفسير كتاب الله تعالى.

٣- جمع الإمام القرطبي بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، فهو ينقل أقوال الصحابة والتابعين والعلماء السابقين، ويستدل باللغة والإعراب والشواهد الشعرية.

٤- إهتمام الإمام القرطبي بالقراءات وبيان المتواتر منها والشاذ والترجيح بها.

٥- لم يكن القرطبي مقلداً في ترجيحاته العلمية، سواءً كانت تفسيرية أو فقهية أو لغوية، بل كان مجتهداً يعتمد الدليل والنظر في أكثر ترجيحاته.

٦- تأثر الإمام القرطبي بمن سبقه من المفسرين، وقد نقل عنهم كثيراً، وقد يصرِّح بذكر مَنْ نقل عنهم، ومصادره التي نقل منها، وأحياناً لا يذكر ذلك.

٧- إذا صح الحديث عند القرطبي فإنه لا يتعداه إلى غيره، بل يرجِّح القول به.

٨- وُفِّق القرطبي في عدد كبير من ترجيحاته التفسيرية للصواب، بينما خالفه الصواب في بعضها، وهذا يصدق على غيره من المفسرين، مع أنه لم يخرج عن القواعد الصحيحة في الترجيح.

٩- الدراسة المبنية على الجمع والمقارنة والموازنة، وسبر الأقوال، ومناقشتها، وتمييز صحيحها من سقيمها، تعطي الباحث دراية وملكة علمية.

١٠- للإمام القرطبي أصولاً اعتمد عليها في ترجيحاته وتفسيره لكلام الله ﷻ.

تلك عشرة كاملة، هي بعض ما ظهر لي في هذه الأطروحة النافعة المباركة -بإذن الله تعالى-، أسأل الله أن يجعلها لوجه خالصة، وأن يكتب لنا بها الرفعة والدرجة العالية في الدنيا والآخرة، وأن يحسن لنا الخاتمة.

والحمد لله على الإنعام، ونعمة التوفيق والإتمام، والأجر والإخلاص في الأعمال، نسأله من صاحب الإفضال، فكل شيء فهو منه وإليه، والخير لا نرجوه إلا من يديه، ثم الصلاة والسلام الأبدي، على النبيّ الهاشمي محمد، والأهل والأصحاب أجمعين.

يا رب وألحقنا بهم آمين آمين آمين.



الفهـــارس

الفهارس

فِهْرس الآيات القرآنية

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾	آل عمران	٧
﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾	آل عمران: ١١٠	١٠٠، ٣٨٥، ٣٨٧، ٣٨٨
﴿وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ﴾	آل عمران: ١٤٥	١٩٤
﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾	آل عمران: ١٩٥	٢١٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾	النساء	٧
﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾	النساء:٥٩	٢٩٥
﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ﴾	النساء:٧٨	٢٢٨
﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾	النساء:١٢٣	١٠٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤﴾	النساء	٢٤٥
﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾	المائدة: ١٥-١٦	٢٤٥
﴿إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ﴾	الأنعام:٣٦	٢١٣
﴿لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى﴾	الأنعام:٧١	٩٨
﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨﴾	الأنعام:٧٨	٢٨١

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ۚ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢) ﴾	الأنعام: ٨١-٨٢	٢٨١
﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١) ﴾	الأنعام:١٢١	٨٠
﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ﴾	الأنعام:١٣٦	٢٦٨
﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ﴾	الأعراف:١٣٧	٣٧٢
﴿ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٤٠) ﴾	الأعراف	٣٨٨
﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ ﴾	الأعراف:١٧٩	١٦١
﴿ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ ﴾	الأنفال:١٧	٣٩٥، ٣٩٧
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ ﴾	الأنفال:٢٤	٢١٣
﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥) ﴾	التوبة:٥	٣٥١
﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾	التوبة:٦٢	٢٤٦
﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾	التوبة:١٢٩	١٨٠
﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ﴾	يونس:٩٤	٢٩٥

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾	هود	١٩٤
﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾	يوسف:٨٢	٣٧٥
﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾	إبراهيم:٣٤	٢٣٦
﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ ﴾	النحل:٥	٢٥٩
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾	النحل:٤٤	١١٣،٥٤
﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ﴾	النحل:٥٨	٥٢
﴿ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾	الإسراء:١٨	١٩١
﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾	الإسراء:٤٤	٣٨٣
﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ ﴾	الإسراء:٩٣	٥٢
﴿ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ ﴾	الإسراء	١٨٨
﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ ﴾	الكهف: ٢٣-٢٤	١٩٤
﴿ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾	الكهف:٨٠	١٠٩
﴿ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا ﴾	طه:١٨	١٣٢
﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾	طه:٣٦	٣١٥،٣١١
﴿ فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا ﴾	طه:٧٧	٧٩،٦٥
﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾	الأنبياء:٢	١٠٩
﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾	الأنبياء:١٠	١٠٣

الآيــــــــــة	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾	الأنبياء:١٥	٣٩٧
﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون (٣٥)﴾	الأنبياء:٣٥	٣٩٣، ٣٩٥
﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾	الأنبياء:١٠١	٣١٧
﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون (٢١)﴾	المؤمنون:٢١	٢٥٧
﴿وعليها وعلى الفلك تحملون (٢٢)﴾	المؤمنون:٢٢	٢٥٧
﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا﴾	الفرقان:١٣	٣٠٥
﴿من كل زوج كريم (٧)﴾	الشعراء	١٢٦، ٢٥٢
﴿كذلك وأورثناها بني إسرائيل﴾	الشعراء:٥٩	٣٧٣
﴿نزل به الروح الأمين (١٩٣) على قلبك لتكون من المنذرين (١٩٤) بلسان عربي مبين (١٩٥)﴾	الشعراء	٧٧
﴿وأخي هارون هو أفصح مني لسانا﴾	القصص:٣٤	٣١٢، ٣١٤
﴿فآمن له لوط﴾	العنكبوت:٢٦	٨١
﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون﴾	الروم:١٤	١٠٣
﴿ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾	الروم:٦٠	٥٣
﴿إن الشرك لظلم عظيم (١٣)﴾	لقمان:١٣	٢٨١
﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾	الأحزاب:٣٣	١٠٩
﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات﴾	الأحزاب:٣٥	١١٦
﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾	الأحزاب:٤٣	٢٤٥

الآيــــــــــة	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾	الأحزاب	٧
﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾	سبأ:٤٧	٢٠٤
﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾	فاطر:٣٠	١٩١
﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾	فاطر:٤٢	٥٢
﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧)﴾	الصافات:١٠٧	٤٥
﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾	ص:٤٤	٤٥
﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾	غافر:٧	١٤٨
﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾	غافر:٧	١٥٨
﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦)﴾	غافر	٣٧١
﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧) وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾	غافر: ٢٧ – ٢٨	٣٧٠
﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١)﴾	فصلت:١١	٣٨٣
﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ﴾	الشورى:١٣	٧٩
﴿حم (١) عسق (٢)﴾	الشورى	٧٣
﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥)﴾	الشورى	٧٠، ١١١، ١٤١
﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)﴾	الشورى:١١	٨٢، ١٦٠

الآيــــــــــــة	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ﴾	الشورى:١٣	٦٣
﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾	الشورى	٥٢، ١٠٢، ١٧٦
﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾	الشورى:١٥	٦٤، ٨٦، ١٧٨، ١٨٠
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾	الشورى	٨٦، ٩٩، ١٨٣
﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾	الشورى	٥٩، ١٢٢، ١٩٠
﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾﴾	الشورى:٢٢	١٩٦
﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾	الشورى	١١٤، ١١٩، ١٣١، ١٩٨، ٦٤، ٦٦، ٨٦، ١٢٥
﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾	الشورى	٨٦، ١٢٥
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾	الشورى	٨٦، ١٢٥
﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾	الشورى	١٢٣، ٢١٠

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾	الشورى	٨٠، ١٠٢، ٢١٥
﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ٣٢﴾	الشورى	١٠٣
﴿وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ٣٥﴾	الشورى	١٣١
﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦﴾	الشورى	٢١٧
﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ٣٩﴾	الشورى	٩٩، ٢١٩
﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾	الشورى	٢٢٥، ٢٢٦
﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ٤١﴾	الشورى	٢٢٤
﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٢﴾	الشورى	١٠٤، ١٢٦
﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣﴾	الشورى	١١٥، ٢٢٣
﴿وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ٤٥﴾	الشورى	٢٣٠
﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ ٤٧﴾	الشورى	٢٣٣
﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ٤٨﴾	الشورى	٢٣٥
﴿لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ٤٩﴾	الشورى	١٠٤

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾	الشورى	١٣٤
﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾	الشورى	١١٩
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾	الشورى	٢٣٨، ٧٣
﴿ صِرَاطِ اللَّهِ ﴾	الشورى:٥٣	٦٠
﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ ﴾	الزخرف	١٢٩، ٨٧
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾	الزخرف	٢٤٨
﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ ﴾	الزخرف	١٢٦، ٥٤، ٢٥٢
﴿ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ﴾	الزخرف:١٣	٦٧
﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ۚ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾	الزخرف	٢٦٧
﴿ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ ﴾	الزخرف	٢٧١
﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ﴾	الزخرف:١٧	٥٢
﴿ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾	الزخرف	٢٧٢
﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ۖ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾	الزخرف	٢٧٦
﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾	الزخرف	٢٧٩

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾	الزخرف	٢٨٣
﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾	الزخرف	١٣٤
﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾	الزخرف	١٣٢
﴿ وَزُخْرُفًا ﴾	الزخرف:٣٥	٥٢
﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾	الزخرف	٨٧
﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ ﴾	الزخرف	٦٠، ١٣٥، ٢٨٧
﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾	الزخرف	١٠٣
﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾	الزخرف	٢٩٠
﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾	الزخرف	٢٩٧
﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾	الزخرف	٣٠٠، ٣١٤
﴿ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾	الزخرف:٥٣	٣٠٦
﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ ﴾	الزخرف:٥٤	٥٣
﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾	الزخرف:٥٥	٦٧
﴿ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾	الزخرف	١١٥، ٣١٧
﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾	الزخرف	٣٢١

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾	الزخرف	٦٤، ٥٥، ٣٢٥
﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾	الزخرف	١٢٧
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾	الزخرف	٨٢
﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾	الزخرف:٧١	١١٦، ٧٩، ٥٦
﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾﴾	الزخرف	٨٧
﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾	الزخرف	٣٣٢، ١١٦
﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾	الزخرف	١٢٠
﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾	الزخرف	١٢٠
﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾	الزخرف	٣٣٥، ٦٨
﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾	الزخرف	٣٤٣
﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾	الزخرف	١١١، ٧١
﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾	الزخرف	٣٤٦
﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾	الزخرف	٣٥١
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾﴾	الدخان	١٢٣، ٩٦، ٣٥٦
﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾	الدخان	٦٨
﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾﴾	الدخان	١١١، ٧٢
﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾﴾	الدخان	٨٠
﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾﴾	الدخان	٣٦٦، ١٢٣

الآيـــــــة	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ ﴾	الدخان	٨١
﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾	الدخان	١١٧
﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾	الدخان	٦٥، ٧٩
﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾	الدخان	١٣٢
﴿ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾	الدخان	١٢٤، ٣٧٢
﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾	الدخان	١٣٦، ٣٧٥
﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾	الدخان	١٠٠، ٣٨٥، ٣٨٨
﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ ﴾	الدخان	٣٩١
﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾	الدخان	٤٥، ٨٢، ١٠٥، ٣٩٩
﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾	الدخان	١٠٣
﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ ﴾	الدخان	٤٠٢
﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ ﴾	الدخان	٩٧، ٤٠٨
﴿ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ ﴾	الدخان	٤٠٨
﴿ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾	الدخان	٤٠٧
﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾	الدخان	١٢١، ٤٠٥
﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ ﴾	الدخان	٨٧، ١٢٩
﴿ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ ﴾	الدخان	٨٧
﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾	الدخان	١٠٠
﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ ﴾	الدخان	١٣٧، ٤١٠

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾	الممتحنة:٣	١٠٣
﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾	الجمعة:١١	٢٤٦
﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا . رَسُولًا﴾	الطلاق: ١٠-١١	١٠٩
﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾	الملك:٢٤	١٦١
﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (١٠)﴾	القلم:١٠	٣٠٥
﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٥٢)﴾	القلم	١٠٩
﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾	الحاقة:١١	١٠٣
﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (١٠)﴾	القيامة	٤٠٧
﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٢٠)﴾	المرسلات:٢٠	٣٠٥
﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾	النبأ:١٧	١٠٣
﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)﴾	التكوير	١٩٤
﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾	الانفطار:١	٧١، ١١١
﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١)﴾	القدر	١٢٣، ٣٥٨، ٣٥٧
﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣)﴾	القدر	٣٦٣
﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤)﴾	البينة:٤	١٧٨
﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦)﴾	العاديات:٦	٢٣٧



فِهْرس القراءات الشاذة

م	القـــــــــــــراءة	الصفحة
١	وإنك لَتُهْدى	٧٣
٢	ونادَوا يا مَالِ	٣٣٢



فِهْرس الأحاديث النبوية

م	الحديـــــــث	الصفحة
١٧	والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب	٣٢٨
١٨	ولا أدري أَتُبَّعٌ لعينٌ أم لا	٣٩٩
١٩	يا رسول الله من هؤلاء الذين نودَّهم ، قال: علي، وفاطمة، وولداهما	٢٠١



فِهْرس الآثار

م	الأثــــــــــر	القائل	الصفحة
١	الإبل وحدها	أبو معاذ	٢٥٦
٢	أخبرونا أن الحمرة التي تكون مع الشفق لم تكن حتى قُتل الحسين بن علي رضي الله عنهما	محمد بن سيرين	٣٨١
٣	أزواج الحيوان من ذكر وأنثى	ابن عيسى	٢٥٢
٤	الأزواج: الضروب والأنواع كالحلو والحامض والأبيض والأسود والذكر والأنثى	ابن عباس	٢٥٣
٥	الأصناف كلها	سعيد بن جبير	٢٥٢
٦	الأصناف كلها	مقاتل	٢٥٢
٧	« أم » بمعنى « بل » وليست بحرف عطف	أبو عبيدة، والسدي	٣٠٠
٨	أمرَه بالصَّفح عنهم، ثم أمره بقتالهم	قتادة	٣٥١
٩	إن السماء والأرض يبكيان على المؤمن أربعين صباحاً	مجاهد	٣٧٥
١٠	أن المراد بالحسنة: أي المودة في آل رسول الله ﷺ	ابن عباس، والسدي	٢٠٧
١١	أن بكاؤها احمرارها وأنه لما قُتل الحسين احمرت أفاق السماء أربعة أشهر	السدي وعطاء	٣٨١
١٢	الأنعام هنا الإبل والبقر	سعيد بن جبير	٢٥٦
١٣	إنه الشرُّ الذي كفَّهم عنه والخير الذي أمرهم به	عبدالرحمن بن زيد	٣٩١
١٤	إنه يبكي عليه مُصلاَّه من الأرض، ومصعد عمله من السماء	علي، وابن عباس	٣٧٥
١٥	أنها الإبل والبقر	مقاتل	٢٥٧
١٦	إنها زائدة	أبو زيد	٣٠١

م	الأثـــــــــر	القائل	الصفحة
١٧	أنها زالت بالكلية	مقاتل	٣١١
١٨	أنها لم تَزُل كلها	الحسن البصري	٣١٢
١٩	أهليهم في الجنة من الحور العين	قتادة، والسدي	٢٣١
٢٠	الآيات: إنجاؤهم من فرعون، وفَلْقُ البحر لهم	قتادة	٣٩١
٢١	بمعنى الضعيف الذليل	مقاتل	٣٠٣
٢٢	حل عقدة واحدةً، ولو سأل أكثر من ذلك أُعْطِي	الحسن البصري	٣١٥
٢٣	خَوَلا وخُدَّاماً، يُسخر الأغنياء الفقراء	السدي، وابن زيد	٢٨٣
٢٤	الشتاء والصيف	الحسن	٢٥٢
٢٥	الشفق الحمرة	أبو هريرة	٣٨٢
٢٦	الشفق شفقان، الحمرة والبياض	عبادة بن الصامت، وشداد بن أوس	٣٨١
٢٧	شكا موسى إلى ربه ما يتخوف من آل فرعون في القتيل	ابن عباس	٣١٥
٢٨	الضعيف	قتادة، والسدي	٣٠٣
٢٩	«فاصفح عنهم»: أعرض عنهم	ابن عباس	٣٥١
٣٠	فما بكت عليهم مصاعد عملهم من السماء، ولا مواضعُ عبادتهم من الأرض	سعيد بن جبير	٣٧٥
٣١	في الكلام إضمار أي: ما بكى عليهم أهل السماء والأرض من الملائكة	الحسن	٣٧٥
٣٢	قُربى آل محمد	سعيد بن جُبير	١١٤
٣٣	قوله تعالى: (فاصفح عنهم وقل سلام ...) منسوخ بآية السيف	ابن عباس	٣٥٢
٣٤	كانت في لسانه رُتَّة، وذلك أنه كان في حِجر فرعون ذات يومٍ وهو طفل	ابن عباس	٣٠٧

م	الأثـــــــــر	القائل	الصفحة
٣٥	كانوا أهون على الله من أن تبكي عليهم السماء والأرض	قتادة	٣٨٠
٣٦	كانوا يقولون: الله ربنا مع عبادة الأوثان	قتادة	٢٧٩
٣٧	ما بكى عليهم أهل السماء والأرض من الملائكة والمؤمنين	الحسن البصري	٣٧٧
٣٨	ما مات مؤمن إلا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحاً	مجاهد	٣٨٠
٣٩	المراد بـ « هو » عيسى	ابن زيد، والسدي	٣٢٣
٤٠	مطيقين	ابن عباس، والكلبي	٢٦٤
٤١	المهين: الضعيف الذليل	الكسائي	٣٠٥
٤٢	واحرث لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا	عبدالله بن عمرو	٥٩
٤٣	يجعل لكم معيشة تعيشون بها فيما خلق لكم من أنواع الأنعام	ابن عباس، وقتادة، ومقاتل	١٦٣
٤٤	يخلقكم في بطون الإناث	مجاهد	١٦٧
٤٥	يخلقكم وينشئكم	ابن عباس، ومجاهد	١٦٠
٤٦	يعني الإبل والخيل والبغال والحمير	مجاهد	٢٥٨
٤٧	يعني ليملك بعضهم بعضاً	قتادة، والضحاك	٢٨٣



فِهْرس الأعلام

م	اســـم العلـــم	الصفحة
١	إبراهيم بن السّري الزجاج	٦٤
٢	إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري (ابن فرحون)	٣٧
٣	إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي العتكي (ابن عرفة)	٣٤١
٤	إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي	٢٢٠
٥	أبرهة بن الحارث الرائش بن شدد الملطاط (ذو المنار)	١٠٦
٦	أبو بكر بن عاصم بن أبي النجود الأسدي	٧٠
٧	أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحراني (ابن تيمية)	٤٣
٨	أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ابن حجر)	٤١
٩	أحمد بن عمار المهدوي	٦٨
١٠	أحمد بن فارس بن زكريا الرازي	٧٧
١١	أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي	١١٩
١٢	أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي (النحاس)	٣٥
١٣	أحمد بن محمد بن عماد بن علي القرافي (ابن الهائم المصري)	٢٦٨
١٤	أحمد بن يحيى بن زيد بن سيَّار الشيباني (ثعلب)	١٧٠
١٥	أحمد بن يوسف بن عبدالدايم (السمين الحلبي)	١٤٦
١٦	أسباط بن نصر الهمداني	٢٢٠
١٧	أسعد تبان أبو كرب بن ملكى (أبو كَرِب)	٣٩٩
١٨	إسماعيل بن حماد، أبو النصر الفارابي الجوهري	٧٧

م	اســـم العلـــم	الصفحة
٣٩	أنس بن مالك بن النضر الخزرجي الأنصاري	٦٠
٤٠	أوس بن عبدالله بن حَجَر الأسلمي	١٧٠
٤١	باذان الهاشمي (أبو صالح)	٣٦٨
٤٢	حذيفة بن حِسْل بن جابر العبسي	٥٧
٤٣	حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي	٧٤
٤٤	حمزة بن حبيب الزيات	٧١
٤٥	حُميد بن قيس الأعرج المكي	٧١
٤٦	رفيع بن مهران الرياحي (أبو العالية)	٦٢
٤٧	زبان بن العلاء بن عمار المازني (أبو عمرو)	٧٠
٤٨	زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري	٥٩
٤٩	زينب بنت جحش الأسدية	١١٥
٥٠	سعد بن مالك بن سنان الأنصاري (أبوسعيد الخُدري)	٦٠
٥١	سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي	٦٣
٥٢	سعيد بن جبير الأسدي الكوفي	٥٤
٥٣	سعيد بن مسعدة البلخي البصري (الأخفش)	٨٠
٥٤	سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري	٧٤
٥٥	سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي	٣٣٧
٥٦	سليمان بن عمر بن منصور العجيلي (الجمل)	٣٨٦
٥٧	سهل بن محمد بن عثمان الجشمي السجستاني (أبوحاتم)	٨٠
٥٨	شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري	٣٨١

م	اســـم العلـــم	الصفحة
٥٩	شريح بن يزيد الحضرمي (أبو حيوة)	٧٤
٦٠	شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي	١٦٠
٦١	صدي بن عجلان بن وهب الباهلي (أبو أمامة)	١١٥
٦٢	صفوان بن يعلى بن أمية المكي	١١٧
٦٣	طارق بن زياد البربري	٣٠
٦٤	طاووس بن كيسان، أبو عبدالرحمن اليماني	١١٤
٦٥	عائشة بنت أبي بكر الصديق التيميَّة	١١٥
٦٦	عاصم بن أبي الصباح العجاج الجحدري	٧٣
٦٧	عامر بن شراحيل الشعبي	٦٣
٦٨	عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي	٣٨١
٦٩	عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن الغرناطي (ابن عطية)	٣٥
٧٠	عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي	٤١
٧١	عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق القرشي	٩٧
٧٢	عبدالرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي	١٤٢
٧٣	عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العمري	٦٢
٧٤	عبدالرحمن بن صخر الدوسي (أبو هريرة)	٦١
٧٥	عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد السهيلي	١٠٥
٧٦	عبدالرحمن بن علي البكري القرشي (ابن الجوزي)	٦٦
٧٧	عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي	١٤٤
٧٨	عبدالرحمن بن مصطفى بن محمد المراغي	١٤٤

م	اســـم العلـــم	الصفحة
٩٩	عكرمة بن عبدالله البربري	٦٣
١٠٠	علي بن أبي طلحة سالم بن مخارق الهاشمي	٦٧
١٠١	علي بن أحمد الواحدي	١٢٠
١٠٢	علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري	٢٢٣
١٠٣	علي بن أحمد بن علي المهائمي الهندي	٤١٣
١٠٤	علي بن إسماعيل المرسي (ابن سيده)	٣٤٠
١٠٥	علي بن الحسن بن علي أبو الحسن المسعودي	١٠٦
١٠٦	علي بن حمزة، أبو الحسن الكسائي	٧٠
١٠٧	علي بن سليمان بن الفضل (الأخفش الصغير)	١٤٦
١٠٨	علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني	٣٨١
١٠٩	علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (الخازن)	١٥١
١١٠	علي بن محمد بن حبيب الماوردي	٣٥
١١١	عمر بن علي بن عادل الدمشقي (ابن عادل)	١٥٢
١١٢	عمرو بن أبرهة بن الحارث الرائش (ذو الأذعار)	١٠٦
١١٣	عمرو بن شعيب السهمي	٢٠١
١١٤	عمرو بن عبيد الهمداني السبيعي (أبو إسحاق)	٢٠١
١١٥	عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي (سيبويه)	٧٧
١١٦	عمرو بن هشام بن المغيرة القرشي (أبو جهل)	٩٧
١١٧	عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري (أبو الدرداء)	٣٣٢
١١٨	عيسى بن عمر الهمداني الكوفي	٧٤

م	اســـم العلـــم	الصفحة
١١٩	غزوان بن مالك الغفاري الكوفي (أبو مالك)	٦٤
١٢٠	غيلان بن عقبة العدوي (ذو الرُّمَّة)	٢٥٧
١٢١	فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الهاشمية	٢٠٢
١٢٢	قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي	٥٥
١٢٣	كعب بن مانع الحميري	٦٥
١٢٤	ليلى بنت طريف بن الصلت التغلبية (الخارجية)	١٣٦
١٢٥	مالك بن أنس بن مالك الأصبحي	٤٥
١٢٦	مالك بن دينار السامي الناجي	٢٣٨
١٢٧	مجاهد بن جبر بن السائب المخزومي	٥٥
١٢٨	محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي	١٤٥
١٢٩	محمد الطاهر بن عاشور (ابن عاشور)	٣٦
١٣٠	محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرعي (ابن القيم)	٥٨
١٣١	محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو الحسن النحوي (ابن كيسان)	١٦٥
١٣٢	محمد بن أحمد بن الأزهر، أبو منصور الأزهري	٣٤١
١٣٣	محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي	٣٧
١٣٤	محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المصري (جلال الدين المحلي)	١٨٠
١٣٥	محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري	٦٦
١٣٦	محمد بن الحسن بن زياد بن هارون الموصلي (النقاش)	٩٧
١٣٧	محمد بن السائب بن بشر الكلبي	١٢٤
١٣٨	محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري (أبو بكر)	٣٣٤

م	اســـم العلـــم	الصفحة
١٣٩	محمد بن المستنير بن أحمد (قُطْرُب)	١٣١
١٤٠	محمد بن جرير بن يزيد الطبري	٣٥
١٤١	محمد بن زياد الأعرابي (ابن الأعرابي)	٥٣
١٤٢	محمد بن سيرين البصري الأنصاري	٣٨١
١٤٣	محمد بن عبدالرحمن بن عمر القزويني	١٦٢
١٤٤	محمد بن عبدالرحمن بن محيصن السهمي (ابن محيصن)	٧١
١٤٥	محمد بن عبدالعظيم الزرقاني	٣٥٤
١٤٦	محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي	٣٠١
١٤٧	محمد بن عبدالله بن عيسى المري (ابن أبي زمنين)	١٤٣
١٤٨	محمد بن عبدالله بن محمد المعافري (ابن العربي)	٦٦
١٤٩	محمد بن علي الشوكاني	٣٦
١٥٠	محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي	١٥١
١٥١	محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي	١١٥
١٥٢	محمد بن كعب القرظي	١٢١
١٥٣	محمد بن محمد بن عبدالملك الأنصاري المراكشي	٤١
١٥٤	محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (أبو السعود)	١٤٤
١٥٥	محمد بن مسلم بن شهاب الزهري	١١٢
١٥٦	محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي (محي الدين زاده)	٢٩٨
١٥٧	محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الإفريقي (ابن منظور)	٣٦٩
١٥٨	محمد بن يزيد الثمالي الأزدي (المبرد)	٧٨

م	اســـم العلـــم	الصفحة
١٥٩	محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (أبو حيان)	٣٦
١٦٠	محمد جمال الدين بن محمد الحلاق القاسمي	١٤٤
١٦١	محمود بن عبدالله أفندي الحسيني الألوسي	١٤٤
١٦٢	محمود بن عمر بن محمد الزمخشري	٣٥
١٦٣	مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري	٥٥
١٦٤	معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري	٢١٢
١٦٥	معمر بن راشد الأزدي	٣٤٨
١٦٦	مكي بن أبي طالب حَمُّوش بن محمد بن مختار الأندلسي	٣٣٩
١٦٧	منصور بن المعتمر السلمي	١٦٢
١٦٨	منصور بن محمد بن عبدالجبار التميمي السمعاني	١٤٥
١٦٩	موسى بن نصير	٣٠
١٧٠	ميمون بن قيس بن جندل الوائلي (الأعشى)	١٥٣
١٧١	نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم الليثي	٧٠
١٧٢	نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي	١٤٢
١٧٣	هاشم بن حسين بن عمر بن عيسى الشافعي (ابن عيسى)	١٢٦
١٧٤	هبة الله بن عبدالرحيم بن إبراهيم الجهني (ابن البارزي)	٢٢٣
١٧٥	وهب بن منبه الأبناوي الصنعاني	٤٠٠
١٧٦	يحيى بن زياد بن عبدالله الديلمي (الفراء)	٦٦
١٧٧	يحيى بن وثاب الأسدي (ابن وثاب)	٧٠
١٧٨	يعقوب بن محمد بن خليفة الكوفي	٧٢



فِهْرس المصطلحات والمفردات المشروحة



فِهْرس الفرق والقبائل



فِهْرس الأماكن والبلدان



فِهْرس الشواهد الشعرية

م	البيـــــــــت		الصفحة
١	أسـير خَلْـف رِكَـاب النُّجْـب ذا عَـرَجٍ	مـؤمِّلاً كَـشْف مـا لاقيتُ مـن عـوجِ	١٠
٢	أقــول لَمَّــا جــاءنِي فَخْــرُهُ	سُــبْحَانَ مِــنْ عَلْقَمَــةَ الفــاخرِ	١٥٣
٣	ألا خُيِّلَــتْ منِّــي وقــد نــام صُــحْبَتِي	فــما نفــر التَّهْــوِيمَ إلا سَــلاَمُهَا	٢٥٨
٤	إلا كنـــاشِرَةَ الـــذي ضـــيعْتُمُ	كالغــصنِ في غُلَوائـــه المتنبـــتِ	١٣٧، ٤١٠
٥	أيـا شـجرَ الخـابور مَالَـكَ مُورِقـا	كأنـك لم تجـزع عـلى ابـن طَرِيـفِ	١٣٦
٦	الـــريحُ تبكـــي شَـــجْوَهُ	والـــبرقُ يلمـــع في غمامـــه	١٣٦
٧	صـــاليات ككـــما يـــؤثفين		١٧٠
٨	صـفوحاً فـما تلقـاكَ إلا بخيلَـةً	فمَـنْ مَـل منهـا ذلـك الوصـل	١٢٩
٩	عفَـتِ الـديارُ محلهـا فَمُقَامهـا		١٢٩
١٠	عُقِـم النـساء فـما يَلِـدْنَ شـبيهه	إن النـــساءَ بمثلـــه عُقْـــمُ	١٣٤
١١	عَلَوْنــا الــسماءَ عــزةً ومهابــةً	وإنـا لنرجـو فـوق ذلـك مظهـرا	١٣٥
١٢	فأبلاهمـا خـير الـبلاء الـذي يَبْلـوُ		٣٩٥
١٣	فـإنْ لَحِقْـت بهـم مـن بعـد مـا سبقوا	فكـم لِـرَب الـوَرَى في ذاك مِـن فـرجِ	١٠
١٤	مَــن كــان أسرع في تفَـرق فــالجٍ	فَلبونُــه جَربــت معــا وأغــدتِ	١٣٧، ٤١٠
١٥	وأعبَــدُ أن تُهْجــي تَمــيمٌ بــدارم		٣٤٠
١٦	والـشمسُ طالعـة ليـست بكاسـفة	تبكـي عليـك نجـومَ الليـل والقمـرا	١٣٦

م	البيـــــــــت		الصفحة
١٧	وأمـــا إذا كـــان الجـــمال مـــوفراً	كحـــسنك لم يحـــتج إلى أن يـــزورا	٢٧٣
١٨	وإن بقيـــت بظهـــر الأرض منقطعـــاً	فـــما عـــلى عـــرجٍ في ذاك مـــن حـــرجِ	١٠
١٩	وعَـــين لهـــا حَـــدْرَة بـــدْرَة	شُـــقت مـــآقيهما مـــن أُخَـــرْ	١٣٥
٢٠	وَقَـــتْلى كَمِثْـــل جُـــذُوعِ النَّخِيـــلْ	يَغْـــشاهُمُ مَطَـــرٌ منهمِـــر	١٧١، ١٧٤
٢١	ومـــا الحـــلي إلا زينـــة مـــن نقيـــصة	يـــتمم مـــن حـــسن إذا الحـــسن قـــصرا	٢٧٣



فِهْرس المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم** (الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد).

أولاً: الرسائل العلمية:

(١) اختيارات أبي جعفر النحاس في التفسير من أول سورة القصص إلى آخر سور القرآن، رسالة علمية تقدم بها الطالب: ياسين حافظ قاري مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، من جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، سنة (١٤٢٨هـ).

(٢) آراء الإمام ابن حزم الظاهري في التفسير من أول سورة الزخرف إلى آخر سورة النجم، إعداد الطالبة: غزيل بنت ناعم بن مستور المقاطي العتيبي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، من جامعة أم القرى ، بمكة المكرمة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، سنة (١٤٢٨هـ).

(٣) آراء الإمام ابن حزم الظاهري في التفسير من أول سورة سبأ إلى آخر سورة الشورى ، إعداد الطالبة: نبيلة بنت حسن بن محمد بن عبد الله التركي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير ، من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، سنة (١٤٢٨هـ).

(٤) ترجيحات أبي جعفر النحاس في التفسير من أول سورة الفاتحة إلى آخر المائدة، رسالة علمية تقدم بها الطالب: زيد بن علي بن مهدي مهارش مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، سنة (١٤٢٦هـ).

(٥) ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من أول سورة غافر إلى آخر سورة ق، إعداد الطالب: سعيد بن غليفص بن سعيد آل سعد القحطاني، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه بجامعة أم القرى، بمكة المكرمة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، شعبة التفسير، سنة (١٤٢٧هـ).

(٦) ترجيحات أبي حيان الأندلسي من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة البقرة، رسالة علمية تقدم بها الطالب: محمد ناصر جده مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، سنة (١٤٢٧هـ).

(٧) ترجيحات الحافظ ابن كثير لمعاني الآيات في تفسيره، من سورة يونس إلى نهاية القرآن، إعداد الطالب: عبد الله بن عبد العزيز العواجي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، قسم التفسير، إشراف الدكتور: محمد أيوب بن محمد يوسف ، سنة (١٤٢٠هـ).

(٨) دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير الطبري، إعداد الطالب: عبد الحكيم بن عبد الله القاسم، رسالة ماجستير، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم القرآن وعلومه، إشراف الدكتور: حسن محمد عبد العزيز عام (١٣٢٠هـ).

ثانياً: المصادر والمراجع المطبوعة:

(٩) الإبانة عن معاني القراءات: لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل، نشر المكتبة الفيصلية، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٥هـ.

(١٠) إبراز المعاني من حرز الأماني: لعبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، نشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، بدون تاريخ طبع.

(١١) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: لأحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، الشهير بالبناء، تحقيق أنس مهرة، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

(١٢) الاتقان في علوم القرآن: لجلال الدين السيوطي، تحقيق فواز أحمد رمزي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٦هـ.

(١٣) آثار البلاد وأخبار العباد: لزكريا بن محمد بن محمود القزويني، مطبعة بيروت، سنة ١٩٦٠م.

(١٤) أحكام القرآن: لأحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة ١٤٠٥هـ.

(١٥) أحكام القرآن: لعماد الدين بن محمد الطبري، الشهير بالكيا الهراسي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥هـ.

(١٦) أحكام القرآن: لمحمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المالكي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤١٦هـ.

(١٧) الإحكام في أصول الأحكام: لعلي بن حزم الظاهري، نسخة مقابلة على نسخ الشيخ أحمد شاكر، مكتبة العاصمة، القاهرة، بدون تاريخ طبع.

(١٨) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: للقاضي محمد بن محمد بن مصطفى الحنفي، وضع حواشية: عبد اللطيف بن عبد الرحمن، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(١٩) أساس البلاغة: لمحمود بن عمر الزمخشري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٩٨م.

(٢٠) أسباب النزول: لعلي بن احمد الواحدي، تحقيق عصام بن عبد المحسن الحميدان، نشر دار الذخائر، الرياض، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٢٠هـ.

(٢١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ليوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي المالكي، نشر مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، سنة ١٣٢٨هـ.

(٢٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة: لعلي بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق محمد إبراهيم البنا وَ محمد أحمد عاشور، دار الشعب، القاهرة، الطبعة (بدون)، وتاريخ الطبع (بدون).

(٢٣) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: د. محمد بن محمد أبو شهبة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، سنة ١٣٩٣هـ.

(٢٤) أسماء سور القرآن وفضائلها: د. منيرة محمد ناصر الدوسري، تقديم: د. فهد عبد الرحمن الرومي، نشر دار الجوزي، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٩هـ.

(٢٥) الإصابة في تمييز الصحابة: للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ورفاقه، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٥هـ.

(٢٦) إصلاح المنطق: ليعقوب بن إسحاق بن السكيت، تحقيق أحمد محمد شاكر وَ أحمد عبد السلام هارون، نشر دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٧٥هـ.

(٢٧) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، إشراف بكر أبو زيد، نشر دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٦هـ.

(٢٨) إعراب القرآن: لأحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق د. زهير غازي زاهد، نشر عالم الكتب، بدون تاريخ طبع.

(٢٩) إعلام الموقعين عن رب العالمين: لابن قيم الجوزية، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، نشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة، سنة ١٤٠٩هـ.

(٣٠) الأعلام: لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، نشر دار القلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، سنة ٢٠٠٢م.

(٣١) الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ٢٠٠٢م.

(٣٢) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم: للقاضي عياض اليحصبي، تحقيق د. يحيى إسماعيل، نشر دار الوفاء، مصر ، سنة ١٩٩٨م.

(٣٣) الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى: لعلي بن هبة الله بن ماكولا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١١هـ.

(٣٤) إملاء ما منَّ به الرحمن بن الإعراب والقراءات في جميع القرآن: لأبي البقاء العكبري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٩هـ.

(٣٥) إنباه الرواة عن أنباه النحاة: لعلي بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار الفكر العربي، القاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦هـ.

(٣٦) أنساب الأشراف: لأحمد بن يحيى البلاذري، تحقيق: سهيل زكار، ورياض زركلي، دار الفكر، سنة ١٤١٧هـ.

(٣٧) الأنساب: لعبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، تحقيق محمد عبد القادر عطا، نشر مكتبة عباس أحمد الباز، مكة المكرمة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

(٣٨) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٣٩) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، تحقيق الدكتور: عبد الحميد هنداوي، نشر مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

(٤٠) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه: لمكي ابن أبي طالب القيسي، تحقيق أحمد حسن فرحات، نشر دار المنارة، جدة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦هـ.

(٤١) الباعث الحثيث في شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير: لأحمد محمد شاكر، اعتنى به: بديع السيد اللحام، نشر مكتبة دار الفيحاء، دمشق، ومكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٧هـ.

(٤٢) بحر العلوم (تفسير السمرقندي): لنصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، تحقيق محب الدين العمروي، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ طبع.

(٤٣) البحر المحيط في التفسير: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، مراجعة صدقي محمد جميل، نشر دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ طبع.

(٤٤) بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية، جمعه وخرج أحاديثه: يسري السيد، وراجعه صالح أحمد، نشر دار ابن الجوزي، جدة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٧هـ.

(٤٥) البداية والنهاية: لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق علي شيري، نشر دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٨هـ.

(٤٦) البدر الطالع بمحاسن القرن السابع: لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق د. حسين بن عبد الله العمري، نشر دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

(٤٧) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة: للشيخ عبد الفتاح القاضي ، نشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى، سنة ١٣٧٥هـ.

(٤٨) البرهان في علوم القرآن: لمحمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر المكتبة العصرية، بيروت، سنة ١٤٢٥هـ.

(٤٩) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، نشر دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٩هـ.

(٥٠) البلاغة فنونها وأفانيانها لعلم البيان والبديع: الدكتور فضل حسين عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٧هـ.

(٥١) البلدان: لأحمد بن إسحاق اليعقوبي، تحقيق محمد أمين الضناوي، نشر، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ٢٠٠٢م.

(٥٢) البلدانيات: لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: حسام محمد القطان، نشر دار العطاء، السعودية، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٢هـ.

(٥٣) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق محمد المصري، نشر جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٧هـ.

(٥٤) تاج التراجم في تراجم الحنفية: لزين الدين ابن قطلوبغا، نشر في بغداد، سنة ١٩٦٢م.

(٥٥) تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، نشر دار الهداية، بدون تاريخ طبع.

(٥٦) تاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم: لعمر بن أحمد بن شاهين، تحقيق صبحي السامرائي، نشر الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٤هـ.

(٥٧) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق عمر التدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٠هـ.

(٥٨) تاريخ الأمم والملوك: لمحمد بن جرير الطبري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٧هـ.

(٥٩) تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك ومن كان في زمن كل منهم): لمحمد بن جريد الطبري، تقديم صدقي عطار، نشر دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٣هـ.

(٦٠) التاريخ الكبير: لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق السيد هاشم الندوي، تاريخ الطبع بدون.

(٦١) تاريخ بغداد: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ طبع.

(٦٢) تاريخ دمشق: لأبي القاسم ابن عساكر، تحقيق علي عاشور الجنوني، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢١هـ.

(٦٣) التاريخ: ليحيى بن معين، رواية عثمان الدارمي، تحقيق محمد نور سيفي، نشر دار المأمون، دمشق، سنة ١٤٠٠هـ.

(٦٤) تأويل مشكل القرآن: لعبد الله بن مسلم بن قتيبة، علق عليه إبراهيم شمس الدين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٨هـ.

(٦٥) التبيان في تفسير غريب القرآن: لأحمد بن محمد القرافي، المعروف بابن الهائم المصري، تحقيق فتحي أنور الدابلوي، نشر دار الصحابة، طنطا، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٢هـ.

(٦٦) التحرير والتنوير: لمحمد الطاهر ابن عاشور، نشر دار سحنون للنـشر والتوزيـع، تونس، بدون تاريخ طبع.

(٦٧) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: لمحمد بن عبد الرحمن المباركفوري، تحقيق عبد الرحمن بن محمد عثمان، إشراف عبد الوهاب عبد اللطيف، نـشر دار الفكـر، بيروت.

(٦٨) تدريب الراوي في شرح تقريب النووي: لجلال الدين السيوطي، تحقيق أحمد عمر هاشم، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥هـ.

(٦٩) التذكار في فضل الأذكار: لمحمد بن عبد الله القرطبي، نشر دار الكتـب العلميـة، بيروت، ٢٠٠٢م.

(٧٠) تذكرة الحفاظ: لمحمد بن أحمد الذهبي، وضع حواشيه، زكريا عميرات، نـشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

(٧١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: للإمام محمد بن عبد الله القرطبـي، نـشر دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

(٧٢) التسهيل لعلوم التنزيل: لمحمد بن أحمد بن جزيّ الكلبي الغرناطي، تحقيـق محمـد عبد المنعم اليونسي وَإبراهيم عطوه عوض، نشر دار الكتب الحديثة، تاريخ الطبع بدون.

(٧٣) التعاريف: لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق د. محمد رضوان الدايـة، نـشر دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٠هـ.

(٧٤) تعريف الأعلام الواردة في البداية والنهاية: لابن كثير، موقع الإسلام.

(٧٥) تعريف الأماكن الواردة في البداية والنهاية: لابن كثير، موقع الإسلام.

(٧٦) تفسير ابن أبي حاتم المسمى (تفـسير القـرآن العظـيم): لعبـد الـرحمن بـن محمـد الرازي، تحقيق أسعد محمد الطيب، نشر المكتبة العصرية، بـيروت، بـدون تـاريخ طبع.

(٧٧) تفسير الجلالين: لجلال الدين السيوطي وَجلال الدين المحلي، نشر دار الحـديث، القاهرة، الطبعة الأولى.

(٧٨) تفسير السمعاني المسمى (تفـسير القـرآن): لمنـصور بـن محمـد بـن عبـد الجبـار المروزي، تحقيق غنيم عباس غنيم، نشر دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، سـنة ١٤١٨هـ.

(٧٩) تفسير الصنعاني (تفسير القـرآن): لعبـد الـرزاق بـن همـام الـصنعاني، تحقيـق د. مصطفى مسلم محمد، نشر مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٠هـ.

(٨٠) تفسير الضحاك، جمع ودراسة وتحقيق: د. محمد شكري أحمد الزاويتـي، نـشر دار السلام للنشر والتوزيع.

(٨١) تفسير الطبري المسمى (جامع البيان في تأويل القرآن): لمحمد بن جرير الطـبري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٢٦هـ.

(٨٢) تفسير العز بن عبد السلام: لعبد العزيز بن عبد السلام السلمي، علق عليه: أحمد فتحي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٩هـ.

(٨٣) تفسير الفخر الرازي المشتهر (بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب): لمحمـد الـرازي، المشتهر بخطيب الري، نشر دار الفكر، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٥هـ.

(٨٤) تفسير القرآن العزيز: لمحمد بن عبد الله بن عيـسى بـن أبي زَمنِـين، تحقيـق محمـد حسن إسماعيل وأحمد فريد، نـشر دار الكتـب العلميـة، بـيروت، لبنـان، الطبعـة الأولى، سنة ١٤٢٤هـ.

(٨٥) تفسير القرآن العظيم: لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق سـامي محمـد السلامة، نشر دار طيبة، الرياض، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٢٨هـ.

(٨٦) تفسير المراغي: لأحمد مصطفى المراغي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٨٧) تفسير غريب القرآن: لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الـدينوري، تحقيـق الـسيد أحمـد صقر، نشر المكتبة العلمية، بيروت، سنة ١٤٢٨هـ.

(٨٨) تفسير غريب القرآن: لعبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، سنة ١٤٢٨هـ.

(٨٩) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: لمحمد بن أبي نصر فتوح الأزدي، نشر مكتبة السنة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٥هـ.

(٩٠) تفسير مجاهد: لمجاهد بن جبر المكي المخزومي، تحقيق عبد الرحمن الطاهر السورتي، مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد، باكستان، نشر مطابع الدوحة، قطر، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٦هـ.

(٩١) تفسير مقاتل: لمقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، تحقيق أحمد فريد، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٢هـ.

(٩٢) التفسير والمفسرون: لمحمد حسين الذهبي، ضبطه أحمد الزعبي، نشر دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان.

(٩٣) التفسير ورجاله (منهج تعليمي للمعاهد القرآنية): لمحمد محمود حوا، نشر دار نور المكتبات ، جدة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٤هـ.

(٩٤) تقريب التهذيب: أحمد العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، نشر دار الرشيد، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦هـ.

(٩٥) التمثيل والمحاضرة: لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، الطبعة وتاريخ الطبع بدون.

(٩٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ليوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق مصطفى أحمد العلوي وجماعه، مكتبة الباز، مكة المكرمة، بدون تاريخ طبع.

(٩٧) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، إشراف مكتب البحوث والدراسات بدار الفكر، بيروت، سنة ١٤١٥هـ.

(٩٨) تهذيب التهذيب: أحمد بن حجر العسقلاني، نشر دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٤هـ.

(٩٩) تهذيب الكمال: ليوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو عبد الحجاج المزي، تحقيق د. بشار عواد معروف، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٠هـ.

(١٠٠) تهذيب اللغة: لمحمد بن أحمد الأزهري، تحقيق محمد عوض، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠١م.

(١٠١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، نشر مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض.

(١٠٢) التيسير في القراءات السبع: لعثمان بن سعيد الداني، عني بتصحيحه أوتوتريزل، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٦هـ.

(١٠٣) الثقات: لمحمد بن حبان الرازي، تحقيق السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ.

(١٠٤) جامع الرسائل: لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، نشر مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

(١٠٥) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم: لعبد الرحمن البغدادي، الشهير بابن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٧هـ.

(١٠٦) الجامع لشعب الإيمان: لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: د. عبد العلي بن عبد الحميد حامد، تخريج مختار أحمد الندوي، نشر الدار السلفية، الهند، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ.

(١٠٧) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: محمد بن فتوح عبد الله الحميدي الأندلسي، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

(١٠٨) الجرح والتعديل: لابن أبي حاتم الرازي، دار الفكر، بيروت، ١٣٧٢هـ.

(١٠٩) جمال القراء وكمال الإقراء: لعلم الدين علي بن محمد السخاوي، تحقيق د. علي حسين البواب ، مكتبة التراث، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ.

(١١٠) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: لشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، تحقيق علي سيد المادني، مطبعة المدني، جدة.

(١١١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي): للشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي، تحقيق أبو محمد الغماري، دار الكتب العلمية، بيروت.

(١١٢) حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي: لمحمد بن مصلح الدين القوجوي الحنفي الشهير بشيخ زادة، اعتنى به: محمد شاهين ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ.

(١١٣) الحجة في القراءات السبع: الحسين بن أحمد، الشهير بابن خالوية، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ.

(١١٤) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: لمحمد الأمين بن عبد الله الأرمي الهرري الشافعي، دار المنهاج للنشر، الطبعة الأولى.

(١١٥) حُسْنُ المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة: لعبد الرحمن بن محمد السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ.

(١١٦) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأحمد بن عبد الله الأصفهاني، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ.

(١١٧) الحماسة البصرية: صدر الدين البصري، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠٠م.

(١١٨) الحوادث والبدع: لمحمد بن الوليد الطرطوشي، تحقيق محمد الطالبي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، ١٩٥٩م.

(١١٩) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: لعبد القادر بـن عمـر البغـدادي، تحقيـق محمد نبيل طريقي، وأميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلميـة، بـيروت، الطبعـة الأولى، ١٩٩٨م.

(١٢٠) الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادهـا القديمـة الـشهيرة: لعـلي باشا مبارك، الطبعة الأولى، ١٣٠٥هـ.

(١٢١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: شهاب الدين أبي العباس بن يوسـف بـن محمد بن إبراهيم، المعروف بالسمين الحلبـي، تحقيـق وتعليـق الـشيخ عـلي محمـد معوض وعادل عبـد الموجـود وآخـرون، قـدم لـه: د. أحمـد صـيرة، دار الكتـب العلمية، بيروت.

(١٢٢) الـدر المنثـور في التفـسير بالمـأثور: جـلال الـدين الـسيوطي، صـححها وخـرج أحاديثها: الشيخ نجدت بخيت، تقديم عبد الـرزاق المهـدي، دار إحيـاء الـتراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

(١٢٣) دراسات في علوم القرآن الكريم: د. فهد بن عبـد الـرحمن بـن سـليمان الرومـي، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة التاسعة، سنة ١٤٢١هـ.

(١٢٤) الدرر الكامنة في أعيان المائـة الثامنـة: لـشهاب الـدين أحمـد بـن عـلي بـن حجـر العسقلاني، اعتنى به عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعـة الأولى، ١٤١٨هـ.

(١٢٥) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بـيروت، دار الريـان، القـاهرة، الطبعـة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(١٢٦) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء ا لمذهب: للقاضي إبـراهيم بـن نـور الـدين المعروف بابن فرحون المالكي، تحقيق مأمون بن محي الدين، دار الكتب العلميـة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

(١٢٧) ديوان النابغة الجعدي: تحقيق عبد العزيـز الربـاح، المكتـب الإسـلامي، دمـشق، ١٣٨٤هـ.

(١٢٨) ديوان امرؤ القيس: أبو وهب ابن حجر الكندي، دار بيروت، ١٤٠٤هـ.

(١٢٩) ديوان أوس بن حجر: لأوس بـن حجـر بـن مالـك التيمـي، طبعـة دار صـادر، بيروت.

(١٣٠) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه، دار المعـارف، مصر.

(١٣١) ديوان زهير بن أبي سلمى: شرحـه عـلي فـاعور، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، الطبعة الأولى.

(١٣٢) ديوان كثير عـزَّة: لكثـير عـزَّة، جمعـه وشرحـه: د. إحـسان عبـاس، دار الثقافـة، بيروت، لبنان.

(١٣٣) ديوان يزيد بن ربيعة: ليزيد بن ربيعة ، دار صار، بيروت.

(١٣٤) ديوان: لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ.

(١٣٥) ذيل الصلة: لمحمد بن محمد المراكشي، تحقيق: إحسان عبـاس، نـشر دار الثقافـة، بيروت، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٦٥م.

(١٣٦) ذيل طبقات الحنابلة: لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، بدون تاريخ طبع.

(١٣٧) الذيل والتكملة: لمحمد بن عبد الله المراكشي، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافـة، بيروت.

(١٣٨) ربيع الأنوار: لمحمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، نشر دار الفكر، الطبعة بدون.

(١٣٩) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور وكتب السنة المشرفة: لمحمد بن جعفـر الكتـاني، تحقيق محمد المنتصر الكتـاني، نـشر دار البـشائر، بـيروت، الطبعـة الرابعـة ، سـنة ١٤٠٦هـ.

(١٤٠) الرسالة: لمحمد بـن إدريـس الـشافعي، تحقيـق أحمـد محمـد شـاكر ، دار الكتـب العلمية، بيروت، الطبعة بدون.

(١٤١) روح المعـاني في تفـسير القـرآن العظـيم والـسبع المثـاني: لـشهاب الـدين محمـود الألوسي، تحقيق السيد محمد السيد وَسيد إبراهيم عمران، دار الحديث، القـاهرة، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦هـ.

(١٤٢) الروض الأُنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: لعبد الـرحمن الـسهيلي، ومعـه السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق عمر عبد السلام الـسلامي، دار إحيـاء الـتراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ.

(١٤٣) الروض المعطار في خبر الأقطار: محمد بن عبد المـنعم الحمـيري، تحقيـق إحـسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٩٨٠م.

(١٤٤) زاد المسير في علم التفسير: لعبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق أحمـد شـمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ.

(١٤٥) الزاهر في معاني كلمات الناس: لمحمد بن القاسم الأنباري، تحقيق د، حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

(١٤٦) زيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم: لهيفاء عثمان عباس فدا ، دار القاهرة، مصر، الطبعة الأولى،١٤٢١هـ.

(١٤٧) السبعة في القراءات: لأحمد بـن موسـى ابـن مجاهـد، تحقيـق شـوقي ضـيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية.

(١٤٨) سلسلة الأحاديث الـصحيحة: لمحمـد نـاصر الـدين الألبـاني، مكتبـة المعـارف، الرياض، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٨هـ.

(١٤٩) سنن ابن ماجه: لمحمد بن يزيد القزوينـي، تحقيـق محمـد فـؤاد عبـد البـاقي، دار الفكر، بيروت.

(١٥٠) سنن أبو داود: لسليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

(١٥١) سنن الترمذي: لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث، بيروت.

(١٥٢) السنن الكبرى: لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة.

(١٥٣) السنن الكبرى: لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق د. عبد الغفار سليمان وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ.

(١٥٤) سير أعلام النبلاء: لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وجماعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٠هـ.

(١٥٥) السيرة النبوية: لعبد الملك بن هشام المعافري، تحقيق مصطفى السقا وجماعة، دار القلم، بيروت.

(١٥٦) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: لمحمد بن محمد مخلوف، نشر دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ طبع.

(١٥٧) شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لعبد الحي بن العماد الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت.

(١٥٨) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: عبد الله بن عقيل العقيلي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الخير، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

(١٥٩) شرح السنة: للحافظ الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق زهير الشاويش ، وشعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ.

(١٦٠) شرح معاني الآثار: لأحمد بن محمد بن سلامة أبو جعفر الطحاوي، تحقيق محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ.

(١٦١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: لابن قيم الجوزية، تحقيق محمد بدر الدين أبو فراس الحلبي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.

(١٦٢) شواذ القراءات: لرضي الدين محمد بن أبي نصر الكرماني، تحقيق د. شمران العجلي، مؤسسة البلاغ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

(١٦٣) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: لأحمد بن علي القلقشندي، تحقيق د. يوسف علي الطويل، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م.

(١٦٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، نشر دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.

(١٦٥) صحيح ابن حبان (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان للأمير علاء الدين ابن بلبان) للحافظ محمد بن حبان البستي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ.

(١٦٦) صحيح البخاري (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، ودار الشعب، بيروت، الطبعة الأولى والثالثة، ١٤٠٧هـ

(١٦٧) صحيح سنن أبي داود: للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، اختصر أسانيده وعلق عليه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩م.

(١٦٨) صحيح سنن الترمذي: لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

(١٦٩) صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٤هـ.

(١٧٠) صفة الصفوة: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تحقيق محمود فاخوري، د. محمد رواس قلعةجي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ.

(١٧١) الضعفاء الكبير: محمد بن عمر بن موسى العقيلي، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ.

(١٧٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت.

(١٧٣) طبقات الحفاظ: لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.

(١٧٤) طبقات الشافعية الكبرى: لعبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو، ومحمود محمد الطناجي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

(١٧٥) طبقات الشافعية: لتقي الدين بن أبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة الأسدي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

(١٧٦) طبقات الشافعية: لجمال الدين عبد الرحيم الأسنوي، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ.

(١٧٧) طبقات الفقهاء: لإبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠١هـ.

(١٧٨) طبقات القراء: لأبي عبد الله الذهبي، تحقيق د. أحمد خان، طبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨هـ.

(١٧٩) الطبقات الكبرى: لمحمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، دار صادر، بيروت.

(١٨٠) طبقات المحدثين بأصفهان: أبو بكر الأنصاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩م.

(١٨١) طبقات المفسرين: لأحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ.

(١٨٢) طبقات المفسرين: لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت.

(١٨٣) طبقات المفسرين: لشمس الدين محمد بن علي الـداوودي، دار الكتـب العلميـة، بيروت، ١٤٠٣هـ.

(١٨٤) طبقات النحويين واللغويين: لمحمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفـضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، سنة ١٣٩٢هـ.

(١٨٥) طبقات علماء الحديث: لابن عبد الهادي، تحقيق أكـرم البـوشي، إبـراهيم الزيبـق، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(١٨٦) طبقات فحول الشعراء: لمحمد بن سلام الجمحي، تحقيـق محمـود شـاكر، مكتبـة القاهرة، سنة ١٩٧٤م.

(١٨٧) طبقات فقهاء اليمن ورؤساء الزمن: لعمر بن علي بـن سـمرة، مكتبـة الزمالـك، القاهرة، ١٩٥٧م.

(١٨٨) العبر في خبر من غبر: لأبي عبد الله محمد الذهبي، تحقيق د. صلاح الدين المنجـد، مطبعة حكومة الكويت، الطبعة الثانيـة ، ١٩٨٤م، وطبعـة دار الكتـب العلميـة، بيروت.

(١٨٩) العجاب في بيان الأسباب: لابن حجر العـسقلاني، دار ابـن الجـوزي، الريـاض، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ.

(١٩٠) عصر الخلافة الراشدة: أكرم بن ضياء العمري، مكتبة العبيكان، الرياض.

(١٩١) عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأنـدلس: للـدكتور إحـسان عبـاس، دار الثقافة، بيروت.

(١٩٢) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين: لمحمد بن أحمد الفـاسي، تحقيـق فـؤاد سـيد، طبعة السنة المحمدية، القاهرة.

(١٩٣) العقد الفريد: لابن عبد ربه الأندلسي، دار إحياء التراث العـربي، الطبعـة الثالثـة، ١٤٢٠هـ.

(١٩٤) علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع): لأحمد بن مصطفى المراغي، دار القلم، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤م.

(١٩٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود: لمحمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٩م.

(١٩٦) العين: للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال.

(١٩٧) عيون الأخبار: لعبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، بدون تاريخ طبع.

(١٩٨) غاية النهاية في طبقات القراء: لمحمد بن محمد بن الجزري، عني بنشره ، ج برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٢هـ.

(١٩٩) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: لنظام الدين النيسابوري، تحقيق زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٦هـ.

(٢٠٠) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ترتيب فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية، القاهرة.

(٢٠١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٦هـ.

(٢٠٢) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية: لسليمان بن عمر العجيلي، الشهير بالجمل، ضبطه وصححه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ.

(٢٠٣) الفهرست: محمد بن إسحاق أبوالفرج النديم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ.

(٢٠٤) فهم القرآن ومعانيه: للحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي، تحقيق حسين القوتلي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.

(٢٠٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير: لعبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

(٢٠٦) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً: سعدي أبو جيب، نشر دار الفكر، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

(٢٠٧) القاموس المحيط: لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ.

(٢٠٨) القراءات الشاذة ،لابن خالويه، تحقيق: ج .برجشتراسر، مكتبة المتنبي ، القاهرة .

(٢٠٩) قراءات النبي ﷺ، للدوري، تحقيق: د/ حكمت بشير ياسين ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة .

(٢١٠) القرطبي المفسر (سيرة ومنهج): ليوسف عبد الرحمن الفرت، دار لقلم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

(٢١١) القرطبي ومنهجه في التفسير: للدكتور القصبي محمود زلط، دار القلم.

(٢١٢) القرطبي: شيخ أئمة التفسير: لمشهور حسن سلمان، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

(٢١٣) القطع والائتناف (الوقف والابتداء): لأبي جعفر النحاس، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٣هـ.

(٢١٤) قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان: لأحمد بن علي القلقشندي، بدون تاريخ طبع.

(٢١٥) قواعد الترجيح عند المفسرين: لحسين علي الحربي، دار القلم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

(٢١٦) قواعد التفسير (جمعاً ودراسة): للدكتور خالد عثمان السبت، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٢٦هـ.

(٢١٧) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

(٢١٨) الكامل في ضعفاء الرجال: لعبد الله بن عدي الجرجاني، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

(٢١٩) كتاب الصناعتين: للحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري، نشر دار الفكر.

(٢٢٠) الكتاب: لعمرو بن عثمان بن قنبر، الملقب بسيبويه، بولاق، ١٣١٨هـ.

(٢٢١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: محمود بن عمر الزمخشري، الطبعة (بدون).

(٢٢٢) الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث: لإبراهيم بن محمد بن سبط العجمي الحلبي، تحقيق صبحي السامرائي، مكتبة النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

(٢٢٣) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لمصطفى بن عبد الله الرومي، الشهير بالملا كاتب الجلبي، والمعروف بحاجي خليفة، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.

(٢٢٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين: لعبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ.

(٢٢٥) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق د. محيي الدين رمضان، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٨هـ.

(٢٢٦) الكشف والبيان في تفسير القرآن: لأحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق السيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ.

(٢٢٧) الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية): أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

(٢٢٨) الكُنى: لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت.

(٢٢٩) لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن): لعلي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، ضبطه وصححه: عبد السلام محمد علي شاهين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢٣٠) اللباب في تهذيب الأنساب: لعلي بن أبي الكرم الشيباني، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م.

(٢٣١) اللباب في علوم الكتاب: لعمر بن علي ابن عادل الحنبلي، تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود، وَ علي محمد معوض، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢٣٢) لسان العرب: لمحمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي، دار صادر، بيروت.

(٢٣٣) لسان الميزان: لابن حجر العسقلاني، دائرة المعارف النظامية بالهند، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٦م.

(٢٣٤) لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير: للدكتور محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤١٠هـ.

(٢٣٥) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية: للعلامة محمد السفاريني الحنبلي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ.

(٢٣٦) المؤرخون اليمنيون في العصر الحديث: لحسين بن عبد الله العمري، دار الفكر، دمشق ، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

(٢٣٧) مجاز القرآن: لمعمر بن المثني التيمي، عارضة بأصوله وعلق عليه د. محمد فؤاد سزكين، نشر مكتبة الخانجي، مصر.

(٢٣٨) المجروحين: لمحمد بن حبان البستي، تحقيق محمود إبراهيم زايد، نشر دار الوعي، حلب، بدون تاريخ طبع.

(٢٣٩) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: لعلي بن أبي بكر الهيثمي، بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر العسقلاني، دار الريان، القاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

(٢٤٠) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، وابنه محمد، مكتبة التقوى، الرياض.

(٢٤١) محاسن التأويل (تفسير القاسمي): لمحمد جمال الدين القاسمي، ضبط نصوصه وخرج حديثه وعلق عليه عبد القادر عرفان العشا، نشر دار الفكر، بيروت.

(٢٤٢) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنه: لعثمان بن جني، تحقيق علي النجدي ناصف، و د. عبد الفتاح شلبي، إعداد وتقديم محمد بشير، دار سزكين، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ.

(٢٤٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: للقاضي عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢٤٤) المحكم والمحيط الأعظم: لعلي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ.

(٢٤٥) مختار الصحاح: لمحمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان، ناشرون، طبعة جديدة، ١٤١٥هـ.

(٢٤٦) المخصص: لعلي بن إسماعيل النحوي، تحقيق خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

(٢٤٧) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي): لعبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، حققه وخرج أحاديثه يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له محيي الدين ديب متو، نشر دار ابن كثير، بيروت.

(٢٤٨) المدخل لدراسة القرآن الكريم: لمحمد بن محمد أبو شهبة، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.

(٢٤٩) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز: لعبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة، تحقيق وليد مساعد الطبطبائي، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ.

(٢٥٠) مروج الذهب ومعادن الجوهر: لأبي الحسن المسعودي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ٢٠٠٤م.

(٢٥١) مسائل الاعتقاد عند القرطبي: لكمال الدين فرحوني، دار العلوم، سنة ٢٠٠٠م.

(٢٥٢) المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ.

(٢٥٣) مسند أبي حنيفة: لأحمد بن عبد الله أبو نعيم الأصبهاني، تحقيق نظر محمد، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ.

(٢٥٤) مسند الحارث: للحارث بن أبي أسامة، تحقيق د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

(٢٥٥) المسند: لأحمد بن حنبل، طبعة الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، شارك في التحقيق ، شعيب الأرناؤوط، ونخبة من المحققين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ.

(٢٥٦) مشاهير علماء الأمصار: لمحمد بن حبان البستي، تحقيق م. فلايشهمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٩م.

(٢٥٧) مشكل إعـراب القـرآن: لمكـي بـن أبي طالـب القيـسي، تحقيـق د. حـاتم صـالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ.

(٢٥٨) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: لأحمد بن محمد بن علي الفيـومي، نشر المكتبة العلمية، بيروت.

(٢٥٩) المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ: عبد الرحمن بـن عـلي بـن محمد الجوزي، تحقيق حاتم صالح الـضامن، مؤسـسة الرسـالة، الطبعـة الثالثـة، ١٤١٨هـ.

(٢٦٠) المصنف في الأحاديث والآثار: لعبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ.

(٢٦١) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية: لابن حجر العسقلاني، تحقيق د. سعد بـن ناصر بن عبد العزيز الشتري، دار العاصمة ودار الغيث، الرياض، الطبعـة الأولى ، ١٤١٩هـ.

(٢٦٢) المعارف: لعبد الله بن قتيبة الـدينوري، تحقيـق د. ثـروت عكاشـة، دار المعـارف، القاهرة، الطبعة الرابعة.

(٢٦٣) معالم التنزيل (تفسير البغوي): للحـسين بـن مـسعود الفـراء البغـوي، نـشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢٦٤) معاني القرآن الكريم: لأبي جعفر النحاس، تحقيـق محمـد عـلي الـصابوني، مركـز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة.

(٢٦٥) معاني القرآن وإعرابه: لإسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ.

(٢٦٦) معاني القرآن: ليحي بن زياد الفراء، تحقيق د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، راجعـة أ.علي النجدي ناصف، بدون تاريخ طبع.

(٢٦٧) معجم الأدباء: لياقوت عبد الله الرومي الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ.

(٢٦٨) المعجم الأوسط: لسليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

(٢٦٩) معجم البلدان: لياقوت الحموي، دار الفكر، بيروت.

(٢٧٠) المعجم الكبير: لأبي القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية.

(٢٧١) معجم المؤلفين: لعمر كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ طبع.

(٢٧٢) معجم المحدثين: لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق أ.د محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٢٧٣) معجم المصطلحات النحوية والصرفية: لمحمد بن سمير اللبدي، نشر الشركة المتحدة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

(٢٧٤) معجم ما استعجم: لعبد الله بن عبد العزى البكري الأندلسي، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة.

(٢٧٥) معرفة الثقات: لأحمد بن عبد الله بن صالح العجلي، تحقيق عبد العليم عبد العظيم البستوي، نشر مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥هـ.

(٢٧٦) معرفة الصحابة: لأحمد بن عبد الله الأصبهاني، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ.

(٢٧٧) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق محمد حسن إبراهيم الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ.

(٢٧٨) المعرفة والتاريخ: ليعقوب بن سفيان الفسوي، تحقيق أكرم ضياء العمري، بيروت، ١٩٨١م.

(٢٧٩) المعرفة والتاريخ: ليعقوب بن سفيان الفسوي، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.

(٢٨٠) المغني: لموفق الدين ابن قدامة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ.

(٢٨١) المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني، ضبطه وراجعه محمد خليل عيتاني، نشر دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة ، سنة ١٤٢٦هـ.

(٢٨٢) مقاييس اللغة: لأحمد بن فارس بن زكريا، عناية د. محمد عوض مرغب وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ.

(٢٨٣) المقتضب: محمد بن يزيد المبرد، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩م.

(٢٨٤) مقدمة ابن خلدون: لعبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون، تحقيق حجر عاجي، دار مكتبة الهلال، ١٩٩١م.

(٢٨٥) مقدمة في أصول التفسير: لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق عدنان زرزور، راجعه زكي الحسيني، دار الرسالة، مكة المكرمة، ١٤١٥هـ.

(٢٨٦) الملل والنحل: لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تصحيح أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ.

(٢٨٧) المنار المنيف في الصحيح والضعيف: لابن قيم الجوزية، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ.

(٢٨٨) مناهل العرفان في علوم القرآن: لمحمد بن عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الثالثة.

(٢٨٩) المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب: لعبد الرحمن بن حمد بن زيد المغيري، بدون تاريخ طبع.

(٢٩٠) منجد المقرئين ومرشد الطالبين: لمحمد بن محمد بن الجزري، اعتنى به علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ.

(٢٩١) منهاج السنة النبوية: لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، نشر مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ.

(٢٩٢) المنهاج في الحكم على القراءات: لإبراهيم بن سعيد الدوسري، دار الحضارة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

(٢٩٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال: لمحمد أحمد الذهبي تحقيق علي بن محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م.

(٢٩٤) ميزان الاعتدال في نقد الرجال: لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق علي محمد معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م.

(٢٩٥) الناسخ والمنسوخ (قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن): لمرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي، تحقيق سامي عطا حسن، دار القرآن الكريم، الكويت، ١٤٠٠هـ.

(٢٩٦) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم: لعلي ابن حزم الظاهري، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ.

(٢٩٧) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم: للقاضي أبي بكر ابن العربي المعافري، تحقيق عبد الكبير العلوي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٤١٣هـ.

(٢٩٨) الناسخ والمنسوخ: لابن البازري، ضمن أربعة كتب في الناسخ والمنسوخ، تحقيق حاتم صالح الضامن، مكتبة النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ.

(٢٩٩) الناسخ والمنسوخ: لأبي جعفر النحاس، تحقيق د. محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ.

(٣٠٠) الناسخ والمنسوخ: لهبة الله بن سلامة بن نصر المقري، تحقيق زهير الشاويش ومحمد كنعان، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

(٣٠١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ليوسف بن تغري بردي الأتابكي، المؤسسة المصرية العامة، وزارة الثقافة، مصر.

(٣٠٢) نزهة الألباء في طبقات الأدباء: لعبد الرحمن بن محمد ابن الأنباري، تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، عمان، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٠هـ.

(٣٠٣) النشر في القراءات العشر: لمحمد بن محمد الشهير بابن الجزري، اعتنى به علي محمد الصباغ، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ طبع.

(٣٠٤) نكت الهميان في نكت العميان: لصلاح الدين خليل الصفدي، اعتنى به أحمد زكي بك، نشر مكتبة الثقافة الدينية، مصر، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٠هـ.

(٣٠٥) النكت على كتاب ابن الصلاح: لابن حجر العسقلاني، تحقيق د. ربيع بن هادي المدخلي، دار الراية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

(٣٠٦) النكت والعيون (تفسير الماوردي): لعلي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، راجعه وعلق عليه السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

(٣٠٧) النهاية في غريب الحديث والأثر: لمجد الدين أبي السعادات المبارك محمد الجزري، تحقيق خليل مأمون شيحا، نشر دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٢٢هـ.

(٣٠٨) نواسخ القرآن: لابن الجوزي، تحقيق محمد أشرف المليباري، إحياء التراث الإسلامي المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

(٣٠٩) نيل الابتهاج بتطريز الديباج: لأحمد بن أحمد التنبكتي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ طبع.

(٣١٠) هدية العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون): لإسماعيل باشا البغدادي، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.

(٣١١) الوافي بالوفيات: لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م.

(٣١٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد: لعلي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وَعلى محمد معوض وجماعة آخرون، قدمه وقرظه: د. عبد الحي الفرماوي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٣١٣) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأحمد بن محمد الشهير بابن خلكان، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨م.



فِهْرس الموضوعات

